

إقباليات

(العدد العربي الرابع)

٢٠٠٣

فصلية فكرية تبحث في دراسات إقبال والدين والثقافة والتاريخ والآداب
تصدر عن أكاديمية إقبال باكستان

إشراف

الأستاذ محمد سهيل عمر

رئاسة التحرير

الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر

الأستاذ الدكتور خورشيد رضوي

المحرر المساعد

محمد سمیع مفتی

أكاديمية إقبال باكستان لاهور

مجلة
إقباليات

العدد العربي الرابع

٢٠٠٣

أكاديمية إقبال باكستان

تصدر مجلة البحوث العلمية هذه باللغة العربية سنويا، عن أكاديمية إقبال باكستان وهي مختصة للمقالات التي تتعلق بأفكار إقبال. كما تطبع فيها مقالات تتعلق بالحضارة الإسلامية والعلوم الدينية والفلسفة والتاريخ والأدب والشعر بقلم الماهرين والمتخصصين وندعو كل من يريد أن يكتب في الموضوعات المذكورة لمجلتنا هذه.

العنوان البريدي

Iqbal Academy Pakistan
6th Floor, Aiwan i Iqbal
off Egerton Road, Lahore, Pakistan
Tel: 92-42-6314510
Fax: 92-42-6314496
email: iqbalacd@lhr.comsats.net.pk
Website: www.allamaiqbal.com

ثمن النسخة: ٨٠ روبية - ٤ دولار أمريكية
وظيفة للبيع: ١١٦ - خيابان ميكلود، لاهور، باكستان
تلفون: ٧٣٥٧٢١٤

مجلة إقباليات العربية — العدد ٤ — ٢٠٠٣

المحتويات

١. أبو الحسن علي الندوي العوامل التي كونت شخصية إقبال
٢. آثماري شمل أسرار العشق المبدع في كتابات محمد إقبال
٣. إحسان حقي العلامة محمد إقبال كما عرفته
٤. مرزا محمد منور تأثير الأدب العربي في شعر إقبال
٥. عبد الله مبشر الطرازي سيرة الشاعر الإسلامي
٦. عزيز أحمد نظرية باكستان عند إقبال
٧. ظفر إسحاق أنصاري نقد منهج جوزف شاخت
٨. حسين أحمد براجة شعر إقبال وتأثير الأدب العربي فيه
٩. الحافظ عبد القدير العروج السماوي
١٠. حازم محفوظ إقبال والقائد الأعظم وباكستان
١١. محمد سهيل عمر التقرير التطبيقي لمشاريع سنة إقبال

العوامل التي كونت شخصية محمد إقبال¹

لفضيلة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

سادتي وإخواني! يسرني جدا أن أتحدث إليكم عن شاعر الإسلام العظيم وحكيم الشرق الدكتور محمد إقبال، ويزيدني سرورا واعتباطا أن يكون هذا الحديث في مركز تعليمي وأدي كبير كدار العلوم. وبهذه المناسبة سيدور حديثي اليوم حول دراسة هذا الرجل العظيم والمدارس التي تخرج فيها والعوامل التي كونت شخصيته.

المدرسة الأور التي تخرج فيها محمد إقبال:

لقد تخرج محمد إقبال في مدرستين، أما المدرسة الأولى فهي مدرسة الثقافة العصرية والدراسات الغربية، فلم يزل يتقلب في فصولها ودروسها ما بين الهند وإنجلترا وألمانيا، ويقراً على أساتذتها البارعين، ويرتوي من مناهلها حتى أصبح من أفاضل الشرق الإسلامي في ثقافته الغربية. أخذ من علوم الغرب وثقافته وحضارته، من فلسفة، واجتماع، وأخلاق، واقتصاد، وسياسة، ومدنية غاية ما يمكن لغربي متخصص، فضلا عن شرقي متطفل؛ وبلغ بدراسته إلى أحشاء الفلسفة القديمة والجديدة. هذا إلى توسع في الآداب الإنجليزية والألمانية والشعر الغربي في مختلف

أدواره وعصوره. ودراسة الفكر الغربي في مختلف أطواره ومراحل حياته.

المدرسة الثانية:

ولكن لو وقف صاحبنا عند هذا الحد، واكتفي بشمار هذه المدرسة لما كان موضوع حديث اليوم، ولما اشتغل الأدب الإسلامي والتاريخ الإسلامي بالتغني بآثاره، ولما فسحا له محل الصدارة العلمية والزعامة الفكرية والعبقرية الإسلامية، ولكل منها شروط دقيقة ومستوى عال، لا يحتله الإنسان بمجرد الدراسة والتفنن في العلوم، وكثرة التأليف والإنتاج. أقول لو وقف صاحبنا عند هذه المدرسة واقتصر على ثقافتها ودراستها لما زاد على أن يكون أستاذا كبيرا في الفلسفة أو علم الاقتصاد أو في الأدب أو في التاريخ، أو مؤلفا كبيرا، أو محاضرا بارعا في العلوم العصرية، أو أدبيا صاحب أسلوب، أو شاعرا مجيدا، أو محاميا ناجحا في مهنته، أو قاضيا في محكمة أو وزيرا في دولة. وصدقوني أيها الإخوان! أن لو كان ذلك لطواه الزمان في من طوى من كبار العلماء والأدباء والشعراء والمؤلفين والقضاة والوزراء. إن الفضل في عبقرية إقبال، وخلود آثاره، ونفوذه في العقول والقلوب يرجع إلى المدرسة الثانية التي تخرج فيها.

إني لأراكم أيها الإخوان! تذهبون كل مذهب في تشخيص هذه المدرسة، والاهتداء إلى موقعها وإني لأراكم تتطلعون إلى معرفة أخبارها. فمن أنشأ هذه المدرسة التي أنجبت مثل هذا الشاعر العظيم؟ وما هي العلوم التي تدرّس فيها؟ وما هي لغة التعليم في هذا المعهد؟ ومن المعلمون فيها؟ فلا شك أنهم من كبار المرين وأعظم الموجهين، فقد أنتجوا مثل هذا النابغة في العلوم، العملاق في العقل والتفكير؛ وما هي شروط هذه المدرسة وما تكاليفها؟ وأظن أن لو علمتم بوجودها ومحلها لأسرع كثير منكم إليها والتحق بها.

إنها مدرسة ما خاب من تعلم فيها، وما ضاع من تخرج منها؛ إنها مدرسة لم تخرج إلا أئمة الفن المجتهدين، وواضعي العلوم المبتكرين، وقادة الفكر والإصلاح المجددين، الذين يشغلون المدارس ورجالها بتفهم ما قالوا، ودراسة ما كتبوا، وشرح ما خلفوا، وتعليل ما ألفوا، وتأيد ما أثبتوا، وتفصيل ما أجملوا، فيتكّون من كلمتهم كتاب، ومن كتابهم مكتبة.

إنها مدرسة ما تعلّم التاريخ بل تخلق التاريخ، وما تشرح الفكرة بل تضع

الفكرة، وما تنتخب الآثار بل تنتج الآثار؛ إنها مدرسة توجد في كل مكان وزمان، وهي أقدم مدرسة على وجه الأرض.

ولا أمتحن صيركم أيها الإخوان! طويلا إنها مدرسة داخلية تولد مع الإنسان، ويحملها الإنسان معه في كل مكان. هي مدرسة القلب والوجدان. هي مدرسة تشرف عليها التربية الإلهية وتمدها القوة الروحية.

قد تخرج محمد إقبال في هذه المدرسة، كما تخرج كثير من الرجال الموهوبين، وحدث عنها كثيرا في شعره، ورد إليها الفضل في تكوين سيرته وعقليته وأخلاقه وشخصيته. وصرح مرارا بأنه يدين لهذه المدرسة ما لا يدين للمدرسة الخارجية، وأنه لولا هذه المدرسة وتربيتها لما ظهرت شخصيته، ولما اشتعلت مواهبه، ولا اتضحت رسالته، ولا تفتحت قريحته وقد حدث عن معلمي هذه المدرسة وأساتذتها كثيرا وذكر فضلهم عليه.

العامل الأول:

فمن يرد الفضل إليه في هذه المدرسة "الإيمان" الذي لم يزل مريبا له ومرشدا، ولم يزل مصدر قوته ومنبع حكمته. وليس إيمان محمد إقبال هو الإيمان الجاف الخشيب، الذي هو مجرد عقيدة أو تصديق بسيط، بل هو مزيج اعتقاد وحب، يملك عليه القلب والمشاعر والعقل والتفكير والإرادة والتصرف والحب والبغض. وقد كان شديد الإيمان بالإسلام ورسالته، قوي العاطفة، شديد الإخلاص والإجلال لرسول الله — صلى الله عليه وسلم —، متفانيا في حبه؛ مقتنعا بأن الإسلام هو الدين الخالد الذي لا تسعد الإنسانية إلا به، وإن النبي — صلى الله عليه وسلم — هو خاتم الرسل، والبصير بالسبل، وإمام الكل.

ويرجع محمد إقبال الفضل في تكوين شخصيته، وتماسكه أمام المادة ومغرياتها وتيار الحضارة الغربية الجارف إلى الاتصال الروحي بالنبي — صلى الله عليه وسلم — وحب العميق له، ولا شك أن الحب هو خير حاجز للقلب، وخير حارس له. إذا احتل قلبا وشغله، منعه من أن يغزوه غيره، أو يكون كريشة في فلاة، أو يعبث به العابثون، يقول:

"لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهر لي، ويعشي بصري، وذلك لأني اكتحلت بإثم المدينة المنورة".

ويقول: "مكثت في أتون التعليم الغربي وخرجت كما خرج إبراهيم من نار نمرود".

ويقول: "لم يزل ولا يزال فراغنة العصر يرصدونني، ويكمنون لي، ولكني لا أخافهم فإني أحمل اليد البيضاء! إن الرجل إذا رزق الحب الصادق عرف نفسه، واحتفظ بكرامته، واستغنى عن الملوك والسلاطين. لا تعجبوا إذا اقتنصت النجوم، وانقادت لي الصعاب، فإني من عبيد ذلك السيد العظيم الذي تشرفت بوطأته الحصباء، فصارت أعلى قدرا من النجوم، وجرى في إثره الغبار فصار أعقب من العبير!"

وفي كتاب "أسرار خودي" ذكر الشاعر مقومات حياة الأمة الإسلامية، والدعائم التي تقوم عليها، فذكر منها اتصالها الدائم بنبيها — صلى الله عليه وسلم —، والتشبع بتعاليمه، والتفاني في حبه. ولما ذكر النبي — صلى الله عليه وسلم — اندفع الشاعر بمدحه وأرسل النفس على سجيتها فقال أبياتا لا تزال تعد من غرر المدائح النبوية، والشعر الوجداني. يقول: "إن قلب المسلم عامر بحب المصطفي — صلى الله عليه وسلم —، وهو أصل شرفنا، ومصدر فخرنا في هذا العالم".

إن هذا السيد الذي داست أمته تاج كسرى، كان يرقد على الحصير! إن هذا السيد الذي نام عبيده على أسرة الملوك كان يبني ليالي لا يكتحل بنوم! لقد لبث في غار حراء ليالي ذوات العدد، فكان أن وُجدت أمة ووجد دستور، ووجدت دولة! إذا كان في الصلاة فعيناه تهملان دمعاً، وإذا كان في الحرب فسيفه يقطر دماً! لقد فتح باب الدنيا بمفتاح الدين! بأي هو وأمي! لم تلد مثله أم ولم تنجب مثله الإنسانية! افتتح في العالم دوراً جديداً، وأطلع فجراً جديداً. كان يساوي في نظره الرفيع والوضيع، ويأكل مع مولاه على خوان واحد! جاءته بنت حاتم أسيرة مقيدة، سافرة الوجه، خجلة مطرقة رأسها، فاستحيى النبي — صلى الله عليه وسلم —، وألقى عليها رداءه!

نحن أعزى من السيدة الطائية، نحن عراة أمام أمم العالم. لطفه وقهره كله رحمة، هذا بأعدائه، وذاك بأوليائه! ذلك الذي فتح على الأعداء باب الرحمة، وقال: "لا تثريب عليكم اليوم". نحن المسلمين من الحجاز والصين وإيران وأفطار مختلفة، نحن غييض من فيض واحد. نحن أزهار كثيرة العدد، واحدة الطيب

والرائحة. لماذا لا أحبه ولا أحن إليه، وأنا إنسان، وقد بكى لفراقه الجذع، وحتت إليه سارية المسجد. إن تربة المدينة أحب إليّ من العالم كله، انعم بمدينة فيها الحبيب!"

ولم يزل حب النبي —صلى الله عليه وسلم— يزيد ويقوى مع الأيام، حتى كان في آخر عمره إذا جرى ذكر النبي —صلى الله عليه وسلم— في مجلسه أو ذكرت المدينة —على منورها ألف سلام— فاضت عينه، ولم يملك دمعه. وقد ألهمه هذا الحب العميق، معان شعرية عجيبة، منها قوله، وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى:

"أنت غني العالمين وأنا عبدك الفقير، فاقبل معذرتي يوم الحشر: وإن كان لابد من حسابي، فأرجوك يا رب أن تحاسبني بنجوة من المصطفي —صلى الله عليه وسلم—، فأني أستحي أن أنتسب إليه وأكون في أمته، وأنا أقترف هذه الذنوب والمعاصي!"

وكان محمد إقبال كثير الاعتداد بهذا الإيمان، شديد الاعتماد عليه. يعتقد أنه هو قوته وميزته، وذخره وثروته، وأن أعظم مقدار من العلم والعقل، وأكبر كمية من المعلومات والمحفوظات لا تساوي هذا الإيمان البسيط. يقول في بيت:

"إن الفقير المتمرد على المجتمع —يشير إلى نفسه— لا يملك إلا كلمتين صغيرتين، قد تغلغلتا في أحشائه وملكتا عليه فكره وعقيدته، وهما: لا إله إلا الله، محمد رسول الله —صلى الله عليه وسلم—. وهنالك علماء وفقهاء الواحد منهم يملك ثروة ضخمة من كلمات اللغة الحجازية، ولكنه قارون لا ينتفع بكنوزه!"

هذا هو إيمان محمد إقبال وحبه أيها السادة! ومن تتبع التاريخ عرف أن الحب هو مصدر الشعر الرقيق، والعلم العميق، والحكمة الرائعة، والمعاني البديعة، والبطولة الفائقة، والشخصية الفذة، والعبقرية النادرة: وإليه يرجع الفضل في غالب عجائب الإنسانية، ومعظم الآثار الخالدة في التاريخ؛ وإذا تجرد منه شخص كان صورة من لحم ودم، وإذا تجردت منه أمة كانت قطيعا من غنم، وإذا تجردت منه شعر كان كلاما موزونا مقفى فحسب، وإذا تجرد منه كتاب كان مجموع أوراق وحبرا على ورق، وإذا تجردت منه عبادة كانت طقسا من الطقوس وهيكل بلا روح، وإذا تجردت منه مدينة أصبحت تمثيلا لا حقيقة فيه، وإذا تجردت منه

مدرسة أو نظام تعليم، أصبح تقليدا أو تكليفا لا متعة فيه، ولا حافز له، وإذا تجردت منه حياة كلست الطبائع، وجمدت القرائح، وأجذبت العقول، وانطفأت شعلة الحياة، واختنقت المواهب! هذا هو الحب الصادق، الذي يتجلى على الرجل، فيصدر منه من روائع الكلام، أو حوارق الشجاعة والقوة، والآثار الخالدة في العلم والأدب ما لم يكن ليصدر منه لولا هذا الحب الذي أشعل موهبته، وفتح قريحته، وملك عليه قلبه وفكره، وأنساه نفسه، ومتاعب الحياة، وإغراء الشهوات، وبريق المادة، فتمرد بذلك على المجتمع. هذا هو الحب الذي يدخل بين الطين والماء والحجارة والآجر، فيجعل منها آثارا خالدة، وتحفة فنية كـ "مسجد قرطبة، وقصر الزهراء، والتاج محل"؛ وما من أثر من الآثار الباقية في الأدب والفن و التأليف والبطولة، إلا ووراءه عاطفة قوية من الحب!

لقد ضل من زعم أن العلماء يتفاضلون بقوة العلم، وكثرة المعلومات، وزيادة الذكاء، وأن الشعراء يتفاضلون بقوة الشاعرية، وحسن اختيار اللفظ، ودقة المعاني وأن المؤلفين يتفاضلون بسعة الدراسة والمطالعة، وكثرة التأليف والإنتاج وأن المعلمين يتفاضلون بحسن الإلقاء والمحاضرة، واستحضار المادة الدراسية، وكثرة المراجع؛ وأن المصلحين والزعماء يتفاضلون بالبراعة في الخطابة، وأساليب السياسة والحكمة، واللباقة إنما يتفاضل الجميع بقوة الحب، والإخلاص لغايتهم إذا فاق أحدهم الآخر فإنما يفوقه، لأن الغاية أو الموضوع حل في قرارة نفسه، وسرى منه مسرى الروح، وملك عليه قلبه وفكره، وقهر شهواته، واضمحلته فيه شخصية، فإذا تكلم تكلم عن لسانه وإذا كتب كتب بقلمه، وإذا فكر فكر بعقله، وإذا أحب أو أبغض فبقبله!

لقد جنت المدنية الحديثة أيها السادة! على الإنسانية جناية عظيمة، إذ قضت على هذه العاطفة، التي كانت قوة كبرى، ومنبعا فياضا للحياة، وملائا فراغها بالنفعية والمادية، أو الحب الجنسي، والغرام المادي ولم تستطع بحكم ماديتها وضيق تفكيرها، أن تفهم أن هناك حبا للمعاني السامية، وجمالا معنويا، هو أقوى من هذا الحب، وأسأت المدرسة العصرية — وأعني بها نظام التعليم الحديث — إلى الجيل الجديد، إذ لم تحتفل بهذه العاطفة والوجدان احتفالا ما، ولم تحسن توجيه القلوب، وإشغالها بحرارة الإيمان وحياة الوجدان. فأصبح العالم العصري أشبه بجماد متحرك دائر لا حياة فيه ولا روح، ولا قلب له ولا شعور، ولا ألم

عنده ولا أمل؛ إنما هو دوامة جامدة، تديرها يد قاهرة، أو إرادة قاسرة!

فإذا رأيتم أيها السادة! أن شعر إقبال من نوع آخر، غير النوع الذي عرفناه وجريناه في شعرائنا المتقدمين والمتأخرين، وغير الشعر الذي ندرسه في مدارسنا؛ هذا شعر تهتمز له المشاعر، وتتوتر له الأعصاب، ويجيش له القلب، وتثور له النفس، حتى تكاد تحطم السلاسل، وتفك الأغلال، وتتمرد على المجتمع الفاسد، وتصطدم بالأوضاع الجائرة، وتسحف بالقوة الهائلة؛ شعر إذا قرأه الإنسان في لغة الشاعر، أحس بأنه قد مر به تيار كهربائي فهزه هزا عنيفا؛ إذا وجدتم ذلك أيها السادة! فاعلموا أنه ليس إلا لأن الشاعر قوي الإيمان، قوي العاطفة، حيّاش الصدر، فياض الخاطر، ملتهب الروح؛ قد أحسنت المدرسة الثانية التي تحدثت عنها تربيته، وقد أحسن أساتذتها تثقيفه، وتغذيته بهذه العاطفة، وتميئتها وإشغالها فيه.

العامل الثاني:

أما الأستاذ الآخر الذي يرجع إليه الفضل في تكوين شخصيته وعقليته، فهو أستاذ كريم لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين؛ ولكن ليس الشأن في وجود الأستاذ وكونه بمتناول اليد من تلاميذه، إنما الشأن في معرفته، وتقديره، وإجلاله، والإفادة منه، وإلا لكان أبناء البيت، ورجال الأسرة، وأهل الحي أسعد بعالمهم، وأكثر انتفاعا من غيرهم. ولكن بالعكس من ذلك رأينا أن العالم الكبير، والحكيم الشهير، والمؤلف العظيم. ضائع في بيته، مهجور في داره، يزهده فيه أولاده ويستهين بقيمته أفراد أسرته، ويأتي رجل من أقصى العالم فيغتترف من بحر علمه ويتضلع من حكمه.

لا تذهب بكم الظنون ولا يبعد بكم القياس أيها الإخوان! فذلك الأستاذ العظيم هو القرآن الكريم، الذي أثر في عقلية إقبال وفي نفسه! لم يؤثر فيه كتاب ولا شخصية. ولكنه أقبل على قراءة هذا الكتاب إقبال رجل، حديث العهد بالإسلام، فيه من الاستطلاع والتشوق ما ليس عند المسلمين الذين ورثوا هذا الكتاب العجيب، فيما ورثوه من مال ومتاع ودار وعقار. وقد وصل هذا المهتدي إليه بشق النفس وعلى جسر الجهاد والتعب. كان سرور محمد إقبال باكتشاف هذا العالم الجديد من المعاني والحقائق أعظم من سرور "كلمبس" لما اكتشف

العالم الجديد ونزل على شاطئه. أما الذين ولدوا ونشأوا في هذا العالم الجديد، فكانوا ينظرون إلى "كلمبس" وأصحابه باستغراب ودهشة، ولا يفهمون معنى لما كان يخامرهم من سرور وفرح، فإنهم لا يجدون في هذا العالم شيئا جديدا.

لقد كانت قراءة محمد إقبال للقرآن قراءة تختلف عن قراءة الناس له ولهذا القراءة الخاصة فضل كبير في تذوقه للقرآن، واستطعامة إياه. وقد حكى قصته لقراءة القرآن. فقال:

"قد كنت تعمدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان أبي يراني، فيسألني ماذا أصنع؟ فأجيبه بأني أقرأ القرآن وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله، فأجيبه جوابي. وذات يوم قلت له: ما بالك يا أبي! تسألني نفس السؤال وأجيبك جوابا واحدا، ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غد؟" فقال: إنما أردت أن أقول لك: يا ولدي؛ أقرأ القرآن كأنما نزل عليك". ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأقبل عليه، فكان من أنواره ما اقتبست ومن درره ما نظمت.

ولم يزل محمد إقبال إلى آخر عهده بالدنيا يغوص في بحر القرآن، ويطير في أجوائه، ويجوب في آفاقه؛ فيخرج بعلم جديد، وإيمان جديد، وإشراق جديد، وقوة جديدة. وكلما تقدمت دراسته، واتسعت آفاق فكره، ازداد إيمانا بأن القرآن هو الكتاب الخالد، والعلم الأبدى وأساس السعادة، ومفتاح الأقفال المعقدة، وجواب الأسئلة المحيرة، وإنه دستور الحياة، ونبراس الظلمات، ولم يزل يدعو المسلمين وغير المسلمين إلى التدبر في هذا الكتاب العجيب، وفهمه ودراسته والاهتداء به في مشاكل العصر، واستفتائه في أزمات المدنية، وتحكيمه في الحياة والحكم؛ ويعتب على المسلمين إعراضهم عن هذا الكتاب، الذي يرفع الله به أقواما، ويضع به آخرين. يقول في مقطوعة شعرية:

"إنك أيها المسلم لا تزال أسيرا للمتزعمين للدين، والمحتكرين للعلم؛ ولا تستمد حياتك من حكمة القرآن رأسا! إن الكتاب الذي هو مصدر حياتك ومنبع قوتك، لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة، فتقرأ عليك سورة "يس" لتموت بسهولة. فوا عجباً! قد أصبح الكتاب الذي أنزل ليمنحك الحياة والقوة، يتلى الآن لتموت براحة وسهولة".^٢

وقد أصبح محمد إقبال بفضل هذه الدراسة العميقة والتدبر، لا يفضل على

هذا الكتاب شيئا، ولا يعدل به تحفة وهدية لأغنى رجل في العالم، وأعظم الرجال علما وعقلا، ولذلك لما دعاه المرحوم نادر خان ملك أفغانستان إلى كابل، ونزل ضيفا عليه، أهدى محمد إقبال إلى الملك نسخة من القرآن، وقدمها إليه قائلا:

"إن هذا الكتاب رأس مال أهل الحق، في ضميره الحياة، وفيه نهاية كل بداية، وبقوته كان عليّ فاتح خبير". فبكى الملك وقال: لقد أتى علي نادر خان زمان، وما له أنيس سوى القرآن، وهو الذي فتحت قوته كل باب".^٢

العامل الثالث:

والركن الثالث أيها السادة! في نظام تربيته، وتكوين شخصيته هو معرفة النفس، والغوص في أعماقها، والإعداد بقيمتها، والاحتفاظ بكرامتها وقد عامل نفسه بما نصح به غيره في قصيدة، يقول فيها:

"انزل في أعماق قلبك، وادخل في قرارة شخصيتك، حتى تكتشف سر الحياة! ما عليك إذا لم تنصفي وتعرفني، لكن انصف نفسك يا هذا! واعرفها، وكن لها وفيًا! ما ظنك بعالم القلب، هو كله حرارة، وسكر، وحنان، وشوق، أما عالم الجسم فتجارة وزور واحتيال! إن ثروة القلب لا تفارق صاحبها، أما ثروة الجسم فظل زائل ونعيم راحل! إن عالم القلب لم أر فيه سلطة الإفرنج ولا اختلاف الطبقات، لقد كدت أذوب حياء، وتندى جيبني عرقا إذ قال لي حكيم: إذا خضعت لغيرك، أصبحت لا تملك قلبك ولا جسمك".^٤

وقد كان إقبال كثير الاعتداد بمعرفة النفس؛ يرى أن العبد يسمو بها إلى درجة الملوك، بل يعلوهم إذا كان جريئا مقداما، يقول في قصيدة:

"إن الإنسان إذا عرف نفسه بفضل الحب الصادق وتمسك بأداب هذه المعرفة، انكشفت على هذا المملوك أسرار الملوك! إن ذلك الفقير الذي هو أسد من أسود الله، أفضل من أكبر ملوك العالم! إن الصراحة والجرأة من أخلاق الفتيان، وإن عباد الله الصادقين لا يعرفون أخلاق الثعالب".
وقد جعلته هذه المعرفة النفسية والاعتداد لا يقبل رزقا إذا قيد حرته، يقول في نفس القصيدة:

"يا صاح! إن الموت أفضل من رزق يقص من قوادمي، وبمعني من حرية الطيران".^٥

وكان إقبال يعرف قيمته ويعرف مكانته — في غير صلف وغرور — فيضن بحريته وكرامته، ويربأ بنفسه عن أن يكون عبدا لغيره، يقول في مقطوعة:

"لك الحمد يا رب! إذ لست من سقط المتاع، ولست من عبيد الملوك والسلاطين! لقد رزقني حكمة وفراسة! ولكني أحمدك على أني لم أبعهما لملك من الملوك".^٦ يقول مفتخرا:

"إني من غير شك فقير قاعد على قارعة الطريق، ولكني غني النفس أبي".
وكان عمله بما يخاطب به غيره في قصيدة، يقول فيها:

"إذا لم تعرف رازقك، كنت فقيرا إلى الملوك، وإذا عرفته، افتقر إليك كبار الملوك. إن الاستغناء ملوكية، وعبادة البطن قتل للروح، وأنت مخير بينهما. إذا شئت اخترت القلب، وإذا شئت اخترت البطن".^٧

ولا شك أن محمد إقبال اختار القلب. لذلك كان يثور إذا جرحت كرامته، وامتحننت عفته. قدّم إليه رئيس وزارة في دولة، في عيد ميلاد محمد إقبال، هدية محترمة من النقود، فرفضها، وقال: "إن كرامة الفقير تأبي علي أن أقبل صدقة الأغنياء". وعرضت عليه الحكومة البريطانية وظيفة نائب الملك في إفريقيا الجنوبية، وكان من تقاليد هذه الوظيفة أن حرم نائب الملك تكون سافرة، تستقبل الضيوف في الولايم الرسمية، وتكون مع زوجها في الحفلات. فأشير عليه بذلك، فرفضها، وقال: "ما دام هذا شرطا لقبول الوظيفة فلا أقبله لأنه إهانة ديني ومساومة كرامتي".

وقد كان بفضل معرفته بقيمة نفسه شديد الاحتفاظ بقوته ومواهبه؛ يعتقد أنه صاحب رسالة ومهمة في هذه الحياة، وليس له أن يضع نفسه محل الشاعر، الذي ليست له رسالة، أو النظامين الذين ينظمون في كل مناسبة! فإذا أريد منه غير ذلك ضاقت نفسه. يقول في أبيات وجهها إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم —:

"إني لأشكو إليك يا سيد الأمم! إن أصدقائي يعتقدون أني شاعر نظام، فيقترحون علي اقتراحات!"

ويقول في بيت آخر:

"أنا حائر في أمري يا سيدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم! - إنك تأمرني أن أبلغ أمتك رسالة الحياة والقوة، وهؤلاء يقولون أرخ لموت فلان وفلان، فماذا أفعل!؟".

وقد كانت هذه المعرفة من كبار أنصار شخصيته ورسالته، ومما انتفع بها الإسلام انتفاعا عظيما، وقد عصمت الشاعر من التيه الفكري والهيام الأدبي، اللذين يصاب بهما أدباؤنا وشعراؤنا وكتابنا وعلماؤنا، فينتجعون كل كالأ، ويهيمنون في كل واد، ويكتبون في كل موضوع، وافق عقيدتهم أم لا؛ ويمدحون كل شخص، ويظنون إلى آخر حياتهم لا يعرفون أنفسهم ولا يعلمون رسالتهم! أما الدكتور محمد إقبال، فكان من توفيق الله تعالى ومن حسن حظ الإسلام والمسلمين في الهند، أنه عرف نفسه في أول يوم، وقدر مواهبه تقديرا صحيحا، ثم ركز فكره وقوة شاعريته في بعث الحياة والروح في المسلمين، وإيجاد الثقة والاعتزاز بشخصيتهم، والإيمان برسالتهم، والطموح إلى القوة والحرية والسيادة. كان شاعرا مطبوعا، حتى لو أراد أو أريد أن لا يكون شاعرا لما استطاع، ولقهره الشعر وغلبه. كان سائل القريحة، فياض الخاطر، ملهم المعاني، مطاع اللفظ. وكان مبدعا يوم كان شاعرا؛ وكان شاعرا فنانا وصناعا ماهرا سلم له شعراء العصر بالإمامة والإعجاز، وتأثر بشعره الجو. فما من شاعر ولا أديب في عصره إلا وقد تأثر به في اللغة والتراكيب والمعاني والأفكار والأغراض. وهو من أفراد شعراء العالم في التفنن والإبداع، وابتكار المعاني، وجدة التشبيه، والاستعارات. وقد ساعده في ذلك اتصاله بالشعر الإنجليزي والألماني، فضلا عن الفارسي الذي هو خاتم شعرائه (في شبه القارة). ولكن ليس هذا كل ما يمتاز به محمد إقبال فعصره لا يخلو من شعراء، ولا يخلو من شعراء مجيدين، ولكنه امتاز بأنه أخضع شاعريته القوية وقوته الأدبية، وعبقريته الفنية لرسالة الإسلام. فلم يكن شاعر ملك، ولا شاعر الوطنية، ولا شاعر الهوى والشباب، ولا شاعر الحكمة والفلسفة؛ بل كان صاحب رسالة إسلامية، استخدم لها الشعر كما تستخدم للرسائل أسلاك الكهرباء، فتكون أسرع وصولا! ولطيب الأزهار نفحات الهواء فيكون أكثر انتشارا! فكان الشعر حامل رسالته، ورائد حكمته، يسبقها ويوطئ لها أكنافا، ويدلل لها صعابا، ويفتح أبوابا. وكان شعره من جنود الإسلام - والله جنود

السموات والأرض — ولا أعرف أحدا أَرْضَى الله ورسوله بشعره، بعد حسان بن ثابت — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — مثل ما أَرْضَى هذا الشاعر المسلم. فأيقظ أمة، وأشعل قلوبها إيماناً وحماسة وطموحاً إلى حياة الشرف والاستقلال والسيادة والحكم الإسلامي، حتى أصبحت هذه الأمة لا تَرْضَى إلا بدولة تحكمها وتدبر دفتها. أوجد بشعره القوي الهزاز القلق الفكري، والاضطراب النفسي، الذي عم هذا الشعب المسلم، وساور الشباب الإسلامي بصفة خاصة فأصبحوا لا يرتاحون، ولا يهدأ لهم خاطر في حياة العبودية والذلة وحكم الأجانب، حتى أصبحت في يوم من الأيام الدولة المسلمة الحرة حقيقة راهنة وواقعا ملموسا.

ولا نعرف شاعراً أو أديبا يرجع إليه الفضل في تأسيس دولة وتهيئة النفوس لها مثل ما يرجع إلى هذا الشاعر الإسلامي. وتعلمون جميعاً أن الدول تسبقها الثورات الفكرية والتذمر من الحاضر، والتطلع إلى المستقبل، والقلق النفسي، فإذا تم هذا كله ونضج، قامت دولة؛ فإن كان شعر قد أقام دولة، وأحدث ثورة فكرية، كانت سبب الانتقال من حياة إلى حياة ومن وضع إلى وضع، فهو من غير شك، شعر إقبال. وما ذاك أيها الإخوان! إلا بمعرفة الرجل نفسه، وتقديره الصحيح لمواهبه وقوته، ووضعها في محلها، والغيرة عليها، من أن تضع في موضوعات تافهة، وألفاظ فارغة، وألوان زاهية، ومظاهر الجمل الفانية. وكم ضاع رجال من العبقرين وأهل المواهب الكبيرة لعدم معرفتهم أنفسهم، وقيمة ما يحسنون، وما يمتازون به عن أقرانهم، فباعوا أنفسهم وعلمهم بالمناداة أو باللغة المصرية "بالمزاد العلني"، وقتلوا إنسانيتهم قبل أن يقتلها غيرهم ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.

العامل الرابع:

والمربي الرابع أيها السادة! الذي يرجع إليه الفضل في تكوين سيرته وشخصيته، وفي قوة شعره وتأثيره، وجدة المعاني، وتدفق الأفكار هو أنه لم يكن يقتصر على دراسة الكتب، والاشتغال بالمطالعة، بل كان يتصل بالطبيعة من غير حجاب، ويتعرض للنفحات السحرية، ويقوم في آخر الليل، فيناجي ربه، ويشكو به وحزنه إليه، ويتزود بنشاط روحي جديد، وإشراق قلبي جديد، وغذاء فكري جديد؛ فيطلع على أصدقائه وقرائه بشعر جديد، يلمس الإنسان فيه قوة جديدة، وحياة جديدة، ونورا جديداً؛ لأنه يتجدد كل يوم، فيتجدد شعره، وتتجدد

معانيه.

وكان عظيم التقدير لهذه الساعات اللطيفة التي يقضيها في السحر، ويعتقد أنها رأس ماله ورأس مال كل عالم، ومفكر، لا يستغني عنها أكبر عالم أو زاهد. يقول في بيت:

"كن مثل الشيخ فريد الدين العطار في معرفته، وجلال الدين الرومي في حكمته، أو أبي حامد الغزالي في علمه وذكائه، وكن مع من شئت في العلم والحكمة، ولكنك لا ترجع بطائل، حتى تكون لك أنة في السحر".
وكان شديد المحافظة على ذلك، كثير الاهتمام به. يقول في مطلع قصيدة:
"رغم أن شتاء إنجلترا كان فارسا جدا، وكان الهواء البارد يعمل في الجسم عمل السيف، ولكني لم أترك في لندن التبكير في القيام".
وكان لا يبغى به بدلا، ولا يعدل به شيئا. يقول في بيت:
"خذ مني ما شئت يا رب! ولكن لا تسلبني اللذة بأنة السحر، ولا تحرميني نعيمها".

بل كان يتمنى على الله أن تتعدى هذه الأنة السحرية والحرقة القلبية إلى شباب الأمة المتنعمين، فتحرك سواكن قلوبهم، وتنفخ الحياة في هياكلهم. يقول في قصيدة:

"اللهم! جرح أكباد الشباب بسهام الآلام الدينية، وأيقظ الآمال والأمانى النائمة في صدورهم. بنجوم سماواتك التي لا تزال ساهرة، وعبادك الذين يبيتون الليل سجدا وقياما، ولا يكتحلون بنوم، ارزق الشباب الإسلامي لوعة القلب، وارزقهم حيي وفراسي".
ويقول في قصيدة:

"اللهم! ارزق الشباب أنبي في السحر، وانبت لصقور الإسلام القوادم والخوافي، التي تطير بها وتصطاد، وليست لي أمنية يا رب! إلا أن تنتشر فراسي، ويعم نور بصيرتي في المسلمين".

(العامل الخامس):

والعامل الأخير والمؤثر الكبير في تكوين عقليته وتوجيه رسالته أيها السادة!

هو "المنثوي المعنوي" بالفارسية وقد كتبه مولانا جلال الدين الرومي في ثورة وجدانية ونفسية شديدة، ضد الموجة العقلية الإغريقية التي اجتاحت العالم الإسلامي في عصره، وقد انتصر فيه للإيمان والوجدان انتصارا قويا، وانتصف للقلب والروح والعاطفة والحب الصادق والمعاني الروحية من المباحث الكلامية الجافة، والقشور الفلسفية، التي كانت تشغل أذهان المسلمين والمدارس الدينية والأوساط العلمية في الشرق الإسلامي. والكتاب متدفق قوة وحياة، زاخر بالأدب العالي والمعاني الجديدة، والأمثال الحكيمة، والحكم الغالية، والنكت البديعة؛ وطابعه العاطفة القوية، والطبع الريان الذي يملئ هذه المنظومة التي لا تزال فريدة في موضوعها في مكتبة الإسلام العامرة، ولا يزال له التأثير القوي في تحرير الفكر، من رق العقل، والتقديس الزائد للقيم العقلية، والخضوع للمادية الرعناء؛ ويبعث التمرد على عالم المادية الضيق والتطلع إلى أجواء الروح الفسيحة. وكان العالم في عصر محمد إقبال يواجه التيار العقلي الأوروبي، الذي جرف جميع القيم الروحية والخلقية، وقد زادت الآلات الميكانيكية هذه الحضارة بُعدا عن المعاني الروحية، والمبادئ الخلقية، وما بعد الطبيعة. فأصبحت حضارة عقلية ميكانيكية.

وقد قضى محمد إقبال فترة من الزمن ينازعه عاملان: عامل العقل، وعامل القلب؛ وقام صراع بين عقله المتمرد وعلمه المتجدد، وقلبه الحار الفاض بالإيمان. وفي هذا الاضطراب الفكري والاضطراب النفسي، ساعده المنثوي مساعدة غالية، ودافع عن عاطفته وقلبه دفاعا مجيدا، وحل به كثيرا من ألغاز الحياة. ولم يزل محمد إقبال يعرف له الجميل، ويحفظ له هذا الفضل، ويذكره في كثير من أبياته، ويعزو إليه كثيرا من الحقائق والحكم. يقول في بيت يخاطب فيه أحد المأخوذين بسحر الغرب:

"قد سحر عقلك سحرُ الإفرنج، فليس لك دواء إلا لوعة قلب الرومي، وحرارة إيمانه. لقد استنار بصري بنوره، ووسع صدري بحرا من العلوم".
ويقول في بيت: "لقد أفدت من صحبة شيخ الروم أن كليما واحدا — يشير إلى سيدنا موسى — هامته على راحتته، يغلب ألف حكيم قد أحنوا رؤوسهم للتفكير".

وكان محمد إقبال يرجو أن يجدد علمه ورسالته في القرن العشرين ويخلفه في

مهمته العلمية والروحية؛ وكان يشعر أن الشيخ لا يزال يفوقه في الجانب الروحي، وقد أشار إلى ذلك إشارة لطيفة. يقول في قصيدة:

"لم ينهض رومي آخر من ربوع العجم، مع أن أرض إيران لا تزال على طبيعتها، ولا تزال تبريز^١ كما كانت، إلا أن إقبال ليس قانطا من تربته، فإذا سقيت بالدموع أنبتت نباتا حسنا، وأتت بحاصل كبير".

هذه هي العوامل البارزة التي كونت شخصية محمد إقبال، وهذه هي آثار تربية المدرسة الثانية التي تخرج فيها؛ ولا شك أنها أقوى من آثار المدرسة الأولى. فإذا كانت المدرسة الأولى منحته مفردات اللغات المتعددة، وكميات من المعلومات وافرة، فقد علمته المدرسة الثانية كيف يستعمل هذه المعلومات، وكيف يخدم بها نفسه، وأتمته وقد منحته المدرسة الثانية العقيدة الراسخة، والإيمان القوي، والخلق المستقيم، والتفكير السليم، والرسالة الفاضلة.

^١ من محاضرة ألقى في كلية دار العلوم بالقاهرة في ٢٠ من جمادى الثانية ١٣٧٠هـ

الموافق ١٩٥١/٣/٢٨.

^٢ ارمغان حجاز

^٣ مثنوي مسافر

^٤ بال جبريل

^٥ بال جبريل

^٦ أيضا

^٧ بال جبريل

^٨ مدينة في إيران، منها شمس الدين تبريزي، شيخ الرومي في التصوف.

أسرار العشق المبدع في كتابات محمد إقبال

لأنهاري شيمل

أصحاب المعالي، حضرات السيدات والسادة، أيها الأصدقاء.

إنها لمناسبة رائعة أن نتحدث اليوم عن إقبال، خاصة في ذكرى يوم مولده وقد مر منذ يومين.

ولد إقبال في التاسع من نوفمبر سنة ١٨٧٧م في سيالكوت في البنجاب، وتوفي في لاهور سنة ١٩٣٨م، وقد كتب عنه الكثير، كتب وأسفار باللغة الإنجليزية والفارسية والأردية، وبلغات متعددة، كتابات تنقده وكتابات تصفه بالرجعية، وأخرى تسميه تقديماً، ولا نكاد نجد اثنين من دارسي إقبال أو عشاقه يتفقان تماماً في الرأي فيما يخصه، لأن كتاباته تحمل مزيجاً فريداً وهاماً للفكر الشرقي والغربي معاً، وفي رأبي أن خير وصف لطريقه ومؤلفاته ومثله التي يصبو إليها جملة وردت في خطابه في اجتماع حزب الرابطة الإسلامية في الهند في اله آباد سنة ١٩٣٠م، قال عن نفسه: إنه رجل "يؤمن بأن للدين أهمية عليا في حياة الأفراد وكذلك في حياة الدول، وأنه يؤمن أن الإسلام في حد ذاته قدر، بيد أنه قدر لا يتغير".

دعوني أحدثكم قليلا عن إقبال الشاعر والفيلسوف، حتى يجد كلامي موقعه الصحيح في أذهانكم، ولد إقبال في سيالكوت وتلقى تعليمه في لاهور، ثم في جامعة كمبريدج حيث درس الحقوق والفلسفة وفلسفة هيغل، وبعد فترة قصيرة قضاهها في ألمانيا عاد إلى لاهور وعمل أولا بالحماسة، لكنه كان أساسا شاعرا ومفكرا، ودعي إلى حضور مؤتمرات ومناسبات هامة تشمل مؤتمرات المائدة المستديرة في لندن في عامي ١٩٣١م و ١٩٣٢م، وكان قد بلور موقفه منذ ١٩٣٠م. عندما أعلن أمنيته الكبرى: "أن يرى البنجاب ومناطق الحدود الشمالية الغربية (بما في ذلك بدهاهة كشمير)، والسند وبلوتشتان متحدة معا في دولة واحدة، ويعنى ذلك مولد الدولة التي نعرفها اليوم باسم باكستان. كان يحلم بدولة قوية تكون حصنا لشبه القارة الهندية، تدفع عنها جحافل الغزو المدمر التي كانت تغير عليها من الشمال الغربي. كانت ذاكرته تعود إلى الماضي، إلى غزوات جنكيز خان وتيمور وغيرهما. وكان إقبال يعي جيدا دور البنجاب وحدود الهند الشمالية الغربية في تاريخ القارة، وكانت فكرته تقوم على تأسيس دولة تصد تلك الأخطار عن المناطق الوسطى من شبه الجزيرة، وكذلك إتاحة الفرصة للمسلمين للمشاركة في وضع النظم التعليمية والتشريعات القانونية التي يحلمون بها. وكان ذلك هو المغزى لخطابه الشهير باسم "خطاب باكستان" الذي ألقاه في ١٩٣٠م.

لم يكن إقبال رجل سياسة فحسب، كان فيلسوفا وكان شاعرا، قد ألف قصائد شتى باللغة الأردية منذ شبابه، ونشر أول ديوان له باللغة الأردية سنة ١٩٢٤م بعنوان "صلصلة الجرس" بعد عام من نشر ديوانه السابق بالفارسية رسالة المشرق، وكان لقصائده الأوليات اللواتي صاغها بالفارسية وقع خاص كما سنرى — عما قليل — وكان شعره بالأردية ينتمي إلى الأسلوب التقليدي، ولكنه في سنة ١٩١٢م أعلن الشكوى من القدر في شعره الأول مرة، فبعد أن شاهد الأحوال في أوروبا أدرك أن واجبه أن يساند المسلمين في الهند، فرأيناه في قصيدته الرائعة: شكوى (١٩١٢) ينطق المسلمين بالشكوى: إن كل ما في الحياة أضحى صعبا، ها هي حضارتهم القديمة فقدت دورها، ويبدو لهم أن الله قد نسيهم حقا، إلا أنه في رائعته التالية "جواب الشكوى" يلقنهم الله درسا، ويذكرهم بما اقترفوا، وبما فرض عليهم من أعمال لم يؤدوها، وينذرهم ألا يهملوا

فروض دينهم ولا ينسوا حب الله والرسول، وكانت هذه القصيدة مدخلا إلى مرحلة جديدة في حياته.

يروى عنه أنه قال إن الشاعر الصوفي العظيم مولانا جلال الدين الرومي زاره في رؤيا، وطلب منه أن يقرض قصيدة مثوية بالفارسية، أي مستوحاة من رائعة الرومي المثنوي.

وانصاع إقبال للرؤيا، وألف بالفارسية لا الأردية، ديوان "أسرار الذات" ، تبعه بديوان "رموز نفي الذات" ، وحلقت شهرة شعره في الآفاق. لكنه تعرض كذلك لكثير من النقد والهجوم، كان ناقده ينعون عليه الخروج على التقاليد الموروثة للشعر في الفارسية والأردية، إذ تجسد أحلام الشاعر في هذه التقاليد كيف تذبذب الذات وتبخخر كشدى الوردية، ولا ينبغي لإقبال أن يكتب شعرا توضع فيه قطرة الندى الضعيفة هذه، موضع المقارنة بالماسة الصلبة، فتضعف القطرة وتتلاشى. ويتلعها الطير، لكن الماسة تبقى ثابتة، تشع بالنور مهما كان مصيرها، أي أن القوة في نظره هي التي تمكن كل ما في الوجود من البقاء..

كانت مثل هذه الآراء غريبة في نظر قرائه من الهنود، وهي تكشف عن اتجاه جديد في معالجة الحياة في كتابات إقبال، كان في الماضي من أتباع الأستاذ مكتاجارت صاحب المدرسة الهيجلية الجديدة في كميريدج، لكنه اتجه إلى رؤي برجسون وفكرة الدافع الحيوي elan vital فلسفة القوة التي حاول أن يوجد لها سبيلا في التراث الإسلامي. ولم يكن ذلك سهلا ولكنه بالتأكيد كان على حق، وكما أسلفت نشر ديوانه العظيم "رسالة المشرق" بالفارسية سنة ١٩٢٣م، وهو كتاب عزيز علينا نحن الألمان لأنه يمثل الاستجابة الأولى والوحيدة من مفكر مسلم لكتاب جوته الشهير الديوان الغربي للمؤلف الشرقي، أول عمل بالألمانية تأثر بالشعر الإسلامي، خاصة الفارسي، ثم أتبعه بمجموعة من القصائد بعنوان "زبور العجم" ، وفي سنة ١٩٣٢م نشر ديوانه "جاويد نامه" أو "كتاب الخلود" ، وهو في نظري أهم ما كتب إقبال: تصور الإنسان يعرج من فلك إلى فلك بإرشاد مولانا جلال الدين الرومي. يرتفع الإنسان من الأرض ويرقى في نهاية المطاف إلى السعادة الأبدية، بعد الحديث مع سكان الأجرام السماوية السبعة في شعون الحياة السياسية والشعر والتصوف والدين وغير ذلك، يضم هذا الكتاب ثروة من الأفكار، وعندما ترجمته إلى الألمانية وكذلك إلى التركية، قلت —وما زال

هذا رأيي — إنه كتاب ينبغي للجميع قراءته وقد يحتاج إلى شرح أو تعليق..

تلا ذلك دواوينه الأردية "جناح جبريل" ، ومجموعة تتميز بالنقد السياسي اللاذع باسم "ضرب الكليم" ، أي ضربة موسى، يعبر فيها عن نقده للعالم الغربي ومقلديه في المشرق.

بعد وفاته في ٢١ إبريل ١٩٣٨م، جمعت قصائده التي لم تنشر في حياته ونشرت باسم "هدية الحجاز" ، ويظهر منها أن قلبه كان يهفو إلى زيارة الحجاز والأماكن الإسلامية المقدسة، خاصة روضة الرسول..

بدأ إقبال قرض الشعر على نمط الشعر التقليدي في الفارسية والأردية، لكن حدث في فترة كتابته لأسرار الذات سنة ١٩١٥م أن اكتشف الروح العربية، وفاجأ معاصريه بنقده لحافظ الشيرازي وأفلاطون، وحذر مواطنيه من مغبة السعي في حدائق إيران الجميلة، وحثهم على العودة إلى رمال جزيرة العرب، ليعبوا من ماء زمزم القراح، بدلا من ارتشاف خمر فارس المسكرة التي لن تغنيهم فتيلاً في مواجهة مصاعب الحياة، وفي مقدورنا تصور صدمة أصحاب ثقافة اعتادت هذا اللون من الشعر الذي يتغنى بالزهر والبلابل والخمر وكل جميل ناعم في الدنيا، لدى سماع هذه الدعوى الجديدة، إلا أن إقبالا ذكر قراءه بأن الغزال النافر إذا غادر الحرم في مكة وقع فريسة للصيادين، وكذلك المسلمون إذا أغفلوا مركز دينهم وجوهره وقعوا في شرك الأوروبيين وأصبحوا صيدا سهلاً..

لا يكاد من كتبوا عن إقبال يذكرون أن احتفائه بالوجه العربي للإسلام يتخلل حياته كلها، وليس من قبيل المصادفة أنه عاد إلى هذه النقطة في أخريات حياته، فقد ورد في ختام آخر رسالة خطها، قبل وفاته بستة أسابيع، بيت للشاعر الفارسي الكبير خاقاني (١١٩٩م) يقول:

"لا تضع خيط سير الفلسفة الإغريقية على مذيلة جواد "الإسلام" الذي ينتمي إلى أصل عربي" ..

الدين في نظره ولد في الجزيرة العربية، وكانت مثله هي الهادية للمسلمين الأوائل والمتصوفة الذين جاهدوا لحفظ الإسلام ضد المغلاة في تطبيق الأفكار اليونانية في تفسير الإسلام. كانت كلمة إقبال الأخيرة تحذيراً من أسر الفكر اليوناني، ومن تفسير رسالة القرآن من خلال مصطلحات الفلسفة اليونانية، وهذا

بكل تأكيد جانب مهم، فقد سيطرت عليه هذه الفكرة طوال حياته.

ومن الطبيعي أن يحدد إقبال مركز عقيدته بل حياته كلها من خلال القرآن، وفي كتاب الخلود (جاويد نامه) الذي يصور رؤياه العظيمة للرحلة بين الأفلاك، يخصص فصلا باسم، عالم القرآن، يبين فيه أن القرآن يحمل كلمة الله الأزلية، فهو أزلي وأبدي مثل الله، وهو بالضرورة متعدد الجوانب والصفات مثله مثل الله، وفي كل لحظة يكشف لنا عن حكمة جديدة، وكان إقبال يدين بالمبدأ الصوفي التقليدي: أنه إذا لم يوح لك القرآن شخصيا كما أوحى للرسول — صلى الله عليه وسلم)، فلن تفيدك شروح الرازي ولا كشاف الزمخشري شيئا..

في ١٩١٧م كتب إقبال في مقال له، "إن القرآن يفيض بفرحة الحياة وبالنور، وليس فيه مكان لتصوف متشائم أو أمور مظلمة مقبضة". وهذه الجملة ملفتة للانتباه حقا في ضوء فلسفته المتأخرة، وفرحة الحياة، والحماس الخالص لألفاظ القرآن، كما أوحى بها للنبي، من أبرز ما يميز رواه، وهذا بطبيعة الحال يؤدي بنا إلى دور رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أعمال إقبال.

كان إقبال عاشقا للرسول حقا لم يكتب مدائح تقليدية في وصف النبي، إلا أن في مؤلفاته المتأخرة قصيدة من وحي قصيدة البردة للبوصيري، إذ ألم به مرض فرأى في منامه السيد أحمد خان، المصلح الإسلامي في الهند (١٨٩٧م) يذكره أن يتجه إلى الرسول ويطلب منه المدد، بالضبط كما وقع للبوصيري في القرن الثالث عشر الميلادي من شفاء معجز، فكتب البردة الرائعة في مدح الرسول.

على أن إقبال لم يقتصر على ذلك، فالرسول عنده أهم آية وتجل لروح الإسلام، وردت لشاعرنا عبارة جريئة في جاويد نامه: يمكن أن تنكر الله لكنك لا تستطيع أن تنكر الرسول، فالرسول هو الذي قدم الإسلام وفسر ما تلقاه من وحي، ويذهب إقبال مرارا وتكرارا إلى أن الرسول كان الإنسان المثالي، وليس الإنسان الكامل كما في عرف المتصوفة، وصفته أنه: "عبده" كما ورد في القرآن، في سورة الإسراء آية: ١ وسورة النجم آية: ١٠ وغيرهما، وهو حسب رأي إقبال الشخصية المثالية (وهو كذلك عند المتصوفين التقليديين)، ومن المهم أن ندرك أن حبه للرسول يشيع في كل إنتاجه، لذا ينبغي أن نظهر ذلك قبل أي جانب آخر من جوانب أعماله، وبطبيعة الحال ذكر إقبال شخصيات الأنبياء السابقين على

محمد كما ورد ذكرهم في القرآن، وأثنى على إبراهيم أول الموحدين الصادقين لإيمانه بأن بقاء الأمة الإسلامية رهن بالتوحيد الأخلاقي الذي يمثله إبراهيم عليه السلام، وكان موسى كلیم الله أعز لديه حتى من إبراهيم، ولا يدهشنا أنه سمى آخر ديوانه له باللغة الأردية ضربة الكلیم، فكما شق موسى الجبل ليخرج الماء من الصخر، وكما ضرب بعضا البحر الأحمر ليعبر شعبه، كان الشاعر يذهب إلى أننا بضربة قوية يمكننا بالتأكيد إنقاذ المؤمنين، أو على الأقل نقترب من إنقاذ المسلمين في أيامنا هذه.

وفي نظره، كان موسى ذو اليد البيضاء أتمودجا للنبي صانع المعجزات، ويظهر هو وإبراهيم كسلف لنبي الإسلام، وهذا صحيح، ولا يلعب عيسى دورا هاما في كتابات إقبال، مع أنه كان من المعجبين به كما يتضح من جاويد نامه، إلا أن المسيحية كانت في القرنين التاسع عشر والعشرين ترتبط في أذهان المسلمين في الهند بالاستعمار والإمبريالية، ولذلك لا يلعب المسيح دورا هاما في مؤلفات إقبال وغيره من مفكري وشعراء تلك الفترة، كما كان الحال في الشعر الفارسي الكلاسيكي.

أما شخصية الرسول فهي محورية في فكر إقبال في مجموعته. كتب في عام ١٩١٢م، في جواب الشكوى: "أضيق العالم الذي طال إظلامه باسم محمد المنير"، على أننا نجد أروع وصف لدور الرسول في منظومته الثانية أسرار نفي الذات، وهو أكثر دواوينه اهتماما بالسياسة وأكثرها توجهها نحو القرآن، حيث يقول: "حب الرسول يجري كالدم في عروق الأمة". وهناك بيت آخر يأسرني دائما بجماله إذ يشبه الأمة بوردة لها مائة بتلة تنضح شذا واحدا هو روح الرسول، ولا أذكر أنني عثرت على وصف لدور النبي فوق هذا البيت جمالا.

كان إقبال يشعر أن روحه موصولة بالنبي، وكان على يقين أن الرسول هو المثال الأعلى للإنسان، بصفته "عبده"، فإن عبد الله، حر ومقيد إلى الله في نفس الوقت، وإذا نظرت في لغة الشعر عند إقبال تجده يشير إلى دور النبي في موضعين ظاهرين، ومن السهل فهم إحدى الإشارتين أما الثانية وهي الأهم فلا تظهر لنا بسهولة.

إن عنوان ديوانه الأول باللغة الأردية، (بانج — درا)، يعنى صلصلة جرس

القافلة، وهنا يجد الشاعر نفسه يقوم بدور الجرس الصغير المربوط إلى خف ناقه الرسول، ليدل برنينه على الطريق إلى قلب مكة، وهذه صورة يمكن للجميع فهم معناها بسهولة، وترد الإشارة الثانية في جاويد نامه، حيث تسأل بعض الأرواح المقيمة بالأفلاك جلال الدين الرومي عن رقيقه ذلك في السفر (أي إقبال)، ما اسمه؟ فيرد عليهم بأن اسمه "زنده رود"، ويعنى "النهر الحي" وهو اسم شاعري جميل على أي حال علي أننا بالرجوع إلى جوته، أستاذ إقبال العظيم، نجد في قصيدة من قصائده المبكرة يصف محمدا بالنهر، فهو نهر ذو قوة وجلال، ويفصل الشاعر الألماني هذه الصورة في أنشودة محمد: كما يبدأ النهر من ينبوع صغير، ويكبر ويتسع حتى ينتهي إلى المحيط العريض العظيم الذي يشمل الكل، يمكننا تصور بداية النبي نبعا صغيرا يتسع ويتسع ليشمل برسائله مزيدا من الناس والأقطار ليؤبوا جميعا إلى الله.

كان إقبال قد ترجم قصيدة جوته هذه ونشرها في ترجمة حرة في رسالة المشرق، لأنه أعجب بتعبيرها، ولم يدرك جوته ولا إقبال أن متكلما شيعيا من القرن العاشر وهو الكليني قد استخدم هذه الصورة بالضبط لوصف النبي برمز بارع.

هكذا يحس إقبال أنه "يحاكي" النبي في كتاباته فهو ليس نبيا بطبيعة الحال، بل هو إنسان يسير في إثره بخطى لصيقة، وهذه الفكرة إذا حفظناها في ذاكرتنا تساعدنا على مزيد من الفهم لفكره. وفي قصيدة من قصائده الأخيرة يعبر عن اشتياقه لزيارة الروضة في المدينة حيث قبر الرسول، والواقع أنه لم يؤد فريضة الحج ولم يزر قبر الرسول في المدينة، لكنه كتب في مقطوعة من أشعاره الأخيرة:

أنا الشيخ أهفو للرحيل إلى المدينة
لأنشد هناك أغنية تزخر بالحب
كالطائر في ليل الصحراء
ينشر جناحيه بينما يفكر في عشه

كان ذلك مركز تفكيره، إلا أن هناك ما يمكن إضافته بالنسبة لحبه للرسول، ففي الفصل الخامس من كتابه الشهير: "محاضرات في تجديد الفكر الديني في الإسلام"، يبدأ بحكاية عن متصوف هندي من منتصف القرن السادس عشر الميلادي، قال: "محمد النبي العربي عرج إلى أعلى مدارج السماوات، ثم عاد،

وقسما بالله لو أنني وصلت إلى ذلك المكان ما كنت لأعود أبدا" ..

ويضيف إقبال: إن هذا موقف متصوف كبير فهو يود البقاء في نعيم أبدي، في حضور الله، وألا يعود إلى العالم، أما النبي فيعود ليحدث الناس عن تجربته في الحوار القريب من الله، وليعلم الإنسانية ما تلقى من وحي الله، وهذا بطبيعة الحال تطبيق مثير للاهتمام لمقولة في تاريخ الأديان تفرق بين الاتجاه الصوفي والاتجاه النبوي في الدين، ومن المؤكد أن إقبال يمثل ما يسمى بالاتجاه النبوي، كان سعيه أن يبشر الناس بمشاعره وتجاربه..

هذا النموذج أوضح ما يكون في حياة الرسول ولا أعرف إن كان إقبال قد فكر في الموضوع على هذا النحو، لكن ما حدث أن محمدا بعد تجربته في غار حراء حيث تلقى الوحي لأول مرة، خرج إلى الناس ليبشرهم بما ألقى إليه، وفي حالة ثانية بعد أن عمل لنشر دعوته في مكة غادر موطنه، وخرج إلى العالم لينشئ دولة تشكل قاعدة الحياة الجماعية السياسية، وهذا التناوب (التبادل) بين ما سماه إقبال الجلودة والخلوة يبدو واضحا في جوانب أخرى من فكره، وبالذات التأكيد على أن للحياة وجهين أو جانبين، فكما نعلم جميعا أن الحياة لا تقوم إلا بين قطبين: ضربات القلب، تردد النفس، كل شئ يقوم على الثنائية وكما يقول جوته:

في تردد الأنفاس نعمتان
مرة في الشهيق ومرة في الزفير

تتنشق النفس ثم تخرجه، وكذلك ضربات القلب: لا يحيي شئ إلا بهذا النشاط الثنائي، ويمكن تطبيق هذا على تجليات الله وآياته.

أذكر عندما عملت أستاذة في جامعة أنقرة، حاولت أن أعلم تلاميذي المسلمين كيف وصف فيلسوفنا الألماني رودلف أوتو الإله عز وجل بمفهوم السر الجليل أو العظيم، *mysterium tremendum*، والسر الخلاب *mysterium fascinans*، فقام أحد الطلبة وقال: إننا نحن المسلمين نعرف هذا منذ ألف سنة، ونتحدث عن جلال الله وجماله، كوجهين للإله كشفهما لنا، وهي نفس الفكرة التي يعالجها إقبال، وإن سلمنا بأن جانب الجلال في مفهومه عما هو إلهي يبدو أقوى من جانب الجمال.

فكيف إذن يرى الله من خلال هذا الوصف؟ الله عنده هو الذات الأعظم أو الأنا الأعظم "خودي" ، وقد لقيت فلسفته عن الذات نقدا من الباحثين الغربيين والمشاركة لأن لفظ خودي بالفارسية يعني في الغالب الأنانية والاستنثار الخ... إلا أننا إذا عدنا للقرن الثالث عشر وقرأنا مولانا جلال الدين الرومي نجد في كتابه الثري فيه ما فيه، يستخدم كلمة "خودي" بنفس المعنى الذي يرد عند إقبال: "أعمق أعماق الوجود" عند الشخص أو الشيء، فهي الجوهر بلا منازع، فعند إقبال كل شيء في العالم مكون من أنوات صغيرة وأنوات أكبر، ذوات في أشكال مختلفة، والله أعظم وأشمل ذات لا يقدر على وصفه إنسان، نعرف جميعا أنه من المستحيل الوصول إلى الإله الباطن (الذي لا يراه أحد) Deus absconditus، لا يمكن الوصول إليه بالعقل ولا بالحب ولا بشيء آخر، لكننا على الأقل نقرب منه عندما يتجلى لنا في كلماته، يقول إقبال في محاضراته: إنه ما نعرفه أنه الله وصف نفسه كفرد، ووصف نفسه بـ "أنا" عندما سمى نفسه في القرآن باسم الله، وهذا يدل على أنه ذات نتجه إليها ونلوذ بها..

ويذكرنا هذا بفلاسفة الدين المحدثين في أوروبا مثل فيلسوف اللاهوت البروتستانتي العظيم باول تيليك القائل: من الواجب تمثيل الصفة الإلهية بـ "أنت" ، فلا سبيل إلى لقاء حب بكيان بعيد أو محايد" ، فالله هو الأنا العظمى التي تسع كل شيء، وكما ورد في القرآن هو يشجع الإنسان أن يدعو ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾¹ وهذا في نظر إقبال دليل ذاتية الله العظمى، أما في شعره فيبرز من صفات الله "الكبرياء" وهو تعبير اتخذه بلا شك من شعر جلال الدين الرومي، حيث تحيط به عز وجل صفة الكبرياء (العظمة)، ولعل كثيرا منكم يتذكر الحديث القدسي البديع "الكبرياء ردائي" مما يفيد أن ذلك وجه يمكن أن نأمل ولو قليلا في لمسه.

في رأى إقبال يجب أن يقتزن الدين بالقوة، والقوة خطيرة وشيطانية إذا انفصلت عن الدين، فلا بد أن يعمل الاثنان معا، لبناء مجتمع جديد أفضل من القديم، في فكر إقبال أن الله هو الحي القيوم، وهو مفتون بقول القرآن "كل يوم هو في شأن" ، ويفسر هذه الآية بطريقة فلسفية في محاضراته بقوله: "ما لا يزال في طور التكوين، يعني أنه الإدراك الثابت لاحتمالات الخلق اللامتناهية للوجود الإلهي الخالق" ، هي التي تحفظ كماله ووحدته طوال العملية جميعها، أي أن الله

يخلق دوما، ويعمل دوما، لكنه لا يتغير أبدا في أعماق وجوده..

يجدر بنا كذلك أن نتأمل تفسير إقبال لألفاظ الشهادة، إذ يركز على العلاقة بين "لا" و "إلا" كما فسرها المتصوفة في العصور الوسطى، فبدون "لا" أي دون النفي لا يمكن تأكيد الإيجاب، فمن "لا" يندرج الصعود إلى "إلا" ، كما يقول شعراء الفرس "من إله لا إلى الأعلى" ، وبالإضافة إلى ذلك يشكل اللعب على "لا" و "إلا" أحد الجوانب الهامة لشعره وفلسفته، ومنه نتطرق إلى تفسير ذي أهمية للحياة.

يذهب البعض إلى أن إقبال تأثر كثيرا بالفيلسوف الألماني نيتشه، وقد أقامه منزلا فيما بعد الأفلاك في "جاويد نامة" ، يظهر نيتشه وقد توقف عند "لا" ، يعنى في النفي إذ أنكر الله وقصر عن الإثبات (اليقين) والتوكيد، ولو أنه خطأ خطوة واحدة في اتجاه الإله، أي "إلا الله" على حد قول إقبال، لوجد الدين الحق، لوجد الإله الذي ظن أنه "مات" ..

وهنا نقف عند تفسير إقبال للإنسان، ويقال إن نيتشه هو مصدر تصور إقبال للمثل الأعلى في الإنسان على أنه المحارب العظيم أي نوع من السوبرمان، وكانت مثل هذه الأفكار شائعة في الفلسفة الأوروبية في مطلع هذا القرن، إلا أن صورة إقبال للإنسان المؤمن لا تمت بصلة إلى السوبرمان، لأن هذا الأخير لا يظهر إلا بعد "موت الإله" ، وهي فكرة لا تطرأ بطبيعة الحال على ذهن مفكر تقي مثل إقبال، ولا يحمل الإنسان المثالي عند إقبال شيئا من ملامح "الإنسان الكامل". كما صورته الفلسفة الصوفية، والأرجح أن المؤمن المثالي عند إقبال يعمل مع الله فيكمل كثيرا مما خرج ناقصا في هذه الدنيا، ويحسن ما لم يكتمل على هذه الأرض..

من أشهر قصائده في ديوان "رسالة المشرق" قصيدة تصور مناظرة بين الله والإنسان، يتفاخر الإنسان موجه حديثه إلى الله.

"خلقت	الظلام	فصغت	السراج
وطينا	خلقت	فصغت	الكنوسا
خلقت	جبالا	وبيدا	وروزا
خلقت	حدائق	سها	والغروسا

أنا من أحجار صنعت مرابا
أنا من سموم صنعت دوايا^٢

يمكن القول إن هذا طموح فائق للإنسان، ربما أورده مورد الخطر، واتهم بعض ناقدِي إقبال — خاصة في العرب — اتهموه بتصوير إنسان معتد بنفسه لا ينطوي على توقير للإله، وليس هذا صحيحا على الإطلاق، وفي رأسي أن الإنسان المؤمن، كما صورهُ إقبال، على وعي في نفسه بالمفارقة بين الحرية والعبودية (عبوديته لله)، وهو بذلك الإنسان المثالي، كما تجلّى لأول مرة النبي بصفته "عبده"، ومعنى هذا التعبير "عبد الله" هو الإنسان الحر، أي عبد الله في حرية، وهذا حسب فهمي تعريف إقبال لدور الإنسان..

ومن المهم أن نذكر هنا أمرا يتعلق بموضوعنا عن العشق المبدع، وهو أن هذا الإنسان ليس كائنا ساكنا أو ثابتا، بل تشمله حركة نمو مطرد، فالكون كله في نظر إقبال في نمو كل دقيقة وكل ثانية، حتى أصغر "أنا" في الوجود يريد أن يبرز ويرقي إلى مكانة أعلى، وهذا السلم الصاعد للأنوات شائع في كل المخلوقات، وفي هذا التحلي لخير ما في الإنسان من صفات، نجد عاملا مهما وهو الصراع ضد إبليس، ضد الشيطان، وقد يبدو غريبا أن إقبال منح ذلك الدور المتعاضم لقوى الشيطان، وقد تصدمنا قراءة أوصافه، على أن شيطان إقبال يبدي جوانب في نفسه مأخوذة عن موروثات أدبية ودينية متنوعة، فهو من ناحية متكبر، قال "أنا خير من آدم. فحلت عليه اللعنة، ومن ناحية أخرى يضم طرفا من شخصية مفسستوفل عند جوته، يرسله الله إلى الإنسان ليجره، فيكون له عوناً على التنامي، وهذا هو وجه الشيطان الذي يفضلهُ إقبال، وقد وصف نشاطه هذا في قصيدة عظيمة تقع في خمسة أجزاء في ديوانه "رسالة المشرق" سماها "تسخير الفترة". يصور فيها طرد آدم من الجنة، ثم حياته على الأرض في صراع ضد قوى الشر، فهذا الصراع هو الذي يضيف عليه شخصية إنسانية حقة، وهذه الحرب ضد قوى الشيطان، حرب في مواجهة عدو قوي، هي قدر الإنسان ودوره المنوط به، ولذا يفتخر الشيطان في قصيدة من قصائد إقبال قائلا "أنا الذي يعطي الحياة ألوانها وتنوعها".

ولعل أقوى وصف لهذا الوجه الشيطاني ورد في نهاية فلك المشتري في "جاويد نامة"، يظهر فيها الشيطان كما وصفه نتشه: رجل مسن حزين يشكو

من الإنسان. ولم؟ لأن الإنسان أغشى من أن يفهم غواياته. فلا يجد الشيطان العجوز متعة في مصارعة هذا المخلوق التافه، وما يريده الشيطان يطلبه من الله: "أعطني إنسانا يصطرح معي ويغلبني في النهاية"، ويتبع ذلك حل إقبال العبقرى: إن إبليس، وقد غلبه المؤمن الكامل، يسجد في النهاية أمام الإنسان، وهو الذي رفض السجود لآدم في بداية الزمن.

من الطريف أن تقرأ شكوى إبليس المسكين وقد أصابه الملل منا "نحن الآدميين". ويعلم إقبال بطبيعة الحال أن إبليس المخلوق من نار، الذي رفض السجود لآدم، يشير بعض الاهتمام، مما قد يفيد في تطور الإنسان، إلا أن هناك أشكالا لإبليس مصنوعة من طين، شياطين آدمية أسوأ من الشيطان الحقيقي. يستخدم إقبال عبارة "إبليس من طين" وهي عبارة قديمة استخدمها في القرن الحادي عشر الفيلسوف الإسماعيلي الكبير ناصر خسرو، ويدين له الشاعر بكثير من الإلهام، ويتكرر ظهور هذا النوع من الشيطان في كتابات إقبال المتأخرة. تضم قصيدة من قصائده المأسوية نقاشا بين الشيطان ومريديه في السياسة، وهي قصيدة تمتاز بقوة الرؤية المستقبلية، وتكشف كثيرا من التطورات التي شاهدناها في العقود الأخيرة. وأعود إلى القول بأهمية دور إبليس بوصفه مسعولا عن وصول الإنسان إلى مراتب أعلى في الحياة، لأن الرغبة قائمة دوما للتدرج إلى مستويات أعلى وأعلى، والصراع مع قوى الشر يقوى الذات وينميها. ومن أهم أفكار إقبال أنه كما زاد اضطراعنا (مع الشر) علت درجة وصولنا، ومن الأفكار الكلاسيكية التي يتبناها أن "في الأعمال العظيمة تتوحد ذات الإنسان في الله دون أن تفقد هويتها". هذه العبارة لا تعني تلاشي الصوفي في الإله الحق تعالى، بل نمو الذات بحيث تقترب وتزداد قربا من الله، وفي التوحد مع الله بدون فقدان الهوية تعبر حدود الزمان والمكان. قال إقبال في محاضراته بعد حديث جميل عن أهمية الصلاة وصلاة الجماعة بالذات: "العمل أعلى درجات المراقبة". وألفت نظركم إلى لفظ "الزمان" في الحديث عن الذات وكيف تعبر حدود الزمان والمكان، فتصور إقبال للزمان ذو أهمية قصوى لفهم فكره كله، فهو ينظر إلى الزمان على مستويين: "آفاقي" و "أنفسي"، زمن الآفاق وزمن الذات، الأول يتعلق بالعالم الخارجي، والثاني نحمله بأنفسنا في قلوبنا. في جاويد نامة يظهر لنا "زروان" إله الزمن الإيراني القديم، يعلم الإنسان أن يمزق "زنانر" الزمان (والزنانر كان شعارا

للكافرين). أما الزمان فإنه أول ما يخلق في الوجود، فإنه هنا، ونراه من لحظة لأخرى، ومن سنة لسنة أخرى، ثم يقفز إلى حزام طويل، حزام مثل الحزام الذي كان من عادة الكفار أن يرتدوه حسب تقاليدهم.

والمؤمن الحق من يمزق هذا الزنار، هذا القيد أو الحزام ليجد نفسه ولو للحظة في "زمن الله" الذي لا قبل له ولا بعد، فيمكنه أن يقول مع الرسول — صلى الله عليه وسلم — "لي مع الله وقت"، إنها تجربة الحب العظمى إذ نمسك بما لا نهاية له في لحظة واحدة.

أدرك إقبال أن حياتنا لا تتطور بمحض الصدفة: "إن أفعالنا، وخاصة أفكارنا وأحلامنا، هي التي تلون نمونا"، أن أفكارنا الكامنة في اللاوعي، والتي تطفو بطيئة في الوعي هي التي تشكل حياتنا.

وقد عبر جوته عن هذه الفكرة في عبارة بديعة: إن الإنسان الذي يتخيل شيئاً ويحلم هو القادر في النهاية على تحقيقه أو على الأقل الاقتراب من أهدافه.

وفي رأي إقبال يصدق هذا القول على علاقتنا بالله وبالحياة، وقبل كل شيء بالموت، كانت له مفكرة صغيرة دون فيها تأملات متناثرة، سجل فيها في سنة ١٩١٠م هذه الفكرة: "الخلود للشخص ليس حالة، إنه عملية متصلة"، ويزيد على ذلك أنه يعتقد أن الخلود الشخصي ليس متاحاً للجميع، بل يمنح فقط للأقوياء، فالشخص الذي يقهر صدمة الموت الجسدي قادر في النهاية على مزيد من التطور (والتنامي) بعيداً بعيداً في الحضرة الإلهية. ومن الطبيعي أن كثيرين من معاصري إقبال التقليديين لم يتقبلوا هذا التفكير، وما زال موضع نقد من كثيرين ممن يعجبون به في أمور أخرى، على أنه من الضروري أن ننظر إلى الموت والأبدية من زاوية مختلفة تماماً، فالموت هو خبرة الإنسان بما فعله في حياته، ولذا فالجحيم عند إقبال ليس إلا شكوى الأنا الإنسانية وعذابها وقد فشلت في تحقيق طموحها والوصول إلى أهدافها، أما عن الجنة فيقول: "إن نعيم الجنة هو فرحة الانتصار على قوى التحلل"، هي ليست جنة ساكنة ثابتة، بل هي نمو، ازدياد بلا نقصان، وهو يصوغ تلك العبارة الجميلة: "ليست الجنة إجازة فسحة!"

ما زلنا في حاجة إلى تطوير أنفسنا في الأبدية، لأنه إذا كانت الأبدية تعني الحياة أبداً، فلا بد أن تستمر الحياة والحركة خلال الأبدية. هناك مصادفة شيقة

يثيرني التفكير فيها دائما: سجل الأسقف السويدي البروتستانتي تور اندراي نفس الأفكار بنفس الألفاظ تقريبا في كتاب منشور في السويد، في الوقت الذي كتب فيه إقبال محاضراته. كان الأسقف السويدي عالما بالإسلاميات، طور في كتابه فكرة أن الموت ليس نهاية حياتنا، بل هو مجرد بداية لمرحلة جديدة، وهذا ما نجده في التصوف القديم الكلاسيكي، عندما تنتهي الرحلة إلى الله، تبدأ الرحلة في الله، ومثل هذا التفسير للجنة والنار ينطوي على كثير من المحاذير في نظر كثير من المؤمنين التقليديين.

على أنني شخصا أرى أن هذا الموضوع في غاية الأهمية في تدوقنا وتقديرنا لآراء إقبال، وهنا نجد دور العشق المبدع. ما هو هذا العشق؟ العشق في كتابات إقبال يعادل ما يسمى عند الفيلسوف برجسون "الدافع الحيوي Elan vital وكان إقبال عظيم التقدير لبرجسون، إنه القوة التي تخلق القيم، ولا ترضى أبدا بما أبدعت، قوة تغير ما بالإنسان في كل لحظة، إنها رمز لتجربة الحدس 'حين يدرك الصوفي الحقيقة كاملة في لحظة واحدة تستعصي على الاكتمال'. العشق هو هذه التجربة التي قد تمنح للمؤمن في منتصف الطريق أو في آخره. العشق هو الرعاية في التمثل. إنه على حد قول إقبال 'أرقى صورة لإبداع القيم والمثل العليا، والجهد لتحقيقها'، وعند الحديث عن الذات في ارتقائها سلم "الأنوية" من الصعب أن يتحقق لها ذلك بدون العشق الخلاق، فكل ما تحققه في كل حركة، في كل شيء، يتم من خلال الدافع الحيوي على حد قول برجسون.

كان أستاذ إقبال في التصوف، جلال الدين الرومي، وتشابه أفكارهما في الشؤون الروحية، وأناشيد إقبال إلى العشق تكاد تطابق حتى في كلماتها أبياتا من المثنوي. وفي المقابل نجده لا يرتاح إلى فلسفة ابن عربي، حقا أثني على ابن عربي في أطروحته المكتوبة سنة ١٩٠٨م، لكنه بمرور الوقت وجد فكره متأثرا بالأفلاطونية الجديدة، أما جلال الدين الرومي فكان أستاذه العظيم، علمه أسرار الذات، ولم يقتصر عليها بل علمه أسرار العشق، "العشق أن تصبح حياتك سيرا على الجمر"، هو القوة التي تدفع الناس إلى الدين الحق.

في أواخر عمره كتب إقبال بيتا جريئا من الشعر يقول: "إن صيحة الله أكبر" واحدة، تفور بالنار والقلق، لا مكان لها في الصلوات الخمسة"، أي أنها تفوق صلوات الفرض لما تنطوي عليه من قوة، فهي أقوى من أي شيء وأبعد

أثرا.

كان إقبال شديد الاهتمام بالفقه الإسلامي، وكانت له محاولات لتفسير الإسلام من وجهات نظر حديثة تختلف عن آراء "الشيوخ". كان شديد المعارضة لسطوة "المولويين ومشايخ الطرق الصوفية"، وكان يرى في سلطان هؤلاء المشايخ خطرا يتهدد العشق الحقيقي والحياة الحقة، والواقع أن سيطرة المرشد الصوفي على عقول أتباعه — وهم في كثير من الأحيان أميون — لا يمكن أن تساعد على تقبل الأفكار الجديدة التي ينادى بها إقبال، وكان دور المولويين في نظره بنفس الخطورة، فهم ينتحون طبقات فوق طبقات من التفسير والحواشي أو التعليقات لكتب الفقه وللقرآن، ولا يعرفون شيئا عن قوة العشق المشتعلة، يعقد إقبال مقارنة بارعة بين الملاي وقارون "الذي دفن تحت أثقال الثروة التي جمعها". فيسميه "قارون القواميس العربية"، فهو لا يملك إلا مئات القواميس والمراجع حيث يبحث عن معاني القرآن والحديث فيبقى مقيدا في التراب، ولا يتوهج أبدا بنار العشق.

يعرف إقبال جيدا أن ذلك العشق المشتعل يتجلى في دعاء الإنسان، لكن الصلاة والدعاء لا يقامان من أجل الفرد. فالفرد قد يدعو الله كما يشاء وليس له أن يشكو إذا لم يستجب الله لدعائه، فالأهم من ذلك أن الإنسان في اتصاله بما هو إلهي في مناجاته، في تقربه من الإله الحي لا بد أن يتغير، فالصلاة تحقق الفائدة عندما يمنح الله الإنسان الفرصة ليعمل مع الله، ويتقبل إرادة الله فتصبح هي إرادته، وعندئذ فقط يمكنه أن يغير العالم بدعائه وصلواته، وفي رأيي أن هذا الجانب من فكر إقبال جدير بمزيد من البحث من جانبنا.

الطبيعي أن هذا الحب أو العشق — كما يسميه إقبال — كثيرا ما يقابله بالعلم وكذلك بالعقل، وهو يستخدم لفظ "العلم" بمعنى العلم الطبيعي: العشق تركيب أما العلم: فتحليل، ولا بد أن يعمل الاثنان معا.

في إحدى قصائده الكبرى في ديوان "رسالة المشرق" يبين إقبال أنه بدون العشق وقدرته على التوليف والتركيب يصبح العلم من مظاهر الشيطان، ولكن بالتعاون بين العشق والعلم يمكن بلوغ الفردوس على الأرض، وهذه القصيدة تعبر خير تعبير عن إيمانه بالتفكير التوليفي بدلا من الاتجاه إلى التحليل الجاف، في

شعره شبه الإنسان الذي يقصر اعتماده على العلم بدودة الكتب التي تعيش بين صفحات الفلاسفة الكبار مثل الرازي والفارابي بكل ما تحويه من جمال، لكنها لا تعرف شيئاً عن الحياة في الحقيقة، ويقابل بين هذه الدودة والفراشة التي تلقى بنفسها في اللهب لتذوق لحظة واحدة من الوجد.

العشق عند إقبال يشبه بالنبي المصطفى — صلى الله عليه وسلم —، والعقل الجاف هو أبو لهب، وفي قصيدة يجمع فيها بين جوته وأستاذه الشرقي مولانا جلال الدين، يقتبس بيتا للرومي يتفق عليه الاثنان "العقل الماكر من الشيطان، أما الحب، العشق فمن آدم". وله بيت أجمل يحسن قرأه من المسلمين فهمه: "العلم ابن الكتاب أما العشق فهو أم الكتاب" — التي أنجبته — وتعني عبارة "العشق أم الكتاب" أن العشق أساس كل شيء، هو الدافع وراء كل وحي أو كشف.

يقول: "العقل هو السؤال المكشوف، والعشق هو الجواب المخفي"، ولم يكف إقبال يوماً عن وصف هذا العشق في صور بديعة، وباذحة أحياناً، وفي الأبيات التالية — من فترة متأخرة في كتاباته — خير تعبير عن سر هذا العشق الجريء: "العشق يقفز في نار النمرود بلا تردد والعقل ما زال ينظر من أعلى السقف"، فالعقل يتأنى، ولا يجرؤ على إفناء نفسه في لهب الحب، لكن العشق لا يبالي، لأنه يعلم أن الطريق الصحيح هو الفناء في نار الإله الحق تعالى. وفي أبيات أخرى يستخدم مجازاً شهيراً من الشعر الفارسي الكلاسيكي، صورة الملك الفاتح محمود الغزنوي، الذي فتح معبد الأوثان في صومناط بالهند، ويقول:

"العالم أجمع يسجد للعشق
العشق هو محمود الذي فتح صومناط العقل"

فالعقل مثل المعبد الوثني يجب أن يغزوه العشق الذي وسع كل المخلوقات، ومثل هذه الأفكار تتردد في كتابات مولانا جلال الدين ولكنها هنا ترد في سياق أحدث، يعيننا جميعاً، ولنذكر دائماً أن إقبال يعرف أن هذا العشق لا يحق إشباعه أبداً، يقول "باول تيليك" عالم اللاهوت الألماني الذي ذكرته سابقاً "إشباع العشق سعادة فائقة، وهو في نفس الوقت نهاية السعادة، لأن النشاط لا يتحقق إلا بالفراق". يقول إقبال:

"يبدأ الناي في الغناء عندما يُجث من حقل القصب
لا نشاط ولا خصوصية بغير انفصال الناي من الحقل"
هذا الجانب الهام في كتابات إقبال يسميه "الجهد الذي لا ينتهي بالتمام"،
وهو في هذا قريب من جوته، فالشعر الذي يكتبه عن اللقاء مع الحور العين في
الجنة تشيع فيه حرقة الحب الذي لا يرتوي، فالإنسان لا ينشط ولا يبدع القيمة
إلا وهو في انتظار بلوغ الهدف، وبقدر قوة الشوق عنده تكون قوة القيمة التي
يخلقها وعظمتها.

هذا الجهد الذي لا ينتهي إلى تمام، هذا الشوق والاشتياق الدائم إلى مزيد
من القرب والتقريب إلى القيم العليا يلون فكر إقبال، ولم يقتصر في تعبيره عن
هذه الأفكار على النشر الفلسفي في محاضراته الستة (١٩٢٨)، بل أكثر منها
في شعره.

وجد كثيرون — خاصة نقاد الغرب — تناقضا في نثر إقبال الفلسفي، وهذا
ممكن، وربما وجد بعض القراء غرابة في دمج الفلسفة الأوروبية بالفكر الإسلامي
الكلاسيكي، على أنني شخصا أوصي دائما بقراءة شعره كله، الفارسي والأردني،
مع قراءة أفكاره (كتبه) الفلسفية، لندرك قدر عظمته ورحابة فلسفته.

والغريب أنه ادعى بأنه لم يكتب الشعر إلا لأغراض عملية، فالشعر في رأيه
فن تنحصر قيمته في حفز الناس إلى الإبداع: "أسمى الفنون ما يوقظ قوة الإرادة
النائمة، ويحفزنا إلى مواجهة محن الحياة برجولة وشجاعة" كانت هذه فكرته،
ولهذا السبب انتقد أجمل أشعار حافظ الشيرازي الجميلة العذبة، أما شعره هو
فيزعم أنه كتب لأغراض عملية، فالناس في شبه القارة الهندية لم يعتادوا قراءة
الكلام الفلسفي أو الإنصات إلى المواعظ المطولة، لكنهم يحبون الشعر ويطلبونه،
فيمكن أن تخاطبهم بالشعر، وشعر إقبال كما يعرف قراؤه قوي التأثير. قوي
الإيقاع، ويمكن حفظه توا عند سماعه، ومن خلاله شاعت أفكار إقبال وانتشرت.

وقد حور في شعره كثيرا من الرموز القديمة بدون أن يستغني عنها، فالناس
اعتادوا سماع البلايل وقصصها الشهيرة في حب الورود، حقا تغير في شعره معنى
هذه الرموز التقليدية وحلت رموز أخرى محلها في بعض الأحيان، فطائر الحب
عنده، طائر الروح، ليس البلبل الشاكي بل الصقر، ذلك الطائر القوي الذي

يحمل قلب الإنسان بعيدا كما يحظف فريسته ويحملها بعيدا، لا نهاية للبحث عند الصقر، وهو ليس حنونا أو ضعيفا وتفتح أمامه آفاق جديدة في كل لحظة، آفاق تترامى من النجوم إلى الشمس والقمر وما بعد الأفلاك إلى الأبدية. كثير من أهل باكستان في أيامنا رسموا هذا الصقر أمام خلفية من السماء الزرقاء، وكتبوا عليها عبارة إقبال: "مازال أمامك مزيد من الآفاق الجديدة".

وما دام الصقر هو طائر الروح على حد قوله — وبالمناسبة كان كذلك في شعر الرومي — فزهرته المحبوبة هي زهرة التوليب (ويشبه التوليب الذي في الشرق بشقائق النعمان الحمر) وقد سمى أحد مجموعاته الأولى من الشعر الفارسي في رسالة المشرق "زهر توليب سيناء" لأن الزهرة تشبه الشعلة، وقد رأى موسى شعلة الله في الشجرة، تغطي أزهارها الصغيرة الحمراء الصحراء الواسعة، وسفوح التلال في الربيع، مما يذكر الشاعر بتحليلات كبرياء الله، وبعظمة الله في العالم. وكثيرا ما شبه المؤمن الصادق بهذه الزهرة، زهرة وحيدة، تتفتح أوراقها بقوة الإرادة، لتلمع وتضوي في الظلام، ويقول أن أزهار التوليب ستتمو علي قبره لتكشف أن قلبا مشتعلا مدفون فيه.

وسلك إقبال المنحى نفسه حيال الرموز التقليدية، ولأخذ مثلا واحدا من صورة الحلاج الشهيد الصوفي الذي قتل في بغداد سنة ٩٢٢، وقد شاع أمره في التاريخ الإسلامي لقوله "أنا الحق" يظهر الحلاج فيه بصفته أستاذ العشق الخلاق، وهو يحدث الشاعر في فلك المشترى بأنه سابق عليه، فهو الذي حاول أن يضرم البعث في أمة ميتة العقل والروح، وهذا هو هدف إقبال في شعره، فالحلاج يمثل صورة سابقة لمحاولته بعث يقظة الروح في قوم بدوا في موات، وهذا في رأي يظهر عمق مشاعره نحو الماضي ونحو المستقبل كذلك.

جدير بالذكر أن الفيلسوف الألماني "رودولف بانقيتز"، وهو من مدرسة نيتشه، كان معجبا بإقبال، وكثيرا ما ناقشنا كتاباته في السنوات السابقة على وفاته، كتب فصلا في أحد كتبه بعنوان قصيدة الزمن، وهذه ليست ترجمة دقيقة للمعنى الألماني:

"إنها قصيدة تعنى أكثر من الشعر، إنها رسالة سياسية روحية". وكما يصفها بانقيتز هي قصيدة تثير في قلوب المعاصرين عملية إنتاج خلاقة أقوى من أي زمن

حاضر، قادرة على انتزاع المستقبل من رحم الحاضر" .

وفي رأبي أن هذا ينطبق تماما على شعر إقبال، لأنه كان شاعرا يهدف إلى خلق قيم جديدة، وأن يبين لقومه طريقا جديدا، وهذا هو الشعر الذي ذكره في جاويد نامه.

"إذا كان هدف الشعر خلق رجال حقيقيين وتشكيلهم، فالشعر وريث النبوة."

كلمة جريئة قالها في سياق تأمل دوره في العالم، ولا شك أن إقبال كان واحدا من الشعراء الذين حمل شعرهم إرث النبوة. كتب هرمان هيسه، الكاتب الألماني العظيم، مقدمة بديعة لترجمتي الألمانية لـ "جاويد نامه" قال فيها عن إقبال: "إنه يحلم باتحاد الجنس البشري باسم الله وفي خدمته"، وهذا وصف ممتاز لشاعرنا الفيلسوف.

قال إقبال نفسه في محاضراته: "حياة العالم تدرك بالحدس حاجتها، وفي اللحظات الفاصلة تحدد اتجاهها، وهذا ما نسميه الإلهام (الوحي) النبوي"، وهو لا يعني بهذا أن هناك نبيا بعد محمد، إن إنهاء النبوة هو مولد التفكير الذاتي، لكنه يعرف أن هناك قوى في العالم —روح العالم أو العقل الأول إذا كان لنا أن نسميها— تعرف ما يحتاجه العالم. ولعل عبارة إقبال هذه هي التي أوحت لـ "الأسقف كنيث كراج" قوله عن إقبال: "إنه المتحدث بصوت أشياء هامة في أغوار الروح المعاصرة، وحتما أحس عصرنا بالاحتياج إليه". مما يثبت صدق مقولة إقبال عن الشاعر المثالي "إن الشاعر قلب في صدر الأمة"، فالشاعر الذي يلقنا هذه الغوامض في سر العشق الخلاق، يصدق عليه القول: إنه قلب في صدر أمته، بل في صدر الناس جميعا.

دعوني أحتم بتزيمته إلى العشق الخلاق في قصيدة من أشهر قصائده: "مسجد قرطبة"، كتبها باللغة الأردية وهو في زيارة لأسبانيا، يرى في هذا المسجد قوة العشق المبدع التي شكلت حضارة المسلمين في أسبانيا، بل حضارة الإسلام عموما، يقول:

العشق قلب الوحي، بل
نفس قوي في صدر محمد

العشق مبعوث من الرحمن جل جلاله،
والعشق كلمته تعالى شأنه
انظر في تلك المخلوقات من الطين
تتوهج إذ تلمسها نشوة الحب
العشق خمر في القلوب — معتق
والعشق كأس للملوك به ارتووا
والعشق فقيه مكة و
العشق أمير الجيوش
العشق هو ابن الطريق و
له الأماكن بالآلاف
والعشق هو الريشة التي تعزف الأنغام
على أوتار الحياة المشدودة
العشق نور الحياة الساطع
العشق شعلة الحياة

١ سورة غافر، آية: ٦٠

٢ إقبال ترجمة عبد الوهاب عزام: ص ٢٠٤، القاهرة ١٩٥٤

العلامة محمد إقبال كما عرفته

للدكتور إحسان حقير¹

لعلي من الأفراد القلائل الذين يتمتعون اليوم بالحياة من الذين عرفوا العلامة المغفور له محمد إقبال عن كثب وعاشروه، وكانت لهم به صلة صداقة ومحبة.

لا شك أنه يوجد في باكستان وربما في غير باكستان أناس يكبروني سناً وعاشوا في الزمن الذي كان فيه فقيد الإسلام حياً، بل ربما كانوا من أهل بلده أيضاً، ولكن لم يسعدهم الحظ بمعرفته إلا بالاسم إما لأنهم بعيدون عن شخصية إقبال ومحيطه العلمي والأدبي، أو لأنهم لم يكونوا يطمعون بالقرب منه بالنظر إلى منزلته الرفيعة.

أما أنا فقد رفعت من أمامي الحواجز والحجب، وكانت لي بالمغفور له صداقة أعتز بها، لاسيما وأني كنت أرى من المغفور له من العطف واللفظ أكثر مما كنت أتوقع، على الرغم مما بيننا من فرق شاسع في العمر والمنزلة.

كنت على صغر سني —آنذاك— إذ ترجع صليتي بالمغفور له إلى أواخر العشرينات، كنت ألقى منه معاملة الصديق لصديقه أو الند لنده، وقد رفعت الحجب بيني وبينه، فكنت أزوره متى شئت، وأكتب إليه في بعض ما يعرض لي

فيجيبني بخط يده.

ولما أنشأ دائرة المعارف الإسلامية أو المجمع العلمي الإسلامي سنة ١٩٣٣م انتخبتني عضواً فيه على الرغم من وجود كثير من الأساتذة والعلماء الذين دعوا إلى الجلسة الافتتاحية بصفة مندوبين ومستمعين فقط، وكان المغفور له يود أن يجعل من هذا المجمع نواة لمجمع علمي للدراسات الإسلامية على أسس علمية واسعة النطاق، لكنه لم يبلغ أربه لأن الأمراض عاجلته وتوفي في ٢١ أبريل ١٩٣٨م، وموته ماتت الفكرة إذ لم يقم بعده من يتولاها.

قلت إنني من القلائل الذين ما زالوا على قيد الحياة من الذين لهم صلة بالمغفور له، وتكاد تكون هذه الصلة وساماً لي، إذ حينما أكون في باكستان ويريد أحدهم أن يعرفني بآخر يقول له: أقدم إليك الدكتور حقي صديق العلامة إقبال، فترتفع منزلتي عنده لهذه الصفة، وإذا ذهبت إلى السوق مع صديق باكستاني ورأى أن التاجر يغالي بسلعته يقول له: يجب أن تراعيه لأنه صديق العلامة إقبال، وكان التاجر يراعيني فعلاً.

وكلامي عن العلامة إقبال يختلف عن كلام غيري من الناس، لأني عرفته عن كذب وعاشرته بينما يتكلم أكثر المتكلمين عنه بما يقرؤونه من شعره وأدبه، والفرق بين الحالتين كبير.

العلامة محمد إقبال هو ابن نور محمد بن محمد رفيق الذي هاجر من موطنه كشمير، وأتى وسكن سيالكوت، ولذا فهو بنجابي المولد، وعاش في البنجاب إلى آخر أيام حياته، وعلى هذا الاعتبار فقد كان منذ طفولته يتكلم باللغتين البنجابية والأردية، ثم لما درس تعلم العربية والفارسية والإنكليزية وكان له إلمام باللغة الألمانية، وقد قال الشعر باللغتين الأردية والفارسية، وأكبر دليل على أنه شاعر ملهم وعبقري فذ، أنه لم يذهب قط إلى إيران ولا عاشر إيرانيا وعده الإيرانيون من أكبر شعراء الفارسية، ولقد قرض شعره وأدبه وشعراء إيران ورفعوا منزلته الشعرية فوق كثير من فطاحل شعرائهم، لأن شعره لم يكن ثرثرة وعواطف، بل كان شعر حكمة وفلسفة وعلم، ويزين كل هذا أنه كان يحوم دائماً حول القضية الإسلامية التي كانت تشغل باله منذ صغره، ويود أن يرى العالم الإسلامي في أوج العظمة كما كان في السابق. فقد نشأ العلامة إقبال نشأة إسلامية إذ كان أبوه

يسأله كل يوم وعلى فترة ثلاث سنوات ماذا تصنع يا إقبال بعد صلاة الصبح؟ ويقول إقبال كنت أقول لوالدي: لماذا تسألني عما أعمل وأنت تعلم ما أعمل. فيقول لي والدي: إني أعلم أنك تقرأ القرآن بعد الصلاة، ولكني أريد أن تقرأه وكأنه أنزل عليك.

ولد العلامة إقبال في ٣ ذي القعدة ١٢٩٤ هـ الموافق ١١/٩/١٨٧٧م وتوفي في ٢٢ صفر ١٣٥٦ هـ الموافق ٢١/٤/١٩٣٨م أي أنه بلغ إحدى وستين سنة من العمر فقط، قضاهما كلها في خدمة العلم والإسلام والمسلمين، قلت إني كنت من عشراء المغفور له، فإني قد اطلعت على حياته الداخلية وربما يكون في ذكر طريقة حياته ما يدل على خلقه وعلمه.

كان المغفور له يجلس كل يوم بعد العصر في صحن داره في الأيام التي لا يستطيع فيها المرء أن يجلس داخل الغرف بسبب الحر، وفي الشتاء كان يجلس داخل غرفة الاستقبال فيزوره الأصدقاء، ويجلسون إليه بلا تكلف ولم تكن داره لتخلو من الأصدقاء في كل يوم، ولكنهم لم يكونوا من عرض الطريق بل من النخبة العلمية، ولم يكن الدخول عليه يحتاج إلى إذن مسبق، إذ لا يقصده بعد العصر إلا الأصدقاء، وأما أصحاب المصالح فقد يأتون في الصباح، لأن المغفور له كان يتعاطى مهنة الحمامة وكانت جلسته جلسة هادئة، إذ كان يجلس في كرسي لا يختلف عن كرسي أضيافه، وكانت قصبه النرجيلة لا تفارق فمه، وكان وهو بين الحضور وكأنه يسبح فوق الغيوم، فهو يستمع إلى أحاديث جلسائه، ولا يتكلم إلا لكي يعلق على كلمة أو ليحجيب على سؤال، وكان كلامه هادئاً. أما شأنه معي فقد كان يختلف عن ذلك، إذ كان يسألني عن سورية أولاً ثم عما أعرف من البلاد الإسلامية وحال المسلمين فيها ثانياً، وكانت القضية الإسلامية هي شغله الشاغل، وكان متألماً جداً لضياح الخلافة، وكان يتكلم عن المسلمين بحسرة وألم، لكنه لم يكن يائساً بل كان موقناً بنهضة المسلمين.

وكان رحمه الله فيلسوفا بالفعل لا بالقول، وكان زاهداً في الحياة، فلا يطمع منها بأكثر مما يسد رمقه ويقيم أوده، ولذلك فقد كان إذا أتاه مبلغ من المال من القضايا التي كان يرافع فيها، فإنه كان يدفع هذا المال إلى وكيل خرجه، ثم يقول له أحبرني قبل أن ينتهي هذا المال لكي أعمل للحصول على غيره. وأما مادام عنده ما يكفيه فإنه لم يكن يأخذ قضية يرافع فيها، ولذلك فإنه لم يخلف وراءه

غير الدار التي كان يسكنها، ولكنه ترك للعالم كله وليس لأهله أو لباكستان فقط إرثاً كبيراً من العلم والأدب والفلسفة.

كان إقبال مشهوراً كشاعر وفيلسوف في الهند، ولكن شهرته في أوربة كانت أعظم من شهرته في بلاده، لأن الأوربيين كانوا على منزلة رفيعة من العلم تفوق ما كان عليه الهنود، ولذا فإنهم كانوا يقدرون ما ينطوي عليه هذا العبقرى من أفكار فلسفية وعلوم واسعة وآراء بعيدة المدى.

كان الإنكليز منذ أن وطئت أقدامهم البلاد الهندية في القرن السابع عشر وقبل أن يهدموا صرح الإمبراطورية الإسلامية سنة ١٨٥٧م يعتمدون على الهنادكة في تسيير سياستهم، لأنهم كانوا يعلمون بأن المسلمين لن يخلصوا لهم لأنهم سلبوهم ملكهم، ولكن الهنادكة كانوا مخلصين للإنكليز وكانت كل سياستهم تدور حول الاستيلاء على الهند مباشرة أو تحت حكم إنكليزي. وقد خدع كثير من المسلمين في بادئ الأمر بالمؤتمر الهندي وانضموا إليه لأنهم ظنوا بأن الهنادكة يعملون للوطن وليس للهندوكية، ولكن العلامة إقبال أدرك بعين بصيرته وبما له من معرفة بما تنطوي عليه الديانة الهندوكية من عداوة للإنسانية، بأنه من المستحيل أن يعمل الفريقان معاً لخدمة الهند ومصالح أهلها كلهم من غير تفريق بين دين وآخر، ولذا فإنه كان من دعاة خلق دولة إسلامية وأخرى هندوكية، وقد فهم بعض زعماء المسلمين ولو متأخرين هذه الحقيقة، وعملوا برأي العلامة إقبال، وطالبوا الإنكليز حين أحبروا على ترك البلاد الهندية بأن تقسم البلاد بين المسلمين والهنادكة، وفي مؤتمر إله آباد الذي عقد سنة ١٩٣٠م وكان رئيسه العلامة إقبال، وقال في خطبته الافتتاحية بضرورة إقامة دولة إسلامية وأخرى هندوكية، وأصر على ذلك، لأن لكل من الفريقين آداباً وأخلاقاً وعادات وعقائد تختلف عن الفريق الآخر، وأن الهنادكة على الرغم من أنهم كانوا يعيشون في ظل الإمبراطورية المغولية وغيرها من الممالك الإسلامية التي ظهرت في الهند عيشة سعيدة يلقون فيها كل احترام ومحبة وتكريم من قبل المسلمين، فإنهم كانوا حاقدين على المسلمين لأنهم انتزعوا منهم ملايين الهنادكة الذين اعتنقوا الإسلام طائعين مختارين، وقد تأثر كثير من الزعماء بأقوال العلامة إقبال، فأصبحوا يفكرون بدولة إسلامية وليس سواها.

وهنا لا بد لي من أن أتطرق إلى البحث، عما لقيه المسلمون من غدر

الهنادكة بعد تقسيم البلاد، إذ قضت المعاهدة التي وقعت بين الفريقين الهنادكة والمسلمين بتقسيم البلاد إلى دولتين، على أن تراعى في كل دولة الأكثرية الدينية، فكانت الدولة الإسلامية تضم جزأين من البلاد، أحدهما في الشمال الغربي وهو ما يسمى اليوم بباكستان، والثاني في الجنوب الشرقي وهو ما يسمى اليوم بينغلاادش. وكانت هذه الدولة أكبر دولة إسلامية ذات شأن بعد الدولة العثمانية، ولذا فإن الهنادكة أضمرها وأعلن زعماءهم ذلك صراحة في مناسبات كثيرة، وظلوا يعملون حتى هدموا هذا الكيان الإسلامي، وشطروا هذه البلاد الإسلامية إلى شطرين باكستان وبنغلاادش، وكانوا يظنون أن بمقدورهم السيطرة على بنغلاادش، ولكن من حسن الحظ أن بنغلاادش ظلت بلدا إسلاميا، وظلت على صلات حسنة بباكستان، لأنها أدركت أن مجيب الرحمن زعيم فكرة الانفصال كان عميلا خائنا فقتلوه هو وعائلته.

ومما ارتكبه الهنادكة ضد المسلمين، أن اتفافية الاستقلال كانت تقضي بأن تضم الإمارات الوطنية التي كانت تعد نحو ٦٥٠ إمارة بين صغير وكبير إلى البلاد التي هي فيها، فالإمارات الموجودة في هندوستان يجب أن تضم إلى هندوستان، والإمارات الموجودة في باكستان يجب أن تضم إلى باكستان، سواء أكانت إمارات هندوكية أو إسلامية، وأما الإمارات التي على الحدود بين البلدين يستفتى أصحابها في البلد الذي يريدون الانضمام إليه، على أن تبقى الأفضلية للدين، فالإمارة الحدودية المسلمة تنضم إلى باكستان، والإمارة الحدودية الهندوكية تنضم إلى هندوستان، غير أن الهنادكة لم يوفوا بهذا العقد بل ما كاد الإنكليز يخرجون من البلاد حتى انقضوا على كشمير، فاستولوا على أكثرها، مع أن تسعين في المائة من أهلها من المسلمين، وكذلك انقضوا على إمارة 'جوناكه' وكان لإمارة 'حيدر آباد' امتياز خاص إذ أن المعاهدة قضت بأن تظل هذه الإمارة الكبيرة مستقلة عن باكستان وهندوستان، إلا إذا شاءت هي الانضمام إلى أحد الطرفين، وكان من البدهي أن تبقى مستقلة أو أن تنضم إلى باكستان المسلمة، ولذلك فقد عاجلها الهنادكة واستولوا عليها بالحرب ظلما وعدوانا.

هذه لمحة عن العلامة المغفور له محمد إقبال، أو: محمد إقبال في مبادئه، وأترك الحديث عن أعماله العلمية إلى غيري من الأدباء الذين سيعالجون هذا الموضوع.

وعلى كل حال فإن الكلام عن العلامة إقبال يحتاج إلى مجلدات، لأنه من الرجال القلائل الذين لا يوجد بهم الزمن إلا على فترات متباعدة.

قلت إن الأوربيين قدروا العلامة إقبال وفهموه أكثر من الشرقيين ومن أهل بلده أيضا، ولذلك فقد قررت لجنة نوبل إعطائه جائزة نوبل، ولكنه رفض ذلك، لأنه كان يقدر نفسه حق قدرها، ولم يكن بحاجة إلى نوبل لكي ينبله ولما أراد الإنكليز سنة ١٩٢٢م منحه لقب 'سر' اشترط عليهم لقبوله أن يمنح أستاذه مير حسن لقب 'شمس العلماء' وهذه أخلاق تدل على نبل وعلى اعتراف بالجميل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١ وهو من الأصدقاء المخلصين للعلامة محمد إقبال، وله عدة مؤلفات عن باكستان والقضايا الإسلامية والدولية منها:

١ مأساة كشمير المسلمة.

٢ باكستان ماضيها وحاضرها

٣ تاريخ شبه القارة الهندية الباكستانية منذ أربعة آلاف سنة وإلى اليوم.

٤ ترجم أحد كتب الهنادكة المقدسة، وهو كتاب العادات والطقوس، أو التشريع الهندوكي المعروف باسم "منو سمرتي"، وعلق عليه، وقارنه بأحكام الديانات الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية

• حائز على وسام النجم الباكستاني.

• وله دور شامل في نضال وكفاح الشعوب ضد الاستعمار.

تأثير الأدب العربي في شعر إقبال

الأستاذ ميرزا محمد منور
تعريبه: محمد سميع مفتاحي

يذكر عزيز أحمد في نهاية مصنفه بالاسم "إقبال — التشكيل الجديد" بعدما يقرأ الإنسان إقبال، لا بد له من أن يقرأ كذلك كثيرا مما حول إقبال. فإن قرأت كلا من الرومي ونطشيه وبرجسان والجيلي والفلسفة اليونانية والفلسفة الهندية القديمة والفلسفة الأوروبية الجديدة والشعر الألماني والشعر الإيطالي والشعر الإنكليزي، والغزل الأردني، وبعد ذلك بدأت تقرأ إقبال، تجد نفسك تحتاج إلى علم مزيد وإلى قراءة كثيرة. وأرى أن ما يحتاج إليه الإنسان آنذاك معظمه الأدب العربي.

لا يلزم أن يذكر ذلك الأثر الذي تأثر منه شعراء الفرس من شعراء العرب، وكل هذا الأثر انتقل من الفارسية إلى الأردية، وأكثر منه ما قاله المستشرق الأسباني غارسيا غومس أن الشعر الإسلامي كله تأثر من أفكار شعراء العرب ومواضيعهم. يقول هذا المستشرق إن معيشة العرب كلها كانت السفر؛ هم اليوم هنا وغدا هناك باحثين المراعي والينابيع الجديدة، فلذا كان معظم شعرهم في المساكن المتروكة المهجورة وفي الأحياء المغادرة الضالة وفي الحبيبات الماضية البعيدة

المساكن وفي القوافل المهاجرة وفي المسافات البائدة. وتقدم ذلك إلى أن أصبح الكائن بأثره قافلة سائرة في شعر العرب وغيرهم من المسلمين. فكأن نهاية قصة الحياة كلمة "الله باقٍ".

وحسب قول غارسيا غومس — وإن كان فيه شيء من المبالغة — من الصعب أن ينكر من أن المواضيع المولعة عند شعراء العرب أثرت كل من يقول الشعر في لغات العالم الاسلامي، وحتى الشعراء غير المسلمين. وأن الشعراء غير العرب الذين يسكنون في مناطق خضراء ناضرة مخضرة لا علاقة لهم بالأسفار والقوافل، وبل ماتوا وهم ساكنين في ضيق أزقة المدن نجدهم عبر كلامهم سكان بادية العرب. فمثلا الشاعر ميرزا غالب الذي ولد في آجره بالهند وتوفي في مدينة دلهي يقول في شعره:

إلى متى أبكي خلف خيمتها، يا لها من قيامة
ويا رب أليس لي نصيب من جدار الحجر؟

وكذلك تجد من الشعراء العرب الاسبانيين يذكرون في شعرهم الأطلال، والخيام والقوافل، مع أن الأسبانية معظمها مخضر ناضر ويكثر فيها البساتين، فأني لهم من القوافل والإبل وأتلال الرمال العالية الواسعة التي يحبها البدو العرب. يقول ابن حزم الأندلسي في شعر له:

تذكرت واد للحبيب كأنه
لخولة أطلال ببرقة تهمد
وعهدي بعهد كان لي منه ثابت
يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

فكلا المصراعين من كلا البيتين مأخوذة من صدر قصيدة لشاعر جاهلي معروف باسم طرفة بن العبد.

والحق أن هناك بيئة عقلية مثل بيئة أرضية. فالأرض التي ينبع للإنسان منها منابع العلم والفكر تتمكن في ذهنه كموطنه الفكري والعلمي فتصبح بيئة ذلك الموطن بيئته الفكرية.

وكان إقبال مولعا بالأدب العربي. تعلمه من شمس العلماء مولانا سيد مير حسن الذي كتب عنه سر عبد القادر في المقدمة لـ "صلصلة الجرس" "بأنه ينشئ

التذوق الأدبي الحقيقي في من يتعلم على يده الفارسية أو العربية"

تعلم إقبال اللغة العربية والفارسية كليهما تعلمًا عميقًا، وأكمل دراسته للغة الأردية، ولكنه من الحقيقة أن العربية كانت داخلة في روحه. العربية تتعلق بالعرب والعرب كان له حبيبا لكونه بلاد الحبيب. فكأن تلك الأرض لكونه بلاد الأشواق أصبحت تسكن في روحه وخياله، فبذلك السبب صار هذا العنصر جزءا من بيئته الفكرية والتخيلية. ومن ينكر أن الحياة في العرب كانت حركة تسلسلية وجهدا مستمرا. كل قبيلة كانت مستيقظة دائما وجميع أفرادها كانوا نشيطين دائما وإلا سيسلب المرعى والعين، وتفقد وسائل الحياة - فهكذا نشأ احترام الموطن وتقديسه أساسا لا بديا لنظام فكر إقبال وأصبحت كخلفية فكره، ومن هنا يتفرق إقبال عن تيكور ويسلك طريقه غير طريقه— كان اسلافهما يحملون عقيدة واحدة، كانا من نفس موطن بعضهما وكذلك لم يكن في تأريخهما فرق كفرقهم في الأفكار. أحدهم كان يحمل ميراث بوذا غوتما وثانيهما ميراث خليل الله، وفلسفة أحدهما سكونية هادئة وفلسفة ثانيهما حركية.

فهذه الإرتقاء في فكر إقبال كانت تدريجيا. ولا نرى في الجزئين الأول والثاني من مجموعته "صلصلة الجرس" التأثير العربي والاسلامي إلا قليلا جدا. فإنه عندما رجع من أوروبا كانت فكرته قد تغيرت، فتنحى عن الفكرة القومية ورغب في فكرة الأمة.

'تعال إلى أمك حتى تعودك في مرضك'

فبدأ بهذا الأسلوب في الجزء الثالث لـ "صلصلة الجرس" وفي "أسرار إثبات الذات"، وبعد ذلك بدأ يظهر هذا الأسلوب في كلامه بشتى الألوان حتى أكمل كتابه "هدية الحجاز". إن ما تأثر به كلام إقبال من الأدب العربي ظهر بعدة طرق منها ما ظهر ظهورا واضحا ومنها ما أصبح علامة ومنها الصور الخيالية. وإنه يرى أن العرب هم أهل الحضارة وخالقوها وخالقوا دستور الحكم كذلك، وإنه يسمي العرب فاتحي العالم وحافظيه وحكامه ومزيني العالم. ونشأة العالم الجديد في رأيه مرهون دمهم. يقول في أبيات له:

وعصرنا	قد	خلق	بعهدكم
وسكره	من	أحمر	رحيقكم

وأنتمو وأنتمو
 وشارحوا لبادؤو
 أسرار بنيناه
 وكان يعتقد أن:

ساكنو الصحراء حافظو الطبيعة!

فلذا كان يتوقع أن يتنبه ويستيقظ ذلك الليث الصحراوي الذي عندما خرج من الصحراء لأول مرة قلب عرش الروم. وطبعاً بيانهم هذا في أوضح الكلمات أما ما يستلذ به الإنسان هو سريان الروح الأدبي العربي في شعره، حيث ينتقل تخيل القارئ إلى البيئة العربية باستخدامه تشبيههم واستعارتهم وتلاميذهم وصورهم الخيالية. وأريد أن أوضح هنا أن ما تأثر به كلام إقبال من القرآن والحديث النبوي الشريف لا أتعرض عنه هنا لأنه تقتضي كتاباً كاملاً في بيانه، ولكنني أقتصر على بيان بعض النكات من الأدب العربي. وأريد أن أسترشد بالقصيدة التي نظمها في ديوانه "صلصلة الجرس" بعنوان "خضر الطريق".

يسأل الشاعر الخضر:

لماذا تسكن في الصحراء وتترك المعمرات
 وحياتك خالية من النهار والليل والأمس والبارحة؟!

فيرد عليه الخضر بقوله:
 إِنَّ جَحَوْلْتُ أَرَاكَ تَتَعَجَّبُ
 إِنَّ تَجْوَلِي حَيَاةً تَتَلَهَّبُ
 لَا تَرَى الصَّحْرَاءَ فِي الْبَيْتِ نَزِيلَ
 مَا سَمِعْتَ الصَّوْتِ دَوَى بِالرَّجِيلِ
 فِي رِمَالٍ هَذَا سَيْرٌ لِلْغَزَالِ
 دُونَ وَعِيٍ وَأَكْتِرَاتٍ بِالْمَالِ
 ذَاكَ صُبْحٌ فِيهِ نُجْمٌ قَدْ أَضَاءَ
 وَجْهَهُ جِبْرِيلٌ وَيَبْدُو مِنْ سَمَاءِ
 وَكَذَا لِلشَّمْسِ لِلصَّحْرَا غُرُوبُ
 عَيْنُ إِسْمَاعِيلَ تُبْدُو مِنْ غُيُوبِ
 وَعَلَى الْمَاءِ أَرْدِحَامٌ لِلْقَوَائِلِ
 شَرِبَ مَاءٍ كُلَّهُمْ كَانَ يُجَاوِلُ

عَاشِقٌ يُشْتَاقُ صَحْرَاءَ جَدِيدَةً
 إِنَّ فِي الْعِمْرَانِ أَسْوَارًا مَدِيدَةً
 إِنَّ هَذَا الْعَيْشَ كَأَسَاتٍ تَدُورُ
 ذَاكَ سِرٌّ فَتَأَمَّلْ يَا عَرِيْرٌ

لا نلجأ في فهم هذا الأشعار إلى توضيح ما فإن صلصلة الرحيل في الجو الصحراوي، وتلال الرمال، ومشى الغزال، وحياة الحضر من غير وسائل الحياة، والسفر في طريق غير ذات المعالم، ونزول قوافل على ينابيع، كل هذه تجذب ذهن القارئ إلى شعراء القصائد العربية ويلفت نظره إليها. فالشعر الذي يذكر فيه إقبال ينابيع الماء والسلسبيل يبدو أنه مزيج من الشعر ذو الروح العربي والإسلامي. وكذلك نرى أن الشعر الذي يذكر فيه إقبال قيد الأرض والنخيل لم يأت إلا من الأرض الصحراوية، الأرض التي لا تقيدها معها أحدا لقله محصودها ولا يوجد هذا المحصود إلا في واحات صغيرة. ومن الواضح جدا أن إقبال لم ير هذه الأرض ولا هذه المناظر بعينه. وإن كان نزل في القاهرة وبيت المقدس ليوم أو يومين راجعا من مؤتمر الطاولة المستديرة الثالث. فكل هذه المناظر وتصويرها مناظر خيالية وصور خيالية التي أخذها من الشعراء القدماء للأدب العربي.

ينتقل ذهن القارئ بكلمة النخيل وبيت المقدس إلى قصيدة مشهورة لإقبال المسماة باسم "الذوق والشوق". فيظهر من بدايتها إن القصيدة لا تظهر حسناتها المعنوي إلا إذا روعي فيها الأدب العربي أو أن ترى في المرأة الأدب العربي. يقول:

إن حياة القلب والنظر تدل علمنظر الصبح في الصحراء
 وتندفع قنوات النور وأنهاره من ينبوع الشمس
 وسحاب الليل ترك غيوما حمراء وزرقاء
 وأعطى وكسا جبل إضم الملابس الملونة
 الهواء من الغبار نقية والنخيل فيها مغسولة
 ورمال نواحي كاظمة الحرير الناعمة

فيذكر في هذه القصيدة جبل إضم ورمال ضواحي الكاظمة. فجبل إضم يذكرنا بالمدينة المنورة، فالمدينة المنورة تقع في وديان جبال إضم. وأما الكاظمة (فهى) قرية تقع قرب بصرة وذكرها أكثر من شاعر في شعره بعهد الجاهلية والاسلام كمسكن الحبيب. فيقول شاعر في بيت له:

ألم يبلغك ما فعلت ظباه
بكاظمة غداة لقيت عمرا

فيذكر الإمام البوصيري مؤلف قصيدة البردة الشريفة كلمة كاظمة ويشير بها إلى المدينة المنورة. فيقول:

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
أو أومض البرق في الظلماء من أضمر
وشاعر آخر يذكر جبال إضم فيقول: بيت

بانت سعاد وأمسي جبلها الصرما
واحتلت الغور والأجرع من إضما

أي: بعدت عني حبيبتي وانقطعت معها علاقة الحب، ونزلت في موقع الغور والأجرع في واد لجبال إضم.

نعرف أن معظم أشعار قصيدة "الذوق والشوق" قالها إقبال في فلسطين ولكنه كان يزور في عالم خياله ضواحي مدينة حبيبه المدينة المنورة، كان يضطرب من ألم الحجر والفرق، وأمواج تمنيات زيارة بلد الأشواق تطلطم في قلبه، الكرب الروحي والبعد المكاني ————— لذة مضطربة واضطراب لذيذ، ولكن كان مطمح نظر الراكب سواد منزل الحبيب، لذا كان الجو يتنور بأشعة الشمس مثل أحر النور ويتلون بالطيالة الملونة، ويصبح ناعما بالرمال الناعمة كالديباج. ومن أحب موضوعات الشاعر العربي الأطناب المقطوعة والنار الخامدة المطفئة والقوافل المارة.

وعندما يمعن الإنسان نظره أثناء دراسته لشعر إقبال يحس بأن الهيام الديني ازداد عنده مع تقدم عمره وكلما ازداد هذا الهيام ازداد عنده تدريجيا استخدام الكلمات الأدبية العربية، مثل القافلة، والزمَام، والناقَة، والمقام، والسبيل، والمنزل، والأطناب، والخيمة والنخل و النخيل وغيرها من الكلمات العربية. فمثلا يقول:

أقم الخيمة حيث شئت ولكن دوما
تذكر أن سؤالك للطناب حرام

ويقول:

وهل يقال لشيء ما أكثر منه فسادا

أن العبيد قطعوا طناب خيمة الولاة
ولاحظ أبيات قصيدة "الشوق والذوق" التالية، فيقول:

ولا نجد حسينا في قافلة الحجاز
ويقول أيضا:

وقد خرجت في البحث عنك قوافل اللون والرائحة
ويقول أيضا:

والعلم لم أكن أدري أنه نخيل لا رطب له
فكلمة "النخيل الذي لا رطب له" أسلوب عربي أصيل، ومعلوم أن الرطب هو التمر الناضج. ويقال بالعربية "أرطب النخل" أي نضج التمر. فما دامت القصيدة تصور أجواء العربية فلا بد من تلوينها بكلمات عربية ناشئة في تلك البيئة. وكلمة نخيل رأيناها في أبيات قصيدة "خضر الطريق" المذكورة أعلاه وذكر نفس الكلمة يلفت أنظارنا إلى قصيدته المسماة باسم "مسجد قرطبة". وأبيات قصيدة "مسجد قرطبة" تشبه بأبيات الغزل مثل أبيات قصيدة "الذوق والشوق" وكذلك لا نجد فيها الرديف والقافية. فيخاطب إقبال مسجد قرطبة فيقول:

بناؤك محكم وأعمدتك لا تعد

إنها كثيرة كثرة أشجار النخيل في صحراء الشام

فهذه القصيدة قالها إقبال في أسبانيا، ولكننا لا نجد فيها ذكر الجو الأسباني، إنما نجد فيها الجو العربي البدوي فأصبح لوئها لونا عربيا وشبه فيها أعمدة المسجد الكثيرة بكثرة النخيل في بادية الشام

وقد خص صحراء الشام لأن مؤسس المسجد الأمير عبد الرحمن الداخل كان قد انحدر من بلاد الشام ذلك الذي غرس أول شجرة من النخيل في أرض الأندلس ومن ثم كان يبكي على نخل الشام ويقول فيها الشعر، وتوجد ترجمته الحرة في "جناح جبريل" من دواوين إقبال الشعرية، ولقد خاطب إقبال المسجد على أسلوب العرب المغاربة الذين كانوا يخاطبون مسجد قرطبة هذا فيسمونه "حرم قرطبة" فمن ذلك ما قاله الشاعر الأندلسي ابن المثني الذي كان قبل مئات السنين وسبق إقبال فقال:

بنيت لله خير بيت

تخرس	عن	وصفه	الأنام
حج	إليه	من كل	آدب
كأنه		المسجد	الحرام!
كأن	محرابه	إذا	ما
حف	به،	الركن	والمقام!

إن جو المسجد المخزن المبكى قد جعل إقبال يتعمق في مبدأ الدهر من صروفه وعبره فيفكر في إقبال الأمم وإدبارها وصعودها وهبوطها فيرى أشعة من أمل المستقبل في هذا الجو المخزن اللئس.

فيقول إقبال وهو يخاطب النهر الكبير ما معناه:

"يا ماء النهر الكبير! أما ترى أحدا قد وقف علساحلك وقد توغل في حلم بعيد من الأزمنة الأخرى!؟"

وعلي خفة هذا النهر الكبير نفسه كان الشاعر الأندلسي ابن اللبانة الداني (المتوفى ٥٠٧ هـ) قد تذكر ملوك بني عباد! وتوجد قصيدة شعرية لإقبال في ديوانه "جناح جبريل" وعنوانها "صرخات معتمد بن عباد في سجنه" وهي ترجمة حرة لما قاله ابن عباد نفسه الذي كان يوسف بن تاشفين المرابطي قد قبض عليه وقيده وذهب به إلى سهل الجبل الأطلسي في سجن أغمات بمراكش المغرب وقد تحدث عن سخاء ابن عباد وحماسته ومروته وشفقته على الشعراء و الأدباء وعن عيشه الرغيد بعض شعراء الأندلس ممن عاصره أوجاء بعده وقد ورثوه وبكوا عليه بكاء مخزنا أليما، وكان ابن اللبانة قد جلس يوما على ضفة النهر الكبير فقال ما معنا بأنه يرى بعيني خياله إلى سفن بني عباد وهي متجهة إلى البحر ثم يتذكر فجأة بني العباس وبغدادهم وعظمتها في عهدهم وأما إقبال فهو يتذكر ملوك الأندلس المسلمين بصفة عامة فيقول ما معناه:

"إنه يسقي أرباب التذوق وهو فارس لميدان المعارك
 إن خمره رحيق وأما سيفه فهو أصيل مهند!!"
 ولكن مدح ابن اللبانة بني عباد خاصة فقال:

تبكي	السماء	بمزن	رائح	غادي
على	البهاليل	من	أبناء	عبادي

على الجبال التي هدت قواعدها
وكانت الأرض منهم ذات أوتادي

ويقول إقبال:

وخمره رحيق وسيفه أصيل

ولا يمكن أن يصدر شعر مثل هذا إلا من فم من تحلت لغته باللغة العربية
تحلية. فأخذنا النخيل إلى قرطبة، والنخيل شجر التمر وهو عمدة العرب فإن
حكى قصة العرب فلا عجب فيها. فينطق في ديوانه جاويد نامة بلسان المهدي
السوداني:

ناقتي ثملة بالعشب، وأنا ثمل بالحبيب
الناقة بين يديك وأنا بين يدي الحبيب
جعلوا للماء سبيلا إلى الصحراء
فها هي أوراق النخيل مغسولة (بالمطر) على الجبال
أيها الحادي! أحبتنا في يثرب، ونحن في نجد
احد، فإن حدائك سيجعل الناقة في حالة وجد

فالمهدي السوداني يتجه إلى المدينة الطيبة، يريد الوصول بأسرع ما يمكن،
ونزل غيث الرحمة، والناقة تقف وتتردد للعشب، وأقيم سبيل الماء، واغتسلت نخيل
الجبال. فلا يمكن لأحد أن يأتي بهذه الكلمات على لسان المهدي السوداني إلا
من له علم بالخلفية الدينية والعربية.

وما أحسن ما عبر به إقبال في "رسالة الخلود" عن عهد العرب الجاهلي.
ففي رسالة الخلود يبدأ طاسين محمد بـ "نواح روح أبي جهل في حرم الكعبة".
فالعرب كانوا يفتخرون بنسبهم ويحقرن لغات غيرهم، فلخص كلها إقبال في
بضعة أبيات. فما كان يشكو منه أبو جهل من رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — وهو ما معناه بالعربية:

"إن دينه يقضي علي الوطنية والقبلية! إنه من قريش ولكنه ينكر فضل
العرب! إنه لم يعرف ولم يقدر مكانة العرب الأحرار حيث تراه يسوى بينهم وبين
العبيد من الأحباش! إن هذه المساواة والمواخاة التي يدعو إليها إنما هي فكرة
أعجمية تعلمها من سلمان المزدكي الذي أعرفه جيدا فهو الذي خدع ابن عبد

الله وأتى بكارثته على العرب! وأين العجمي من العدناني وهل بإمكان الأبيكم أن يدرك سبحانه وائل؟ إن خواص العرب قد عميت أبصارهم أفلا تهب من قبرك يا زهير؟! فيا هبل! التي تقبل توبة العباد لم لا تطهر بيتك من هؤلاء الملحدين! اجعلي شياهم مرتعا للذئاب! واجعلي تمر نخلهم مرة! يا مناة ويا لات! لا ترحلي من هذه الديار وإذا كان لا بد من مفادتها فلا ترحلي عن قلوبنا! وما دمت قد أزمعت الفراق فلا تستعجلي السفر!"

سحبان وائل كان أخطب العرب في زمانه وزهير بن أبي سلمى كان واحدا من أكبر شعراء العرب. وكلمة "إن كنت أزمعت الفراق" تشير إلى قصيدة إمري القيس. وهذه الأبيات مرآة واضحة للأفكار العربية الجاهلية.

وهذا بيان الجو في بعض الأبيات. ولكنك إذا أمعنت النظر في أسلوب البيان لمضمون "رسالة الخلود" أحسست أن هيكل الكتاب كله من أصل عربي. وأول كتاب في بيان مناظر الجنة وزيارة الأفلاك لأبي الحسن علي بن منصور المعروف بابن القارح، صور فيه الشعراء والخطباء غير المؤمنين والعاملين بالسوء مبتلين بعذاب جهنم. فكان أبو الحسن من أصحاب أبي العلاء المعري. فرد عليه أبو العلاء المعري وكتب "رسالة الغفران". فيتحول المعري في الأفلاك حتى يصل إلى الجنة ويرى فيها بعضا من الشعراء الكبار الذين كانوا قد ماتوا في الجاهلية ولم يروا عهد الإسلام قط، فيستغرب المعري ذلك ويستفسرهم: إنكم لم تشهدوا عهد الإسلام قط، فكيف تمكنتم بدخول الجنة؟ فيرد عليه كل شاعر عن نفسه ويخبره بالسبب. فزهير له موقف، وامرؤ القيس عنده رد، وعبيد ابن الأبرص يقدم أدلته كذلك. فالمعري كان متشككا وكان أهل الدين كراهة بالغة لتشددهم. وكان له تصور خاص للرب فلم يكن يراه إلا أنه رحيم ودود. ويعتبر كتاب محي الدين ابن عربي المسمى بـ "الفتوحات المكية" حلقة وسيطة. ففيه أسلوب تمثيلي بجانب التحول في الأفلاك - فتأثر دانتي من "الفتوحات المكية" وأشار إليه إقبال في مؤلفاته أكثر من مرة. وكذلك اعترف لي بان كريو ني بام في كتابه Medieval Islam بأن دانتي كان قد تأثر من ابن عربي. — وهناك أربعة طواسين في رسالة الخلود؛ طاسين جوتم، طاسين زرتشت، طاسين مسيح، طاسين محمد. — والظاهر أن كتاب الحلاج هذا مما تأثر به من هؤلاء الطواسين.

على كل يظهر في رسالة الخلود السماحة مثل سماحة "رسالة الغفران" رغم

أن إقبال كان متدين الطبع ولم يكن متشككا مثل المعري، ولكنه لم ينتسب أحد من القوم أو قائديها إلى جهنم بأساس قلة السماحة الدينية. فإنه صور تصويرا لنهر فيها الدم بدلا من الماء بكوكب زحل وأرى أن مير جعفر ومير صادق يعذبون فيها، لم يذكر أحدا من غير ملته لا قائدهم ولا سيدهم ولا فيلسوف منهم بأن يتعذب معهما. جعفر وصادق كانا خائنين، وأبادا شعبهما ووطنهما شحا وطلبا للمنفعة الذاتية. وبهذا الشح أصبح ملايين من شعبهما في قعر مذلة العبودية والاحتلال. فذكره إقبال بقوله:

لا بداية لهذه الدنيا ولا نهاية
وأما الخائنين فلا مولى لهم

فإن كان جعفرون في ذاك الزمان أو صادقون في هذا الزمان وكانوا من غير مولى وسيبقون من غيره.

عندما يقرأ الإنسان شعر إقبال يجد فيه ذكرا لشعراء العرب مثل المتنبي، والمعري، وعمرو ابن كلثوم، والبوصيري، وكعب ابن زهير، وزهير ابن أبي سلمى، وامرئ القيس، والمعتمد وغيره من الشعراء العظام. فمثلا جاء بيت من قصيدة عمرو بن كلثوم زوجا لشعره فقال:

صبنت	الكأس	عنا	أم	عمرو
وكان	الكأس	مجرها		اليمنى
وإن	كان	هذا	طريق	الأحبا
فيرمى	بكأس	وشربة	بعرض	جدار الحرم

ونرى أن بعض أشعاره تلونت بلون الشعر العربي وأرى أنه إن درس كلام المتنبي وأبي التمام، وامرئ القيس بالدقة فيمكن أن نجد الآثار الكثيرة، لأن التأثير من الشعر المدروس أمر طبيعي. وكما أكدت في بداية المقال أن الإنسان لا بد أن يتأثر من أي أدب أو كلام يدرسه ويبقى ذلك في ذهنه فمثال ذلك بيت إقبال:

ظن المسلم وحسابه في الدنيا يقين حتما
كقنديل الراهب بالصحراء في ظلمة الليل
فانظروا الضوء المتألئ في ظلمة الليل من أكواخ الرهبان التاركي الدنيا في

العرب الجاهلي في شعر لإمرئ القيس. يقول:

تضيئ الظلام بالعشي كأنها
منارة ممسى راهب متبتل

يذكر إمرؤ القيس فيها حبيبته بأنها تضيئ مصباحا بجماها في ظلام الليل الحالك كأنها مصباح الراهب المشعلة في المساء. فبعد هذا أن تأثر بهذا المقطع جاء بشعر مثله فقال بالفارسية.

ليلة الجبال والصحراء هذه تنور الصدور
لا يوجد فيها طائر أو موج ماء
لا يمكن أن تنور بقنديل الرهبان
وتعلم أن تنويره يحتاج إلى الشمس

وإنه يحث الأمة العربية على القيام ضد الاستعمار الافرنجي والأوروبي في قصيدته "والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق" ويلقنهم بهذه الكلمات:

وإنك إن أردت أن تقي نفسك شهرم
فغن حوضك يجب أن تشرد بعيرهم
ونفس الكلام قد ذكره زهير ابن أبي سلمى في معلقته، فقال بيت:

وَمَنْ لَمْ يَدُدْ عَن حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
يُهَدَّمْ وَمَنْ لَأ يَظْلِمَ النَّاسَ يُظْلَمْ

و في "أسرار إثبات الذات" بيت قيل بتأثر صاحبه من بوضيري رحمه الله وأشار إلى ذلك إقبال رحمه الله:

وبوجودنا حصل الزمان على رونقه
إنك خاتم الرسل وأنا خاتم الأمم

فإنك تراه قد أخذ المضمون من شعر البوضيري — رحمه الله — حيث قال:

لما دعا الله داعينا لطاعته
أكرم الرسل كنا أكرم الأمم

أي أصبحنا أكرم الأمم بأن الله سبحانه وتعالى قال عن نبينا أكرم الرسل لطاعته إياه. وخاطب إقبال مسجد قرطبة فقال في شأنه:

تأثير الأديب العربي في شعر إقبال

وإن جمالك وجلالك يدلان على عبد لله
فإنه جليل وجميل كما أنت جليل وجميل
فهذا الشعر يذكرنا بشعر عبد الرحمن الناصر مؤسس مسجد قرطبة حيث

قال:

إن البناء إذا تعاضم قدره
أضحى يدل على عظيم الشأن
أبو فراس الحمداني جاء بشعر لنفس المضمون فقال:

صنائع فاق صانعها ففاقت
وغرس طاب غارسها فطابا
رثى إقبال أمه بعنوان "في ذكرى الوالدة المرحومة" فقال في آخر المراثية:

ويندي السماء مرقدك دوما إنداء
ويحفظ النبات والعشب هذا القبر
فدعاء نزول الندى على القبر يعتبر من التمني في أي بلدما ولكن أرض
الجزيرة العربية العطشة يعتبر الندى فيها من أكبر رحمة يتمناها الإنسان. فدعا أبو
التمام الشاعر في مراثية لمحمد بن حميد الطائي الوالي في موصل بنفس الكلمات
وقال:

وكيف احتمالي للغيوث صنيعة
بإسقاتها قبرا وفي لحده البحر

سيرة الشاعر الإسلامي محمد إقبال

للدكتور عبد الله مبشر الطرازي

أسرته وموطنه:

يرجع نسب أسرة إقبال إلى براهمة كشمير، أسلم أحد أجداده قبل مائتي سنة في عهد الدولة المغولية في الهند، وهاجر محمد رفيق، جد إقبال، من قرية لوهر في كشمير إلى مدينة سيالكوت من ولاية بنجاب، وسعى في طلب الرزق يعينه ابنه نور محمد، وهو والد إقبال^١.

كان والداه صالحين تقيين، فأبوه نور محمد كان رجلاً صالحاً وكادحاً في كسب رزقه يعمل لدينه وديناه، وقد عاش زهاء مائة سنة، وكف بصره في سن الثمانين حتى توفي سنة ١٩٣٠م، وكذلك أمه كانت سيدة تقيّة ورعة، توفيت سنة ١٩١٤م وسنها ثمان و سبعون سنة^٢، وكانا يدعوان في كل وقت لابنهما إقبال بالتوفيق لخدمة الإسلام.

مولده ونشأته:

في هذا البيت المتواضع ولد وليد سمته أمه "محمد إقبال" ويروى أن والده رأى قبل مولده حمامة بيضاء ناصعة تطير فتقع في حجره وتسكن إليه، وعبرت

الرؤيا أنه سيرزق ابنا عظيم الحد والإقبال، وكانت ولادته في سنة ١٨٧٧م^٣ الموافق ٢٤ من ذى الحجة سنة ١٢٨٩هـ، ولم يأبه أحد بمولد هذا الطفل، إلا كما تأبه أسرة فقيرة لمولد ابن فيها، ولكن الله تعالى كان يعلم أنه قد ولد في هذا البيت الفقير من مدينة سيالكوت رجل يعلو فكره وقلبه على حدود الأوطان والأزمان.^٤

تعليمه وثقافته الإسلامية:

بدأ إقبال التعليم في طفولته على أبيه، ثم أدخل مدرسة ليتعلم القرآن الكريم فحفظ كثيراً منه، وكان في كبره يعلم القرآن المجيد للطلاب، وإن كثرة اقتباسه من القرآن الكريم في شعره تدل على أن كتاب الله كان دائماً على قلبه ولسانه^٥ ثم أدخل الصبي مدرسة البعثة الأسكوتية^٦ ويقال إن أباه أدخله هذه المدرسة ليكون في رعاية صديقه العالم الجليل مير حسن الذي كان أستاذاً أديباً متضلعا في الأدب الفارسي وعارفاً باللغة العربية، وقد امتاز إقبال بذكائه وجهده ففاق زملاءه ونال جوائز كثيرة، ورأى الأستاذ مير حسن من ذكائه بل من قوله وفعله ما زاده إعجاباً به، فعني بتلقيه الدين والعربية والفارسية، وغرس فيه حب الآداب والثقافة الإسلامية، حتى أتم إقبال الدراسة الثانوية في الكلية الأسكوتية سنة ١٨٩٥م وعمره نحو اثنتين وعشرين سنة، ولم ينس إقبال فضل أستاذه إلى آخر حياته.^٧

انتقل إقبال بعد ذلك إلى مدينة لاهور، وهي حاضرة ولاية بنجاب وإحدى المدن الكبرى التي بقيت في مقدمة مدن الهند حضارة وعلماً وفناً، وكانت حين قصد إليها إقبال مدينة العلم والأدب تعمل مجامعها في نشر الأدب الأردّي وإحلاله محل الأدب الفارسي، وتألّفت فيها مجامع أدبية تدعو إلى محافل ينشد فيها الشعراء عيون أشعارهم، ويسمى هذا "مشاعرة" والمشاعرة عادة أدبية في باكستان والهند حتى اليوم.^٨

ودخل إقبال كلية لاهور الحكومية، وكان موضع الإعجاب في ذكائه وعلمه وأدبه، واستمر في الدراسة حتى حصل على درجة البكالوريوس، وبرز في العربية والإنجليزية ونال جوائز التفوق في سنة ١٨٩٧م، ثم تابع الدراسة إلى الماجستير ونالها أيضاً، وكان المستشرق المعروف توماس آرنولد^٩ صاحب كتاب "الدعوة إلى الإسلام" أستاذه في الفلسفة الإسلامية، وكان يقدر مواهب إقبال.^{١١}

استقاله بالندريس بعد التخرج:

فرغ إقبال من تحصيل العلم في الكلية، فاختير لتدريس التاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية^{١٢} في لاهور، ثم عين لتدريس الفلسفة واللغة الإنجليزية بالكلية الحكومية التي تخرج فيها، وقد نال إعجاب تلاميذه وزملائه وثقة وزارة المعارف بسعة علمه وحسن خلقه وسداد رأيه، واتجهت الأنظار إليه، وذاع ذكره حتى صار من أساتذة لاهور الناجحين^{١٣}.

سفره إلى بلارو أوربا:

عزم إقبال على الرحيل إلى أوربا للتزود من العلم عملاً بمشورة أستاذه السير توماس آرنولد وسنه يومئذ اثنتان وثلاثون سنة في عام ١٩٠٥م، فقد ركب إقبال سفينة في بومباي قاصداً إنجلترا، والتحق بجامعة كمبردج لدراسة الفلسفة، وتلمذ للأستاذ الدكتور ميكتاكرت، ونال من هذه الجامعة درجة في فلسفة الأخلاق، ثم سافر إقبال إلى ألمانيا فتعلم الألمانية في زمن قليل، والتحق بجامعة ميونيخ وكتب رسالته للدكتوراة في الفلسفة بعنوان "تطور ما وراء الطبيعة في فارس"^{١٤}، وهو أول كتاب في الفلسفة عرف الناس به مقدرة إقبال على النظر والبحث وسعة الاطلاع في الفلسفة، وأهدى الكتاب إلى أستاذه توماس آرنولد ونشره في لندن^{١٥}.

ثم عاد إقبال إلى لندن، فدرس القانون وحاز إجازة المحاماة، والتحق كذلك بمدرسة العلوم السياسية زماً، وكان المستشرق توماس آرنولد حينئذ أستاذ العربية في جامعة لندن، واضطر إلى الانقطاع عن عمله ثلاثة أشهر، فاختار إقبال ليخلفه في عمله بالتدريس، ولبث إقبال في أوربا زهاء ثلاث سنوات^{١٦}، ولم يأل إقبال جهداً وهو في أوربا في لقاء العلماء وتداول الرأي معهم في القضايا العلمية والفكرية، وكان كثير التحدث عن الإسلام وثقافته وحضارته، وألقى محاضرات في الإسلام نشرتها الصحف الكبيرة، وقد دلت آراؤه وشعره بعد ذلك على أنه لم يعجب بمحاضرة أوربا، بل رآها حضارة زائفة^{١٧}.

عورته إلى أرض الوطن واستقاله بالمحاماة:

عاد إقبال إلى الوطن في سنة ١٩٠٨م، ومن دواعي العجب أن كل هذا النجاح حصل لهذا النابغة وهو لم يتجاوز اثنين وثلاثين عاماً من عمره، وأقام

أصداؤه والمعجبون بعبقريته حفلة تكريم كبير للشاعر الفيلسوف والخبير الاقتصادي والسياسي الحاذق في عدة لغات^{١٨}.

وبعد أن نال إقبال إجازة المحاماة في لندن قرر أن يعمل في لاهور محاميا لخدمة الحق والعدالة، وبلغ أعلى الدرجات في المحاماة بفضل ذكائه وعلمه وبيانه وخلقه، وأنه كان لا يقبل قضية حتى يعلم أن وكيله محق في القضية التي يوكله فيها، وأنه يستطيع أن يأخذ له حقه، وقد دام على المحاماة حتى سنة ١٩٣٤م قبل وفاته بأربع سنوات إذ اضطره المرض إلى تركها^{١٩}.

ولكن لم يكن هواه في المحاماة، فكان يقضي أكثر أوقاته وجل همه في تأليف الكتب وقرض الشعر، وكان يحضر حفلات جمعية "حماية الإسلام" السنوية وينشد فيها قصائده، ومنها "العتاب والشكوى" التي اشتكى فيها إلى الله على لسان المسلمين لما حل بهم، وذكر أعمال المسلمين الخالدة في سبيل نشر الإسلام وسبيل الجهاد والإصلاح، ثم نظم قصيدة وضح فيها تقصير المسلمين وإهمالهم للدين وعدم إتقانهم أمر الدنيا، تبريرا لما جوزوا به من الخزي والهوان، وسرعان ما تغنى بهذه القصيدة الأطفال والشبان وحفظها الرجال والنساء^{٢٠}.

اهتمامه بالتعليم والتربية:

كان إقبال بعد عودته من أوروبا يقوم أيضا بتدريس الفلسفة والأدب العربي واللغة الإنجليزية في "كلية لاهور الحكومية" في لاهور لمدة سنة ونصف، ثم استقال منها واكتفى بالمحاماة، ولكنه لم يقطع صلته بالجامعة، فكان يعمل في مجالسها ولجانها، وقد لبث سنين عميدا لكلية الدراسات الشرقية ورئيسا لقسم الدراسات الفلسفية، وكان ذا صلة دائمة بالكلية الإسلامية في لاهور، وكذلك كان كثير الاهتمام بالجامعة المليية في دهلي، كما عمل في مؤتمر المائدة المستديرة للنظر في إصلاح التعليم في الهند^{٢١}.

وكان إقبال دائم الاتصال بمعاهد العلم في لاهور وغيرها من المدن الهندية، وكانت الجامعات تدعوه إلى زيارتها وإلقاء المحاضرات فيها، فمنها ست محاضرات سميت "إصلاح الأفكار الدينية في الإسلام"^{٢٢}.

ومن محاضراته القيمة محاضرة ألقاها في الجامعة الإسلامية في دهلي موضوعها "السفر من لندن إلى قرطبة" فرأى السامعون كيف اجتمع عقل إقبال

وقلبه وعلمه وأدبه على الإعجاب بآثار العرب في الأندلس والإشادة بها^{٢٢}، واحتفل به المسؤولون في الجامعة الإسلامية، وتكلم بعضهم في الإشادة بأدبه، وكان ممن تكلم مولانا أسلم جيراجوري فقال: "قرأت الشعر بالعربية والفارسية والأردية، ولا حرج علي أن أقول إن إقبال أعظم شعراء المسلمين، إن كلامه ليفيض بالحقائق الإسلامية، ولقد هدى ناشئتنا سواء السبيل، إن إقبال حذق علوم الغرب، ثم أبلغ المسلمين الرسالة التي بصرتهم بحقيقة الإسلام وعظمتها، وملأت قلوب الشباب الغافل بحب القرآن الكريم وحب الرسول صلى الله عليه وسلم" وقد منحت جامعة عليكرة وجامعة إله آباد إقبال لقب "دكتور" لإقبال تقديراً لمكانته واعترافاً بفضله في خدمة العلم^{٢٤}.

مشاركته في السياسة:

فلسفة إقبال في السياسة فلسفة أمل وعمل، وجهاد وإقدام، ودعوة وعزة، وكرامة وحرية، فهي عون للأمم المجاهدة لحريتها وكرامتها، تبعث فيها النور والنار.

وقد وجه إقبال دعوته إلى البشرية عامة والمسلمين خاصة، وأخذ من التاريخ الإسلامي أمثلة لفلسفته وصوراً لشعره، فقد كان شعر إقبال ولا يزال أناشيد مسلمي الهند المجاهدين، أشعل في نفوسهم ثورة على سلطان الإنجليز، وقد شارك إقبال في سياسة بلاده بأقواله وأفعاله، ورأس مجامع سياسة، وكان عماداً قويا لحزب الرابطة الإسلامية^{٢٥}.

وألح عليه أصدقاؤه سنة ١٩٢٦م أن يرشح نفسه في انتخاب الجمعية التشريعية في بنجاب، فأيده الناس وانتخب بغير عناء، ولا تنزال خطبه في هذه الجمعية شاهدة بعمله فيها، ودعا الناس إلى الاتحاد لخلاص البلاد من الاستعمار والتأخر^{٢٦}.

دعوته إلى إنشاء دولة باكستان:

كذلك عمل إقبال في حزب الرابطة الإسلامية الذي كان محمد علي جناح الملقب بالقائد الأعظم رئيساً له، وكتب إقبال إليه في سنة ١٩٣٧م فقال له فيما قال: "إن خير وسيلة إلى السلام في الهند في هذه الأحوال أن تقسم البلاد على قواعد جنسية ودينية ولغوية، وأن المسلمين والهنداكة لا يمكن أن يسيروا في قافلة واحدة إذ لا يمكن أن يجتمع الكفر والإسلام"^{٢٧}.

وتحدث إقبال ذات مرة للعلامة أبي الحسن الندوي في سنة ١٩٣٧م قبل إنشاء باكستان فقال: "إن أمة لا تملك أرضا تستند إليها لا دين لها ولا حضارة، وإنما الدين والحضارة بالحكومة والقوة، وإن إنشاء باكستان هو الحل الوحيد للمشاكل التي يواجهها المسلمون في هذه القارة الهندية، وهي الحل الوحيد للمشكلة الاقتصادية، وأشار إلى نظام الزكاة وبيت المال في الإسلام"^{٢٨}.

فكان إقبال أول من دعا إلى تقسيم الهند بأن يكون للمسلمين بها موطن يخصهم، وللهنداكة موطن يخصهم^{٢٩} وقبل مشروع إقبال في سنة ١٩٤٠م ونادى به محمد علي جناح وجاهد من أجله^{٣٠} حتى قامت دولة باكستان الإسلامية في سنة ١٩٤٧م^{٣١}.

وكان إقبال مثل كل المفكرين، كثير التفكير، قليل الكلام، وكان سكوته وقوداً لما يعتلج في نفسه من أمور ينفثها شعراً وحكما، وكان أمر المسلمين شغله الشاغل، ووضعهم يؤله ويعذبه، وقد أدرك بسداد رأيه الخطر الذي يهدد مسلمي الهند فأيقظ المسلمين وحذرهم^{٣٢}.

ورأى إقبال أن المسلمين في حاجة إلى دراسة دينهم دراسة علمية لكي يستطيعوا الوقوف أمام الدعايات المعادية ولذلك أسس "المجمع العلمي الإسلامي للأبحاث" وضم إليه فريقا كبيرا من الزعماء والعلماء المرموقين، وكان يرمي من وراء ذلك إلى إيجاد حركة إسلامية علمية تقوم على طريقة البحث العلمي الحديث لمقاومة التيارات المعادية التي تكالبت على الإسلام والمسلمين، وهذه ناحية من نواحي إشعاع إقبال في العالم الإسلامي^{٣٣}.

وهكذا خدم إقبال بلاده عن طريق الشعر والعلم وعن طريق المحاماة والسياسة، بل نجح في تأثيره في الرأي العام حتى أصبحت للمسلمين في شبه القارة الهندية دولة مستقلة ذات سيادة كباكستان الإسلامية.

دعوته إلى اتحاد العالم الإسلامي

العلامة إقبال الذي طالب بتقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين: دولة للمسلمين باسم "دولة باكستان" ودولة للهنود باسم "دولة الهند"، وذلك لاختلاف الدين بين المجموعتين وأسباب أخرى، هو نفس إقبال الذي كان يدعو دائما في شعره وخطبه وكتاباتاته إلى اتحاد العالم الإسلامي، إيماناً منه بقوله تعالى:

﴿واعتصوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾^{٣٤}.

وكان إقبال حريصا على نشر هذه الدعوة، ولذلك فإنه عندما سمع بوجود أحد كبار علماء الإسلام سماحة الشيخ مبشر الطرازي الحسيني في مدينة دهلي للعلاج من مرض ألم به لدى أحد مشاهير الأطباء المسلمين في الهند الدكتور مختار الإنصاري، فإن إقبال سافر من لاهور إلى دهلي لمقابلة سماحة الطرازي، وناقش معه بعض المسائل الهامة التي تتعلق بالشؤون الإسلامية، وطلب منه أن يلقي محاضرة بعنوان "وجوب اتحاد العالم الإسلامي" في الاحتفال السنوي لجمعية حماية الإسلام في لاهور، وقبل سماحته الدعوة، وكان ذلك في سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٦م)، ثم استمرت المكاتبات الودية بين العلامة إقبال وسماحة الطرازي لخير الإسلام والمسلمين، إلى أن توفي إقبال في سنة ١٩٣٨م رحمه الله.

ولكن جهود العلامة إقبال في سبيل نشر هذه الفكرة الإسلامية تركت آثارا طيبة في نفوس المسلمين في شبه القارة الهندية، فزاد تمسك المسلمين بها بعد قيام دولة باكستان الإسلامية.

ففي سنة ١٩٦٤م (١٣٨٤هـ) نشرت مجلة "منبر الإسلام" بالقاهرة حديثاً لسفير باكستان حول إمكانية الاتحاد الإسلامي، فكتب سماحة الطرازي معلقاً علي ذلك. مقالاً تحت عنوان "نحو الاتحاد الإسلامي" ومما جاء فيه قوله:

"اطلعت في "منبر الإسلام" على حديث لمعالي سميع الله خان سفير باكستان في القاهرة، وفي ضمنه جواب من معاليه لسؤال: "هل يمكن قيام وحدة بين شعوب العالم الإسلامي وكيف يتحقق ذلك؟" ويبدأ معاليه بقوله: "إن مما لاشك فيه أن باكستان تطالب بالوحدة الإسلامية، كما يطلبها الدين الإسلامي.. الخ"^{٣٥}.

"أقول: إن معالي سفير باكستان قد أعرب في جوابه هذا (لهذا السؤال الخطير الذي يهم المسلمين جميعاً) عن صميم الوعي القومي في دولة باكستان الإسلامية، وبتعبير آخر قد أعرب عما يريده الشعب المسلم الباكستاني الذي عرف بنزعاته نحو السياسة التي رسمها الدين الإسلامي في تعاليمه القدسية، سواء كانت في الشؤون الاجتماعية أم في المجالات الدولية، وبعاصمته بحبل الله المتين، وتمسكه بسنة رسوله الأمين سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم.

ولا أقول هذا إلا عن معرفة وممارسة، فقد جمعني تاريخ حياتي بهذا الشعب المسلم عدة مرات (قبل استقلال شبه القارة الهندية وتقسيمها إلى الهند وباكستان) وكان أولها سنة ١٣٥٠هـ عند مروري بهذه القارة العظيمة في وفد من قبل المغفور له جلاله الملك نادر شاه ملك أفغانستان موفدا إلى المغفور له جلاله الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لعقد أول معاهدة الصداقة بين البلدين. وآخرها سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٦م) حينما كنت في دهلي (عاصمة الهند) تحت العلاج لمرض ألم بي، وفي أثناء إلقاء الكلمات في حفلات التكريم لي في جمعية علماء الهند وبعض الجامعات والهيئات الإسلامية، وفي المقابلات مع كبار الشخصيات منهم: مولانا كفاية الله (مفتي الهند الأكبر)، ومولانا سعيد أحمد (سحبان الهند)، ومولانا حسين أحمد المدني، وبعض أعضاء جمعية مسلم ليك —رحمهم الله—، علمت مدي اهتمام زعماء هذه القارة وعامة المسلمين فيها بالعلاقات الودية مع الشعوب العربية والإسلامية، فقد كانوا يقدسون الأخوة الإسلامية ويقدرون حقوقها، ويميلون كل الميل نحو اتحاد المسلمين في قضايا العروبة والإسلام، ويعتقدون أن تحررهم من الاستعمار البريطاني ونيلمهم الاستقلال وتقرير المصير الذي كانوا ينشدونه إنما يتيسر لهم في ظل الأخوة الإسلامية واتحاد المسلمين، وكان ذلك إيمانا منهم بقول الله عزوجل: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾^{٣٦} وقوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾^{٣٧} وقوله: ﴿واعتصموا بجمبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾^{٣٨} وقوله: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾^{٣٩} وكذلك اعتقادا منهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاضدهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"^{٤٠} ويقول "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"^{٤١}.

وقد وجه إلي الأستاذ هلال أحمد زيري مدير جريدة "الجمعية" في دهلي أسئلة علي رأسها سؤال يقول: ما علاج فاجعة الإسلام؟ (يريد الاستعمار ومشاكله) فقلت: الأخوة والاتحاد، مع شرح الجواب، فقابل الجواب كل تأييد وترحيب من قبل رجال المجتمع الإسلامي في شبه القارة الهندية حتى إن الدكتور إقبال فيلسوف باكستان حضر من لاهور إلى دهلي بعد مطالعة جوابي، وقابلني ورحب بالفكرة، ودعاني لإلقاء محاضرة في موضوع "وجوب اتحاد العالم

الإسلامي" في المؤتمر السنوي لجمعية "حماية الإسلام" بـلاهور التي كان يرأسها، ثم وجهت إلى الدعوة من قبل نفس الجمعية ونشرت في الصحف، وقد تم إلقاء المحاضرة في حديقة حبيب الله هال بـلاهور وكان عدد الحاضرين بين سبعة أو ثمانية آلاف مسلم، حضروا المؤتمر السنوي من جميع أقطار شبه القارة الهندية، وقد ترجمت المحاضرة من العربية إلى الأردية وطبعت ونشرت غير مرة في أقطار الهند، وتوجد نسخة من هذه المحاضرة في دار الكتب المصرية، وفي أثناء إقامتي في قصر النواب نياز علي خان عضو الشرف لهذه الجمعية، حضر لمقابلتي مولانا ظفر علي خان رحمه الله مدير جريدة "زميندار" أكبر جريدة في تلك القارة وطلب مني أن أملئ عليه بيانا موجها في موضوع (الاتحاد والتكتل) إلى عامة المسلمين في أقطار الهند، وقد نشر بعنوان "علامة طرازي كا بيبغام، مسلمانان هند كي نام" أي رسالة العلامة الطرازي إلى مسلمي الهند.

"وأريد أن أقول: إن هذا وذاك كله يدل علي أن الشعب المسلم الذي نال استقلاله وقرر مصيره بتأسيس دولة باكستان الإسلامية سنة ١٩٤٧م والذي يزيد عدده على خمسة وسبعين مليوناً من المسلمين، يريدون تطبيق تعليمات الدين الإسلامي شؤون حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية، ويرحبون بالاتحاد الإسلامي الذي يضم المسلمين عرباً وعجماً، ومما يذكر هنا أن المغفور له محمد علي جناح مؤسس دولة باكستان كان من الداعين إلى الاتحاد الإسلامي، وكان من كبار أعضاء الرابطة الإسلامية التي أسسها الزعيم الكبير مولانا محمد علي رحمه الله لهذا الغرض المقدس".

"نعم. إن الاتحاد الإسلامي بين شعوب المسلمين ممكن كل الإمكان وذلك على أساس الأخوة الإسلامية وسياسة السلف الصالحين رضي الله عنهم أجمعين، وقد أثبت هذا الإمكان الأستاذ محمد حسن أعظمي عميد كلية اللغة العربية بكراتشي في كتابه "الوحدة في الشرق" ونقل جانباً من محاضراتي آنفة الذكر من الصفحة ٤٦. ٥٠ وذلك للاستشهاد ضد المخالفين".

ثم قال سماحة الطرازي في ختام مقاله الطويل: "ونحن نسأل الله العلي القدير أن يوفق فخامة الرئيس محمد أيوب خان باكستان وجميع ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية بتأدية الواجب نحو الاتحاد الإسلامي^{٤٢} ﴿وقل اعملوا فسيرى

الله عملكم ورسوله والمؤمنون، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴿٤٣﴾ .

دفاعه عن المجاز (السلام)

في أواخر الأعوام العشرين الأولى من القرن العشرين ماجت شبه القارة الهندية الإسلامية بتيارين فكريين متلاطمين، وكانت غاية التيار الأول أن يأخذ المسلمون بحضارة الغرب في مظاهرها العلمية والروحية والسياسة، مسايرة منهم لمن ينطلقون في سبيلهم قدما، أما التيار الثاني فكان بخالف الغرب، داعيا المسلمين إلى الاعتصام بدينهم وحده لعلهم يفلحون، فان فيه غني لهم عن كل ماقد يرد عليهم من أباطيل الغرب وأضاليله.

وفي مثل هذا المعترك الفكري الروحي، قضى إقبال الشطر الثاني من حياته التي امتدت بين عام ١٨٧٧ و عام ١٩٣٨ م، وأما الشطر الأول منها فأخبط فيه بيئة سيطرت عليها الثقافة الإسلامية والهندوكية والانجليزية (٤٤).

وخلاصة رأي إقبال في صلة المسلمين بالعرب كما وردت في كتاب له بالإنجليزية عنوانه "إعادة تشكيل الفكر الديني في الإسلام" (٤٥): أن أظهر مظهر في التاريخ الحديث هو اندفاع المسلمين اندفاعا فكريا وثقافيا نحو الغرب، ولن يعد هذا من الخطأ، لأن التقدم الحضاري في جانبه الفكري عند الأوربيين ليس إلا تنمة لتطور بعض مظاهره الهامة عند المسلمين، ولكن أخوف ماخاف أن يبهزنا بريق سطحي للحضارة ويضلنا عن لبابها ويصدنا عن حقيقتها (٤٦).

وقد قام عدد من العلماء والمفكرين في شبه القارة الهندية كالشيخ محمد علي جوهر والشيخ أبي الأعلى المودودي والدكتور محمد أقبال، بدراسة الحضارة الغربية ومشاكل العصر، وعرفوا محاسن الحضارة المعاصرة ومساوئها، وحللوها تحليلا علميا، فتركوا تأثيرا في الفكر الإسلامي المعاصر، ولكن العالم العربي لم يطلع علي أفكار هؤلاء القادة والمفكرين إلا بعد مدة من الزمن، بعد ما نقلت أفكارهم إلى اللغة العربية، وكانت الضربة الأولى علي الحضارة الغربية من الدكتور محمد إقبال الذي كان أشده بأسا وأكثرهم حماسة لأنه لم يكن مدافعا أو ناقدا سلبيا للحضارة الغربية، أو موافقا بين الإسلام والحضارة الغربية، وإنما كان داعيا إلى حضارة الإسلام العريقة، وكان ينوح علي المجد التليد للأمة الإسلامية ويشكو

بؤسها وشقاءها وبطش أوربا، وكان يحلل أسباب الانحطاط، ويدعو إلى إنعاش روح الإيمان في المسلمين (٤٧).

وقد جمع إقبال بين الفكر و العقل والعاطفة والقلب والعلم الصحيح، فكان هائما بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه البررة وأبطال الإسلام، فألّهب الضمائر وأشعر القلوب بذكرهم، والدعوة إلى الاقتداء بهم، وبعث روح الاستعلاء والاعتزاز بنعمة الإسلام في قلوب المسلمين، وكان لحدِيثه عن كل ذلك في الشعر لون جديد لا يوجد له التطير في اللغة الأردية وفي اللغات المعاصرة، فيقول إقبال ما معناه:

"إن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض علي البشرية اتجاهه، ويملي عليها إرادته لأنه صاحب الرسالة، وصاحب العلم واليقين، ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه، فليس مقامه مقام التقليد والاتباع وإنما مقامه مقام القيادة والتوجيه" (٤٨).

وكان إقبال معتزا بتراث الإسلام وحضارته وتاريخه وما خلده أعلام الإسلام من علوم، وما أبدعوا من فنون وروائع الفكر، وكان ينظر إلى التاريخ الإسلامي نظرة احترام وتمجيد لا استهانة ونقد، كما فعل بعض الكتاب، ولم يكن يدعو إلى تقليد أوربا بل كان يدعو إلى إحياء التاريخ الإسلامي ويمجد دور الأوائل من حملة الإسلام ويتغنى بما فعله هؤلاء الأوائل، ومع ذلك كان يدعو إلى الأخذ من العلوم العصرية ما يلائم طبيعة هذه الأمة والنبوغ فيها. لأن الإيمان بالله والاعتباس من أثر الرسول—صلى الله عليه وسلم—والاعتزاز بتاريخ الإسلام، والإيمان بسداده وصلاحيته للقيادة في هذا العصر، وإبراز الشخصية الإسلامية، واستعادة الأصالة والذاتية، يشكل معالم الطريق إلى استعادة المجد للمسلمين.

لقد عاش إقبال مدة حياته في حب الرسول—صلى الله عليه وسلم—والأشواق إلى مدينته المباركة، وتعنى بهما في شعره الخالد، وفي آخر حياته كلما ذكرت المدينة المنورة فاضت عيناه وانهمرتا بالدموع، وقد قال شعرا كثيرا في مكة المكرمة والمدينة المنورة منبع الإسلام.

نبوغه في الشعر وشهرته العالمية

اهتمامه بالشعر:

كان إقبال وهو طالب في المدرسة ينظم الشعر، ويزداد على مر الأيام إحسانا فيه، وكان يرسل بين الحين والحين شعره إلى الشاعر "داغ"، أحد الشعراء الأرديين، ونظر الشاعر الكبير في قصائد الشاعر إقبال الشادي، ثم كتب إليه أن لا ترسل إلي شعرك فإنه لا يحتاج إلى تنقيح، وعاش داغ حتى ذاع صيت إقبال وبلغ في الشعر ما بلغ، فكان الشاعر الكبير داغ يفخر بأنه نقح شعر إقبال في صباه^{٤٤}.

ثم تخرج إقبال من الجامعة ودوى صوته في محافل الأدب، تنشد قصائده، وحرصت الصحف على نشر شعره وقد أيقن الشعراء والعلماء في الهند أن لهذا الشاب شأنًا عظيمًا.

وإن أول قصائده الرنانة التي ألقى في جمع حاشد كانت قصيدته التي أنشدها في الحفل السنوي "لجمعية حماية الإسلام"^{٤٥} في لاهور سنة ١٨٩٩م وعنوانها "أنين يتييم"^{٤٦} وبعد ذلك نشرت قصائده في الصحف في موضوعات اجتماعية وسياسية بالإضافة إلى ترجمة قصائد إنجليزية قام بترجمتها^{٤٧}.

ومن قصائد إقبال قصيدة بديعة نظمها عندما كان طالبًا بالجامعة بعنوان "جبل همالايا" وهي فارسية التركيب إنجليزية الأفكار، ونشرها الأستاذ عبد القادر في مجلته "مخزن" سنة ١٩٠١م، ثم نظم عدة قصائد أدبية كان لها دوي في أندية الشعر والأدب وجذبت الأنظار نحو الشاعر الشاب المبدع^{٤٨}.

بعد الحرب (البلقانية):

ثم نشبت الحرب البلقانية والطرابلسية سنة ١٩١٠م، فكان لها في نفسية الشاعر أعمق أثر، وجرحت عواطفه وقلبه فهاج خاطره وجعلت منه عدوا لدودا للحضارة الغربية، وأملاه حزنه قصائد كلها دموع حارة في سبيل المسلمين، وسهام مسمومة في صدور الأوربيين، وتتجلى هذه الروح في جميع ما نظم وقال في هذه الفترة، فمن قصائده "البلاد الإسلامية" وهي رد على فكرة القومية ودعوة إلى الجامعة الإسلامية و"يا هلال العيد" و"المسلم" و"فاطمة بنت عبد الله"

شهيدة جهاد طرابلس، و" محاصرة أدرنة" و" الصديق" و" بلال" و" الحضارة الحديثة" و" الدين" و" شكوى إلى الرسول" يشكو حال الأمة الإسلامية^٩.

بعد البركان الأوربي سنة ١٩١٤م:

ثم انفجر البركان الأوربي سنة ١٩١٤م، وحدث ما حدث فانقلب الشاعر داعيا مجاهدا، وحكيما فيلسوفا، ينظم الحكم، ويشب من حماسه نيرانا، ويفجر بإيمانه وثقته أنهارا، وجاش صدره وفاض خاطره وسالت قريحته، وفي تلك المدة نظم عُزَّ قصائده، منها: "الشاعر والتجوال في الصحراء" و" الحياة" و" الحكومة" و" الرأسمالية" و" الأخير" و" عالم الإسلام" و" طلوع الإسلام" وكلها آية من الشعر والحكمة والحماسة وحقائق الحياة، وأما "طلوع الإسلام" فهي بيت القصيدة في شعره لا يوجد لها نظير في الشعر الإسلامي في القوة والانسجام. وقد طبع سنة ١٩٢٤م أول مجموعة شعرية باسم "بانك درا" يعني جرس القافلة، فكان اهتمام الناس به عظيما، وحظي من القبول ما لم يحظ شاعر، وأعيد طبعه مرارا بعدد كبير^{١٠}.

آثاره الأوربية وروايته الشعرية:

ثم بدأ العهد الأخير في حياة العلامة إقبال، ورغم إصابته بمرض القلب في السنوات الباقية من عمره ففراه قويا بإيمانه بالله، وتمسكه بتعاليم الإسلام، وقد ازداد فكره نضجا، وأفق معارفه اتساعا، وانتظمت دعوته، واتضحت رسالته، وكثرت أعماله الأدبية الفكرية، وبذلك قدم للأدب الإسلامي خدمات جليلة.

ونشرت له عدة كتب فارسية، وقد أثر إقبال اللغة الفارسية لشعره لأنها أوسع من الأردية، وهي اللغة الإسلامية التي تلي اللغة العربية في الأهمية والانتشار في العالم الإسلامي، ويتكلم بها قطران مهمان^{١١}: إيران وأفغانستان، ويفهمهما أهل الهند، وأهل تركستان وبحارى وتركيا، ونشر مجموعتين بالأردية. وأما الدواوين باللغة الفارسية فهي "أسرار خودي" يعني "أسرار معرفة الذات" و" رموز بيخودي" يعني "أسرار فناء الذات" و" بيام مشرق" يعني "رسالة الشرق" في جواب كتاب جوتة "تحية الغرب" و" زبور عجم" و" جاويد نامه" و" بس جه بايد كرد أي أقوام شرق؟" يعني (ماذا ينبغي أن تعمله الشعوب الشرقية؟) و" مسافر" و" أرمغان حجاز" يعني "هدية الحجاز" وكذلك باللغة الأردية "بال

جبريل" يعني "جناح جبريل" و"ضرب كلیم" يعني "ضرب موسى" ^{٥١}.

وهناك محاضرات ألقاها في مدينة "مدراس" الهندية طبعت فيما بعد على شكل كتاب باسم *The Reconstruction of Religious Thought in Islam* ^{٥٢} ومحاضرات ألقاها في جامعة كمبردج، وقد اعتنى بهذه المحاضرات المستشرقون وعلماء الفلسفة والدين اعتناء عظيماً، وعلقوا عليها أهمية كبيرة، وترجم أكثر كتبه إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والروسية، وممن تولى هذا النقل الأستاذ الإنجليزي الشهير الدكتور نكلسن، فترجم إلى الإنجليزية "أسرار خودي" و"رموز بيخودي" وألفت في ألمانيا وإيطاليا مجامع وهيئات باسمه لدرس شعره وفلسفته. وجاءته الدعوة من لندن ومن حكومة فرنسا وإسبانيا وإيطاليا، فزار القطرين الأخيرين، وألقى في مدريد محاضرات في الفن الإسلامي، وزار مسجد قرطبة، وصلى فيه لأول مرة في التاريخ بعد جلاء المسلمين، وذرف على تربته دموعاً غزيراً، وتذكر العرب الأولين الذين حكموا هذه الأرض ثمانية قرون، واستنشق في جوه وهوائه أريج حضاراتهم، وشعر كأن المسجد العظيم يشكو إليه حرمانه من سجد المؤمنين، وجوّ قرطبة يشكو إليه بعد عهده من الأذان وطمأه إلى ذلك، فقال الشعر الرقيق الذي يعدّ من القطع الأدبية الخالدة، ونظم قصيدة من أبدع قصائده ^{٥٣}.

دور إقبال في توجيه الأدب العالمي:

وكان إقبال بعد أن علم ما علم، ورأى ما رأى في الهند وأوروبا يتنازعه طريقتان في الحياة، طريق العمل وطريق الفكر، وبدا له حيناً أن يهجر الشعر، ولكن صديقه السيد عبد القادر وأستاذه توماس آرنولد نصاحاه أن يستمر على نظم الشعر، وما كان أعظمها خسارة للأدب الإسلامي وأدب العالم كله لو هجر إقبال الشعر فلم يخرج للناس دواوينه التسعة ^{٥٤}.

ويقول العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي عن دور إقبال في توجيه الأدب بأنه قد جمع في أدبه بين دراسات دقيقة شاملة جامعة للفلسفة الحديثة والقديمة، وأن رسالته كانت أدبية علمية، فكان لسان الأدب والشعر، وأن إقبال أنشأ مدرسة جديدة في الشعر فأثر في التركيب الشعري والأدبي وامتد تأثيره للأخيلة والمعاني الجديدة، وأنه خدم الإسلام والإنسانية خدمة لا يجاريه فيها في مجال

الأدب أحد، كما أثر في الجيل المثقف الجديد في شبه القارة الهندية بدور فريد لا يعرف لأحد من أقطاب الفكر ومن نوابغ هذا العصر الحديث^{٥٥}.

ولقد اشتهر إقبال في الشرق والغرب منذ شبابه، وطار صيته في الآفاق حيثما حلق شعره الذي ترجم إلى لغات كثيرة، كما كتب عنه كثير من المفكرين أشياء كثيرة، ولكن إقبال لم يكن شاعرا أديبا فحسب بل كان عالما صالحا، ومفكرا حكيما، وحقوقيا بارعا، وزعيما سياسيا مرموقا، فنواحيه إذن عديدة، ولذلك أصبحت جوانب من حياته مواضيع للحصول على درجات الماجستير والدكتوراة^{٥٦}.

من قصائد الشعراء في إقبال:

وهناك كثير من الشعراء في العالم الإسلامي من العرب وغيرهم قالوا قصائد رائعة في إقبال في مناسبات مختلفة، فمن هؤلاء على سبيل المثال الشاعر الأديب والمؤرخ الجليل المرحوم الأستاذ محمد عبد الغني حسن، وقد جاء في قصيدته بعنوان "محمد إقبال شاعر القوة في الحياة":

أيها	المسلم	القوي	النضال
أيها	الشاعر	الرفيع	المثال
يا	أخا	يا	أبا
يا	الحق	يا	الإقبال
لك	ما	تحية	الإسلام
كنت	صوتا	للمسلمين	قويا
ملأ	الأرض	رجفة	ودويا
وبيانا	عذبا،	وشعرا	وضيئا
سائغا	في	العقول	والأفهام
هاهنا،	هاهنا	محبوك	جاءوا
تشهد	الأرض	جمعهم	والسما
جمع	الحب	بينهم	والوفاء
إنما	الحب	قوة	في
		الأنام	م ^{٥٧}

سماحة الشيخ الندوي يعبر عن إعجاب به:

يعبر سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي عن إعجاب به الشديد

بشعر إقبال بقوله: "إن أسباب الإعجاب بشعر إقبال كثيرة، وللمعجبين به أن يتحدثوا عن أسباب إعجابهم، وهي ترجع في الغالب إلى موافقة الهوى والتعبير عن النفس، فالإنسان إنما يحب نفسه، ويطوف حولها، ويعيش فيها ويجب كل ما وافق نفسه، وترجم عن ضميره، ولا أبرئ نفسي فرمما أحببت شعر إقبال لأني رأيت يوافق هواي، ويعبر عن ضميري وخواطري، وينسجم مع عقيدتي وتفكيري، ويتناغم مع عاطفتي ومشاعري.

إن أعظم ما حملني على الإعجاب بشعره هو: الطموح والحب والإيمان، وقد تجلّى هذا المزيج الجميل في شعره وفي رسالته أعظم ما تجلّى في شعر معاصر، ورأيت نفسي قد طبعت على الطموح والحب والإيمان، وهي تندفع اندفاعاً قويا إلى كل أدب ورسالة يبعثان الطموح وسمو النفس وبعد النظر والحرص على سيادة الإسلام وتسخير هذا الكون لصالحه، والسيطرة على النفس والآفاق، ويغذيان الحب والعاطفة، ويبعثان الإيمان بالله والإيمان بمحمد — صلى الله عليه وسلم — وبعقريّة سيرته وخلود رسالته وعموم إمامته للأجيال البشرية كلها.

إنني أحببت وشغلت به كشاعر له عقيدة ودعوة ورسالة، وكأعظم نائر على هذه الحضارة الغربية المادية، وأعظم ناقد لها وحاقد عليها، وكداعية إلى المجد الإسلامي وسيادة المسلم، ومن أكبر المحاربين للوطنية والقومية الضيقتين، وأعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية والجامعة الإسلامية^{٥٨}.

ثم يقول سماحة الشيخ الندوي: إن جل ما أعتقده أن إقبال شاعر أنطقه الله ببعض الحكم والحقائق في هذا العصر، أنطقه الله كما أنطق الشعراء والحكماء قبل عصره، إنني أعتقد أنه كان صاحب فكرة واضحة، وعقيدة راسخة عن خلود الرسالة المحمدية وعمومها، عن خلود هذه الأمة وصلاحيتها للبقاء والازدهار، وعن كرامة المسلم وأنه خلق ليقود ويسود، وعن تحافت المبادئ والفلسفات والدعوات التي ظهرت في هذا العصر كالقومية والشيوعية والرأسمالية، ووجدت في نفسي من وضوح الفكرة وشدة الاقتناع بها، والتحمس لها، والشجاعة في نشرها، وأخيرا لا أخرا وجدته شاعر الطموح والحب والإيمان، وأشهد على نفسي أنني كلما قرأت شعره حاش خاطري وثار عواطفني، وشعرت بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسي وبحركة الحماسة الإسلامية في عروقي، وتلك قيمة شعره وأدبه في نظري.

مرضه ووفاته رحمه الله:

في سنة ١٩٣٥م توفيت زوجة إقبال، شريكة حياته، الزوجة الصالحة التي قاسمته كفاحه وآلامه، فأحزنه موتها كثيرا، ثم أصيب بعلة القلب التي استمرت تنقص من قوة جسمه تدريجا، ولكنها لا تنال من عقله وروحه شيئا، فلم ينقطع عن التفكير والبيان ونظم الشعر حتى الأيام الأخيرة من عمره^{٥٩}.

واشتدت عليه العلة في الشهور الأخيرة من حياته، وبلغت مبلغ الخطر حتى انتقل إلى رحمة الله في ٢١ نيسان (أبريل) سنة ١٩٣٨م^{٦٠} وكان عمره سبعا وستين سنة، وكان يحسن بقرب أجله ويذكره غير هائب ولا جازع، وقد أنشد قبل موته بنحو عشر دقائق أبياتا من الشعر منها هذا البيت:

آية المؤمن أن يلقي الردى
باسم الثغر سرورا ورضى
ثم وضع يده على قلبه قائلا: الآن قد بلغ الألم إلى هنا، وحمد الله وأسلم الروح إلى خالقها وهو مبتمس. رحمه الله^{٦١}

نماذج من شعر إقبال في فلسفة الحياة والموت

دوافع فلسفة الحياة والموت:

لكل فكرة تخطر على بال أي إنسان دوافع، وما هي بواعث فلسفة الحياة والموت عند "إقبال" وما هي الدوافع التي أشعلت هذه الفلسفة، فجعلتها ملتبهة كالنار، قوية كالسيول الجارفة، نابضة بالحياة والخلود، ناطقة بالأمل والتفاؤل؟

لقد نظر "إقبال" حوله فرأى المسلمين يرتعون في بيداء الجهالة، ويضربون في فيافي الغفلة، والإسلام الناصع القوي أصبح عنوان الذلة والفقر والضياع، وصار المسلمون محكومين أذلاء بعد أن كانوا حاكمين كرماء. ترى ما هو الداء الذي نخر في أجساد الأمة الإسلامية فأورثها سوء المآل؟

كان أول داء وقعت عين "إقبال" عليه عند المسلمين هو "الخوف من الموت والحرص على الحياة" بعد أن تمزقت صفوفهم وتفرقت شملهم، فيرى أنه يجب عليهم أن يعودوا إلى "ذاتهم" لأنها مصدر الحركة والعمل ومصدر النور والحياة، ومركز الإنسانية ومدار الخلود، ويجب عليهم أن يقووها ويدعموها وينفوا

عنها الخوف والجبن والحرص والغبي، ويردوها إلى الطريق الحق، لأن الذات هي الأصل ومنها البداية، وإهمال الذات هو عين الجهل وأسس البلاء^{٦٢}.

والداء الثاني الذي أصيب به المسلمون هو "فساد العقيدة" فيجب عليهم أن يتمسكوا بتعاليم الإسلام الصحيحة، وبدون ذلك لا قيمة لهم في الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

والداء الثالث هو أن المسلمين إذا صدمتهم الحقيقة المرة فإنهم بدلا من أن ينفضوا عن كاهلهم غبار التضاعف والكسل ويقفزوا من جديد إلى سلم الكفاح والمجد فإنهم يقولون: وماذا نعمل؟ هذا قضاء الله وقدره وما باليد حيلة، وليس علينا إلا الاستسلام لأمر الله! هكذا يقولون لأنفسهم دون أن يأخذوا للأمر عُدته، كي يهزموا صعوبات الحياة، ويتغلبوا على عقباتها، حتى يصلوا إلى المرتبة الكريمة التي أرادها الله لهم.

والداء الرابع هو أن المسلمين ينظرون إلى ما يعترتهم من آلام ويكتنف حياتهم من نكبات، على أنه عنوان للحظ المنحوس وسوء الطالع، ويحسبون أن الحياة السهلة والنعمة السخية هي الدليل الأوضح على رضا الله ورحمته بهم، لقد أغمض المسلمون عيونهم عن منابع دينهم الأولى، ونسوا أن الله قد يختار أقواما لا يتلائم حتى يرى ماذا سيكون من شأنهم حينما تدلهم الخطوب، ونسوا أن المؤمن الحق يشكر النعماء ويحمد الله على الضراء، ويظل يعمل ويكافح حتى يخرج من محنته، وقد ازداد معدنه نفاسة، وجوهره قيمة وقدرًا^{٦٣}.

وشاعرنا الفيلسوف "إقبال" يفكر في فلسفة الحياة والموت من هذه الزوايا المختلفة، ويبين أسباب الحالة التي عليها المسلمون، ثم يوضح الطرق التي توصلهم إلى المجد والرفعة، وإلى العزة والسعادة.

نماذج من شعره في فلسفة الحياة والموت:

لقد كان شبح الموت الرهيب يبدو أمام الناس جسيما عظيما، وبقدر ما كانت جسامته وخطره فإنه كان يبدو في عين "إقبال" ضئيلا متلاشيا، لعله كان يرى أن العقبة في طريق رقي المسلمين هي مخافة الموت، ووجد أن الخوف من الموت معناه أمر واحد وهو ترجيح الذلة والعبودية على موت العزة والكرامة، فحاول أن ينتزع هذا المرض النفسي من صدور أهل الإسلام مبينا أن خوف

الموت والإيمان لا يجتمعان في قلب واحد، وأن الذين تسنموا سلم الجحد والشرف هم الذين حملوا رؤوسهم على أكفهم في ميدان الكفاح، لا تنخلع قلوبهم خوفاً، ولا ترتعش عزائمهم جبناً، وإنما يقبلون على الموت إقبالهم على العرس، مؤمنين بالفوز في الدنيا، والسعادة بقاء الله في الآخرة.

ويذكرنا "إقبال" بأسلافنا الذين جاهدوا في سبيل الله لنشر دين الإسلام، ففتحوا الممالك وحكموا الدول، بعد أن وطئت خيولهم القلاع والحصون، وما اشتروا هذا الجحد إلا بدمائهم، فهو يذكرنا بهذه الحقيقة ويقول:

فوق الصوامع والكنائس صوتنا
قد كان يعلو بالأذان جهارا
تترنم الصحراء في إفريقيا
بصلاتنا وتسابق الأطيارا
كنا نقدم للسيوف صدورنا
لم نخش يوما غاشما جبارا^{٦٤}

ويصف "إقبال" ذلك المسلم الذي كان ينطلق كالسهم النافذ إلى العدو بعد أن يكبر تكبيرة الجهاد في الميدان، فيقول:

ذلك المؤمن المجاهد يغشى
غمرة الحرب والردى يخشاه
تحت ظل السيوف ماض قوي
درعه لا إله إلا الله^{٦٥}

ويبين "إقبال" بعد ذلك أن الحالة قد تغيرت، وأن سنة الأقيام قد تبدلت، واستحكمت الجبن في قلوب الكثيرين من المسلمين، وأصبحت وجوههم تصفر اصفرار الشمس عند الأصيل إذا ذكر الموت أو الحرب، فيقول:

لم يبق في يد مسلم درع ولا
سيف يصل به ليوم جهاد
ولو أنه وجد السيوف فهل له
ذوق الخلود وحب الاستشهاد^{٦٦}

ويرى "إقبال" أنه إذا كان المرء مخلصا لله حق الإخلاص، وإذا كان واثقا

بأن الموت ليس إلا العقبة الأولى التي يجتازها الإنسان إلى الحياة الأبدية والمتعة بقاء الله، إذا كان الإيمان هكذا فلا محل للخوف من الموت، أما أولئك الخائفون فهم شاكون في لقاء الله وفي الخلود، ثم هم يعبدون المال، ويؤثرون الحياة الدنيا، ويظنون أن هذه الحياة المادية هي المرحلة الأخيرة للسعادة، لذلك يخشون أن يموتوا فيحرموا مما هم فيه من نعيم زائل، ويحكم "إقبال" على هؤلاء بأنهم فقراء، وأن أموالهم لا تساوي التراب، وهم على كل حال سيموتون طوعا أو كرها، فيقول:

المؤمن الحق كان الله غايته
والله كان لديه السمع والبصرا
والآن أضحي إله المال كعبته
وخوفه الموت أفناه وما شعرا
سيان في الشرك هذا عابد ذهبا
يسعى إلى جمعه أو عابد حجرا
يامؤمنا بقاء الله مالك في
ذعر من الموت قد أشبهت من كفرا
قد عاد قلبك ميتا بين أضلعه
كأنه في حنايا الصدر قد قبرا
من كان يحسب أن الموت هاوية
وأنه عدم يستأصل البشرا
فنار آماله ينحط عنصرها
إلى التراب ويلقى الموت محتقرا^{٦٧}

ولما كان سم الموت ساريا في كل الدماء البشرية فقد حاول "إقبال" أن يوجد من السم نفسه علاجا، وكيف استطاع أن يصل بمهارة إلى استخلاص هذا الدواء الغريب؟ إنه عمد إلى تذكيرنا بأن الموت أمر محتوم، وأن لكل إنسان أجلا محدودا، وإذا كانت هذه النهاية قضاء نافذا في الخلائق فالخوف منها لا يجدي فتيلة، ومحاولة الفرار مع كونها جبنا وانحطاطا مخالفة لصواب التفكير أيضا. فالعاقل لا يفكر في النجاة من القضاء المبرم كما لا يفكر في أن ينفذ من أقطار السماوات والأرض، وهو في هذه الحالة إلى الجنون أقرب، وبالجانين أشبه. ولهذا عرض لنا "إقبال" عدة صور تمثل فناء هذا الكون، وهي صور من حوادث

الطبيعة تحمل إلينا فنا بديعا في منظرها الرهيب المخيف، وتذكرنا عند مطالعتها بعوالم السماوات والأرض جميعا في طريقها إلى الانتقال أو الزوال، تعالج فينا خوف الموت وتبهدنا من غفلتنا وترفع عن أعيننا أغشية الغرور والركون إلى زهرة الدنيا وفتنتها، فيقول:

تحت نور الأفلاك عيش جميل
وأرى النور ينطفي ويحول
وعلى كاهل المساء ترى للشمس
نعشا بكى عليه الأصيل
في سنا البدر للكواكب أكفان
توارى بها الشعاع النحيل
بينما هذه الجبال حصون
وإذا صخرها كتيب مهيل
وتقيم الأمواج في البحر أبراجا
من أوجها الرفيع تزول
ورباح الخريف يكمن للزهر
هشيمًا وقد طواه الذبول
ليس زاد المسافرين سوى الخوف
من الموت، والحياة رحيل^{٦٨}

وقد حاول "إقبال" أن يبدد من النفوس استسلامها إلى الدنيا وإخلادها إلى نعيمها الزائل، ودعانا إلى الحذر منها والاحتياط فيها، فقدم هذا التشبيه الرائع في هذه الأبيات، فيقول:

مثل الحياة كطائر مترنم
غنى فأرقص حوله الأزهارا
ما كان أعذب لحنه لكنه
كالحللم حلق في الفضاء وطارا

لا يعلم الإنسان كيف أتى إلى
دنيا المتاعب أو متى ما يرحل

ما نحن في الأكوان إلا دوحة
أوراقها عما قليل تذبل

إن الحياة شرارة لم تبتم
إلا لتجعلنا لها أخطابا
في عرس دنيانا مآتم للردى
تطوي شيوخا في البلى وشبابا

والمرء لم يبرح أسيرا حائرا
ما بين سر الأمس أو لغز الغد
إن الحياة على الأنام بخيلة
بدوامها، والعيش غير مخلد^{٦٩}

إن الله تعالى هو المنفرد بالبقاء، وجميع العالم لا بد أن يفنى، وأن تفسير حلم الموت قد جرى في حياة الملوك والعظماء وعامة الناس، أما خلود الناس فهو من تقدير الله في الأزل، إلا أن هذا الهيكل التراخي الناقص لا بد أن يمر عليه الموت، ولا بد أن يمر الإنسان من هذا الألم المليء بالحوادث التي لم تترك صحراء ولا مدينة، ولم ينج منه بر ولا بحر، ويعبر "إقبال" عن ذلك فيقول:

الرعد والبروق والزلازل
والقحط والآلام والنوازل
في الكوخ والقصر والصحراء
والمدن المنيعة السماء
وفي رياض البلبل الرنان
وفي تلال البوم والغريان
يقتحم الموت بجيش القدر
حصون فغفور وبطش القيصر
إذا رأيت الموج في البحر سكن
فالموت كامن لإغراق السفن
لا نغم العود ولا شكوى الحزين

ولا ابتسام البشر أو دمع الأنين
ولا امتشاق السيف بين الدارعين
ولا صدى التكبير بين الهاتفين
يعيد نبض القلب في الصدر الخراب
أو يرجع النفس إذا حان الذهاب^{٧٠}

ويوضح "إقبال" أن الآلام لا بد منها لتمخيض الإنسانية وعلى نيرانها تنضج الأرواح القوية، ولا يمكن الوصول إلى الأفراح إلا بعد الأحزان، والآلام هي الطريق إلى النور والدرجات العالية في معراج العظمة، والذي لم يعرف أنين المساء، والعاشق الذي حرم في هواه حسرة جواه، وقاطف الزهر الذي حافظ على يده سليمة من الشوك، والذي قضى طول عمره في البهجة والترف، لم يكدح في تحصيل علم، ولم يكد في اقتناء فن وإحياء عبقرية، فأولئك جميعا محرومون من الإحاطة بأسرار الحياة، فيقول:

إن كانت الحياة خمرا صافيا
يغمرنا من رأسنا إلى القدم
ففي الدموع للحياة جدول
تصفو به النفس وتنبت الهمم
والله في حكمته علمنا
أن انشراح الصدر قبله "ألم"^{٧١}

نشيد هذا الكون يبدو ناقصا
حتى يتم الدمع ألحان النشيد
ما أيقظ الشباب من سكن الهوى
إلا الأسى ينبّه العقل الشريد

آلما إلى العلا أجنحة
نعلو بها فوق مطارات النسور
الروح سر والحياة ظلمة
وشعلة الآلام للأرواح نور

في خفقان القلب لحن صامت
لم تحكه على غصونها الطيور

إن الذي لم يدر أنات المساء
ولم تسامر عينه نجم السماء
ولم يحطم جام قلبه، الأسي
ولم ينر ظلام ليله البكاء
والعاشق المحروم في غرامه
من لوعة الذكرى وحسرة الجفاء
ومجتي الزهر الذي لم تحتضب
يداه في الشوك بحمرة الدماء
والسادر اللاعب طول عمره
لم يستمع إلا إلى عذب الغناء
جميع هؤلاء مهما سعدوا
من نعم الدنيا بأمن ورخاء
فإن أسرار الحياة تختفي
عنهم، وهم عنها دوما في اختفاء^{٧٢}

ويحدثنا "إقبال" عن الظواهر الكونية بلغة ساحرة مبينا أن الربيع لا تفتح
أزهاره ولا تنضج أغصانه، ولا يبدو كل ذلك جميلا في الحدائق إلا عندما تتساقط
كل الأوراق بعواصف الخريف، وتبدو الطبيعة جافة صامتا حتى يوقظها ذلك
الربيع بتغريد أطياره، فظواهر الحياة تعطينا درسا بلغيا، فليس الموت إلا غروبا
لشمس الروح، لم تشرق بعد ذلك في صبح الخلود الذي لا فناء بعده، فيقول:

يزعم الجاهلون أن المنايا
مغرب فيه للحياة انقضاء
أ فلم ينظروا إلى الشمس يبدو
نورها بعد ما طواها المساء
تعرب النفس ثم يشرق صبح
فيه للنفس بالخلود انقضاء^{٧٣}

ويصور "إقبال" من الطبيعة أجمل الصور وأحدث التشبيهات ليزيل اليأس المظلم بنور الأمل المشرق، وأن الحياة ماثلة في تغييرها من جميل إلى أجمل، ومن حسن إلى أحسن، ويخاطب الإنسان المسافر في رحلة الدنيا بأن موت البراعم حياة للزهور، فيقول:

وتوديع أيام البراعم مؤذن
 بخلق الزهور الباسمات جمالا
 ومصنع هذا الكون بالخلق دائر
 فإني أرى فيه السكون محالا
 وليس سوى التغيير في الكون ثابت
 يغير حالا ثم ينشئ حالا^{٧٤}

وقد سبق أن تحدث "إقبال" في صور مختلفة عن خلود الحياة الإنسانية، والآن لتأمل النهر الذي ينحدر من القمم المرتفعة في ملاءته البيضاء، هابطا كسلاسل الفضة، مرسلا من خريه نغما شجيا، يتعلم منه البلبل ترجيع ألحانه، حتى إذا هبط النهر إلى السفوح والوديان تفرقت قطراته، وكأننا لا نرى من ذلك الماء السلسال شيئا إذا سرنا قليلا بعد ذلك بين الرمال رأينا النهر متجليا في حلاه الفضية يسقي من حوله الغابات والأعشاب، كذلك نهر الحياة يهبط من سمائها ثم يغيب حينما يظهر منسقا في مجرى الخلود، وشاعرنا يقدم لنا هذه الصورة الجميلة فيقول:

من رؤوس الجبال ينحدر النهر
 طروب الأمواج عذب الأغاني
 ينقل الطير عنه بين الروابي
 ما ييث الغصون من ألحان
 كخودود الحور الحسان تراه
 في صفاء البلور حلو الخريز
 ثم تمضي تلك المياه ضياعا
 في تلال منشورة وصخور
 قطرات من النمير طوتها
 في ثنايا الرمال أيدي الفراق

فإذا	النهر	بعد	ذلك	في
مجراه	يحيى	الزهور	والأعشابا	
فضة	تنبت	الزمرد	في	الأرض
وتسقي	النخيل	والأعنابا		
وحياة	الإنسان	نهر	سماوي	
توالت	بسيهه	الأقدار		
كلما	غاص	ماؤه	عاد	فياضا
فما	ينقضي	له	تيار	
شعلة	النفس	لا	تصير	رمادا
ضوؤها	خالد	على	الأزمان	
كل	شيء	يمضي	وكل	حياة
تنقضي	غير	جوهر	الإنسان	٧٥

إن المنظر الذي يروع الإنسان هو حركة الموت التي تسكن بعدها الأعضاء وتبرد الحواس، فحينما يراك "إقبال" مرتعدا مذعورا لهذا المشهد الرهيب يضع على قلبك برد العزاء، و يبين لك أن ملك الموت لا يميت الأرواح، وإن أفنى علم الأشباح، فيقول:

لا	تمت	من	مخافة	الموت	جهلا
فبغير	الأنفاس	روحك	تحيأ		
يعصف	الموت	بالجسوم	ولكن		
ليس	يفني	من	قوة	النفس	شيئا
يصعد	الروح	للخلود	ويبقى		
عالم	الغيب	والشهادة	حيا		٧٦

ويقول "إقبال" إن المسلم باق ليرفع العلم ويقود البشرية نحو الخير، وأعداء الإسلام يحاولون أن يسقط هذا العلم وأن يذهب المسلمون، ولكن هؤلاء الأعداء أنفسهم كثيرا ما يشاهدون نور الإسلام فيصباحون في طليعة أنصاره وحماته فينقلب عدوانهم حماية ورعاية، وإذا سقطت بعض مواطن المسلمين فالمسلم

سبيقتي، والإسلام لن يفنى.

والليالي علمتنا عبرا
في الذي مرّ به غزو التتار
كفروا ثم اجتلوا نور الهدى
فاهتدوا لما رأوا ذاك المنار

عرفوا الإسلام فانقادوا له
وغدا أعداؤه ركن حماه
عزت الكعبة وانهار الصنم
وهوى الشرك بتوحيد الإله

إن هذا العصر ليل فأنر
أيها المسلم ليل الحائرين
وسفين الحق في لج الهوى
لا يرى غيرك ربان السفين

أنت كنز الدر والياقوت في
موجة الدنيا وإن لم يعرفوك
محفل الأجيال محتاج إلى
صوتك العالي وإن لم يسمعوك

ليس في الوقت فراغ فاعتزم
واملاً الدنيا بأعمال شريفة
أنت نور الأرض تهدي أهلها
لن يرى غيرك في الأرض خليفة^{٧٧}

ويعتقد "إقبال" أن المسلم ما زال ممتحنا بالشدائد والحوادث الجسام، ولقد انخالت على المسلمين مصائب الزمن، ورأوا من البلايا ما ضاع بمثله ملك جميع

الأمم السابقة من إغريق ويونان ورومان وفراعنة، ولكن الحوادث ارتدت عن المسلم كما تترد الحصباء عن القلعة السماء، وكل مصيبة تنزل بالمسلم تصير عاملا على إسعاده وسببا في رقيه، فيقول:

نحن	نهدى	الخلق	زهرا	وثمارا
وسوانا	يبعث	النار	ضراما	
كل	نمرود	إذا	أوقد	نارا
عادت	النيران	بردا	وسلاما	
نحن	بالإيمان	نبي	عزنا	
لا	نبالي الهول	أو نخشى	الصعابا	
وإذا	الباغي	رمى	في	غرسنا
جدوة	الظلم	جعلناها	ترابا	

ذهب	اليونان	والرومان	والفرس
قدما	وفراعين	الزمان	
وهدى	الإسلام	ما زال	على
قصة	الدنيا	يدوي	بالأذان ^{٧٨}

ويؤكد "إقبال" على أن الذي يحافظ على كمال ذاتيته يحيا بعوامل الموت، فهذه الكواكب والأقمار تزول، ولكن نشوة الذاتية لا يخبو لمعائها إلى الأبد، والذي تمكن من كمال ذاتيته ونضج إيمانه لا يخاف من الموت القادم، وإن ارتكاب أقبح الذنوب أساسه الخوف، لاسيما خوف الموت، والوائق بنفسه يهجم على الأسد وكأنه يهجم على حمل، والخائف يفر من الغزال كأنه يفر من أسد، ولو لم تكن في قلوبنا شائبة الوحل لعبيرنا البحر كأنه صحراء، وأما الفزع فيرينا في كل موجة تمساحا، فيقول:

يعلو	على	الموت	من	تسمو	إرادته
وفي	عزيمته	صدق	وإيمان		
عمر	الكواكب	محدود	وأنت	إلى	
غير	انتهاء	بكأس	الخلد	ريان	

يرى	الجبان	غزال	القاع	مرتعدا
كأنه	أسد	في	القاع	ضرغام
والحر	يلقى	أسود	الغيل	مبتسما
حتى	كان	أسود	الغيل	أغنام

إن	الشجاع	يخوض	البحر	مقتحما
كأنما	الموج	أزهار	وأدواح	
وموجة	النهر	في	عين	الجبان
غول	وحوت	وتنين	وتمساح	بها

٧٩

ثم يتحدث "إقبال" عن المؤمنين وصفاتهم ومواقفهم في الحياة وكيف ينبغي أن يكونوا أقوياء معززين مكرمين، لا ضعفاء مهزومين، فيقول:

المؤمنون	على	عناية
رهم	يتوكلون	
لا	خوف	يفزعهم
هم	في	الحوادث

لو	مر	أضعفهم	على
فرعون	يجتز	الرؤوسا	
لأراك	في	الإفصاح	هارونا
وفي	الإيمان	موسى	

إني	رأيت	الخوف	في
الدنيا	عدوا	للعمل	
هو	مطفئ	نور	الرجاء
وسالب	كنز	الأمل	

يرمي	الإرادة	بالتزلزل
والعزيمة		بالخور
ومن	احتواه	لا
يجني	من	الثمر
	الروض	

المؤمنون	لهم	من	المولى
أمان			الأولياء
بلغوا	الكمال	عن	الدنيا
العريضة	أغنياء		٨٠

ويرى "إقبال" أن فقد الرؤوس في النضال مع الشرف لا يقل قيمة عن البقاء الدائم، فلحظة من عمر الأسد خير من حياة الشاة مائة عام، وإلى ذلك المعنى يشير في هذه الأبيات، فيقول:

العمر	لا	يقاس	بالأعوام
والعقل	لا	يقاس	بالأجسام
واليوم	من	عمر	أسود
بألف	عام	من	حياة
		الغنم	

عش	ساعة	في	لجج	البحار
ومت	شheid		الموج	والتيار
ولا	تعش	دهرا	كعيش	الخامل
مقيدا	بين	صخور	الساحل	٨١

وكان القائد الإسلامي خالد بن وليد -رضي الله عنه- يعرض عند موته أكثر من مائة وعشرين إصابة على جسمه، وهو فخور بتلك الجروح، إلا أن فخره هذا كان ينقصه الاستشهاد، ونرى "إقبال": يرثيه بعد أن خلد ذكرى عطرة وكأنه يصف نفسه فيقول:

مات	ولكن	لم	يمت
-----	------	----	-----

فهو	مخلد	الثناء
له	من	حياة
لا	يشوبها	الفناء

إن	شئت	فاحي	مثله
قبل	نهایة		الأجل
إن	الحياة	في	الجهاد
والخلود	للعمل		٨٢

إن الأعمال كثيرة والأوقات قصيرة، لا يهمنا أن نعيش طويلا، ولكن يهمنا أن نعمل عملا جليلا، إن الأحياء الحقيقيين هم الذين جاهدوا، وهم الذين صور "إقبال" لنا جهدهم، وضرب لنا منهم الأمثال، مشيرا إلى أن حياة الدنيا ميدان العمل والكفاح ليكون لك دور عظيم في الحياة، فيقول:

بنور	الجهاد	الحي	سار	محمد
بجيش	على	راياته	الفوز	إكليل
أرى	فرصة	الأعمال	ومضة	بارق
يضيء	سناها	لمحة		ويزول
إلى	الفوزجاهد	مااستطعت		ولاتم
ففي	القبر	نوم	بعد	ذاك
				طويل

منازل	وادي	الصامتين	على	البلى
ستبقى	بها	حتى	النشور	مقيما
إذا	العزم	نادى	فارم	سهمك
على	قبة	الأفلاك	وامض	عظيما

وأخيرا يخاطب "إقبال" المسلمين جميعا في الشرق خاصة وفي جميع أنحاء العالم عامة، ويذكرهم بأمجادهم العظيمة، ويدعوهم إلى الاتحاد والكفاح، موضحا ما يجب عليهم عمله ليعود المجد كاملا إليهم كما كان من قبل، فنراه في قصيدة

له بعنوان "والآن ماذا يجب أن نصنع يا أمم الشرق؟"

يقول:

تنن الخلائق في الأرض طرا
وقد سامها الغرب عسفا وجورا
فيا أمم الشرق فيم التواني
لقد آن أن يصبح الشرق حرا
أكاد أرى ثورة في الشعوب
تشد الحياة إلى المجد قسرا
مضى الليل وانجاب عهد الظلام
وبعد الدجى يعقب الليل فجرا

وللمؤمن الحر من ربه
هدى في الحياة ونور مبین
وفي قلبه حرمة واشتياق
وعطف على محنة الآخرين
إذا العلم فاز به المؤمن
رأيت به خشية المتقين
ويزداد خوفا من الله حتى
يرد الأمان إلى الخائفين

هو العلم فيه لنا كيمياء
إلى قدرة الله يهدي البصر
فيا أسفا ليس للغرب منه
سوى حيرة في دياجى الفكر
يسوق الرزايا ويهدي المنايا
إلى الخلق من علمه المبتكر
وبين الصدور تلين القلوب
وفي صدره قطعة من حجر

تنبه لهذا الدخيل الذي
تفر الثعالب من مكره
ولا تتعمم بمنسوجه
ولا تغمض العين عن غدره
وإما مررت على حانه
تعوذ بربك من شره
فمن ذاق خمرته لم يعد
إلى داره، بل إلى قبره

لقد آن للروح أن تستفيق
وللشرق أن يستبين الدليلا
ليجعل أنقاض هذا البناء
على الظالمين كثيلا مهيلا
إذا العقل أذعن للقلب حكما
رأى طاعة الله أهدى سبيلا
وإن لم يجب داعي القلب أضحى
كإبليس شرا ومكرا وبيلا

على قوة الحق تحيا الشعوب
وتجتاز في المجد حد المحال
فلا شعب يقوى بلا وحدة
تضم الصفوف لنيل المعالي
إذا الرأي كان بلا قوة
فليس به غير زيف الخيال
وحين ترى قوة قد خلت
من الرأي فهي طريق الوبال

فتى الشرق أنت الوفي الأمين

فأظهر يد العزم للناس جهرا
لتخرج بيضاء من غير سوء
وتبطل من فتنة الغرب سحرا
وكيف ارتبطت بأوهامه
وكيف استطعت على القيد صبيرا؟
فوحده بلادك صوب العلا
بإيمانها تلق عزا ونصرا

بنا ليس العشق ثوب الدلال
وفاض على الكون طيبا وحسنا
وفطرة آدم في كل حي
روحها الخلائق في الدهر عتّا
تعلمت الأمم الناهضات
من الشرق دينا وعلما وفنا
رفعنا الحجاب عن الكائنات
فنحن من الشمس والشمس منا^{٨٤}

كلمة ختامية:

كانت هذه فكرة موجزة عن سيرة الأديب المفكر الفيلسوف الدكتور محمد إقبال شاعر باكستان الأكبر، وأهمية أدبه للأدب الإسلامي، وكانت هذه نماذج شعرية له في فلسفة الحياة والموت، تلك الفلسفة التي رفع بها شأن المسلم الأبي القوي عاليا بين البشر، في حياته بالفخر والعزة والكرامة، وعند مماته بالجهاد والشرف والشهادة، فهو جدير بما كلفه الله به من قيادة هذا العالم، نحو الإيمان والعلم والفضيلة، ونحو الخير والكمال والسعادة، في ضوء تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فرحم الله شاعرنا إقبال رحمة واسعة.

أهم المراجع:

١. القرآن الكريم

٢. صحيح البخاري، صحيح مسلم، جامع الترمذي، سنن النسائي، مسند أحمد بن حنبل
٣. روائع إقبال — للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي، الطبعة الرابعة، طبعة الهند سنة ١٤٠١هـ — ١٩٨١م.
٤. محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره — للدكتور عبد الوهاب عزام، طبعة بيروت سنة ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م.
٥. إقبال الشاعر الثائر — نجيب الكيلاني، طبعة بيروت سنة ١٣٩١هـ — ١٩٧١م.
٦. باكستان ماضيها وحاضرها — الدكتور إحسان حقي، طبعة بيروت سنة ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م.
٧. شاعر باكستان الأكبر محمد إقبال في السماء — الدكتور حسين مجيب المصري، طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣م.
٨. حقيقة باكستان أكبر دولة إسلامية في العالم — محمد حسن الأعظمي، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٠م.
٩. الحياة والموت في فلسفة إقبال "إقبال كا فلسفة حيات وموت" للشيخ الصاوي شعلان والأستاذ محمد حسن الأعظمي، طبعة كراتشي بباكستان سنة ١٩٦٩م.
١٠. فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند باكستان للشيخ الصاوي شعلان والأستاذ محمد حسن الأعظمي، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م.
١١. الطريق إلى المدينة العلامة أبو الحسن علي الندوي، طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٥هـ
١٢. أدب الصحوة الإسلامية — واضح رشيد الحسيني الندوي، طبعة ندوة العلماء بالهند سنة ١٤٠٢هـ.
١٣. قرآن اور إقبال "القرآن وإقبال" — أبو محمد مصلح (بالأردية)، طبعة في لاهور بباكستان سنة ١٣٥٩هـ.
١٤. بانك درا — تأليف العلامة محمد إقبال، مجموعة قصائد، الطبعة الثالثة والعشرون، طبعة في لاهور بباكستان سنة ١٩٦٥م.
١٥. جريدة المدينة — عدد الأربعاء ٢٥ ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ صادرة في المملكة العربية السعودية.

۱۶. مجلة الوعي — العدد الخامس عشر، يناير سنة ۱۹۷۱ م صادرة من قسم الصحافة بسفارة باكستان في بيروت.
۱۷. مجلة البعث الإسلامي — المجلد السادس والعشرون، عدد رجب ۱۴۰۲ هـ مايو ۱۹۸۲ م، صادرة عن ندوة العلماء بالهند.
۱۸. مجلة منبر الإسلام، عدد جمادى الأولى سنة ۱۳۸۴ هـ — ۱۹۶۴ م القاهرة.
۱۹. منشور المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، في ذكرى محمد إقبال فيلسوف باكستان، القاهرة سنة ۱۹۷۲ م.
۲۰. بيام مشرق "رسالة الشرق" مجموعة قصائد بالفارسية والأردية للعلامة محمد إقبال جمعها الأستاذ محمود الله صديقي، طبعة لاهور، باكستان، سنة ۱۹۷۲ م.

-
۱. روائع إقبال للعلامة أبي الحسن الندوي ص ۲۹، وكذلك محمد إقبال سيرته وفلسفته للدكتور عبد الوهاب عزام ص ۲۵.
۲. محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ۳۰.
۳. روائع إقبال ص ۲۹ ولكن الدكتور عزام ذكر تاريخ ولادته سنة ۱۸۷۳ م (محمد إقبال ص ۳۰). بينما ذكره محمد حسن أعظمي سنة ۱۸۷۶ م (حقيقة باكستان ص ۴۳).
۴. محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ۳۱.
۵. روائع إقبال ص ۳۰ — وكذلك انظر "قرآن اور إقبال" ص ۲۱ وما بعدها.
۶. Scottish Mission School
۷. روائع إقبال ص ۳۰ محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ۳۲
۸. محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ۳۹
۹. روائع إقبال ص ۳۱
۱۰. كان السير توماس آرنولد أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن، ثم أستاذ الفلسفة في جامعة علي كره بالهند، ثم في كلية لاهور الحكومية.
۱۱. محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ۴۰
۱۲. Oriental College

روائع إقبال ص ٣٠ — محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٤٤	١٣
Development of Metaphysics in Persia	١٤
محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٤٩ — روائع إقبال ص ٣١	١٥
روائع إقبال ص ٣١	١٦
محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٥٠	١٧
روائع إقبال ص ٣٢	١٨
محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٥٥	١٩
روائع إقبال ص ٣٢.	٢٠
محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٥٥	٢١
Reconstruction of Religious Thought in Islam	٢٢
محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٥٩	٢٣
محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٦٠	٢٤
المرجع السابق ص ٦٢	٢٥
نفس المرجع ص ٦٢	٢٦
حقيقة باكستان ص ٤٤	٢٧
روائع إقبال ص ١٧.	٢٨
محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٦٤	٢٩
حقيقة باكستان ص ٤٤ — باكستان ماضيها وحاضرها ص ١٨٧	٣٠
اقرأ ترجمة خطب إقبال في كتاب "فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان"	٣١
طبعة القاهرة ١٩٥٠ م.	
مجلة الوعي ص ٣٠ مقال دكتور إحسان حقي.	٣٢
حقيقة باكستان ص ٦٨.	٣٣
الآية رقم ١٠٣ من سورة آل عمران	٣٤
مجلة منبر الاسلام عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ هـ (القاهرة)	٣٥
الآية ٩٢ من سورة الأنبياء	٣٦

- ٣٧ الآية ١٠ من سورة الحجرات
- ٣٨ الآية ١٠٣ من سورة آل عمران
- ٣٩ الآية ٤٦ من سورة الأنفال
- ٤٠ انظر صحيح البخاري (باب الأدب ٣٧) وصحيح مسلم (باب البر ٦٦) ومسنند أحمد بن حنبل ٤/٢٧٠
- ٤١ انظر صحيح البخاري (باب الصلاة ٨٨ وباب الأدب ٧٦ وباب المظالم ٥) وصحيح مسلم (باب البر ٦٥) وجامع الترمذي (باب البر ١٨) وسنن النسائي (باب الزكاة ٦٧) ومسنند أحمد بن حنبل ٤/١٠٤—١٠٥
- ٤٢ مجلة منبر الاسلام عدد جمادى الأولى ١٣٨٤هـ القاهرة
- ٤٣ الآية ١٠٥ من سورة التوبة.
- ٤٤ محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٣٧
- ٤٥ أنجمن حماية إسلام
- ٤٦ نالهء يتيمي
- ٤٧ محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٣٧
- ٤٨ روائع إقبال ص ٣١
- ٤٩ روائع إقبال ص ٢٣
- ٥٠ المرجع السابق ص ٣٤
- ٥١ روائع إقبال ص ٣٥
- ٥٢ إعادة تشكل الفكر الديني في الإسلام
- ٥٣ روائع إقبال ص ٣٦
- ٥٤ محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٤٦
- ٥٥ جريدة عكاظ في عدد الأربعاء ٢٥ ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ حول محاضرة سماحة الشيخ الندوي ألقاها بنادي المدينة الأدبي عن دور إقبال في توجيه الأدب والشعر
- ٥٦ انظر حقيقة باكستان ص ٦٥ وكذلك مقال الدكتور إحسان حقي في مجلة الوعي ص

- ٥٧ منشور المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة بمناسبة الاحتفال بذكرى العلامة
إقبال القاهرة سنة ١٩٧٢ م
- ٥٨ روائع إقبال ص ١١—١٢
- ٥٩ المرجع السابق ص ٢٤—٢٥
- ٦٠ محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٧١ وكذلك انظر قرآن اور إقبال (القرآن وإقبال)
بالأردية ص ١٩
- ٦١ محمد إقبال سيرته وفلسفته ص ٧٢
- ٦٢ انظر إقبال الشاعر الثائر ص ٣٦—٣٨
- ٦٣ إقبال الشاعر الثائر ص ٣٩—٤٢
- ٦٤ بانك درا للعلامة إقبال ص ١٧٨ من قصيدة الشكوى بالأردية
- ٦٥ إقبال كا فلسفة حيات وموت ص ٣٥ من قصيدة أردية
- ٦٦ المرجع السابق ص ٣٦ من قصيدة أردية
- ٦٧ إقبال كا فلسفهء حيات وموت ص ٣٩ من قصيدة فارسية
- ٦٨ إقبال كا فلسفهء حيات وموت ص ٤٥ من قصيدة فارسية
- ٦٩ المرجع السابق ص ٤٧ من قصيدة أردية
- ٧٠ إقبال كا فلسفة حيات وموت ص ٥١ من قصيدة أردية
- ٧١ إشارة إلى الآية "ألم نشرح لك صدرك"
- ٧٢ إقبال كا فلسفة حيات وموت ص ٧٧ من قصيدة أردية
- ٧٣ أيضا ص ١٠٣ من قصيدة أردية
- ٧٤ إقبال كا فلسفة حيات وموت ص ٧٥ من قصيدة أردية
- ٧٥ إقبال كا فلسفة حيات وموت ص ٧٧ من قصيدة أردية
- ٧٦ أيضا ص ١٠٣ من قصيدة أردية
- ٧٧ إقبال كا فلسفة حيات وموت ص ٩٧ من قصيدة أردية
- ٧٨ نفس المرجع ص ٩٩ من قصيدة فارسية
- ٧٩ إقبال كا فلسفة حيات وموت ص ١٠٩ من قصيدة فارسية

-
- ٨٠ المرجع السابق ص ١١١ من قصيدة أردية
- ٨١ أيضا ص ١٢٧ من قصيدة فارسية
- ٨٢ إقبال كا فلسفة حيات وموت ص ١١٧ من قصيدة فارسية
- ٨٣ أيضا ص ١٣١ من قصيدة أردية
- ٨٤ ترجمة الشيخ الصاوي شعلان المصري والأستاذ عبد البارئ أنجم الباكستاني من الفارسية إلى العربية بمناسبة الاحتفال بذكرى العلامة إقبال من طرف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة سنة ١٩٧٢ م

نظرية باكستان عند إقبال

الأستاذ عزيز أحمد^١

إن أدكى تحليل لعقل إقبال في بحثه عن حل للهند المسلمة هو التحليل الذي قدمه السير هاميلتون جيب:

"لعل الطريقة الصحيحة للنظر إلى إقبال هي أن نرى فيه شخصا فكر وعبر في كلمات حية عن التيارات الفكرية المختلفة التي كانت تجيش في عقول المسلمين الهنود، فمزاجه الشعري الحساس صور كل ما اصطدم به — رومانتيكية اللبراليين، والميول الاجتماعية للمفكرين الشباب، وتطلع الأعضاء العسكريين في العصبة المسلمة إلى ظهور قائد قوي قادر على إعادة القوة السياسية للإسلام."

وفي المرحلة الإسلامية لكتاباته التي بدأت عام ١٩٠٨م واستمرت حتى وفاته عام ١٩٣٨م، فصل إقبال السياسة عن القومية، وحاول أن يربطها بالدين والحضارة. وهذا أيضا دلّ ضمنا على رفض المفهوم الغربي الحديث لازدواجية الكنيسة والدولة. قال إقبال في الخطاب الذي ألقاه أمام العصبة المسلمة في دورتها السنوية عام ١٩٣٠م.

"لا يقسّم الإسلام وحدة الإنسان إلى ثنائية غير متناغمة للروح والمادة في الإسلام: الله والكون، الروح والمادة، الكنيسة والدولة، كلها ذات علاقة عضوية فيما بينها."

والمغزى الحقيقي لهجرة الرسول من مكة إلى المدينة عام ٦٢٢ ميلادية يكمن في إنكار مفهوم الوطنية المحلية. ومفهوم المجتمع السياسي في الإسلام لا يقبل الإقليمية الجغرافية ولا العرق المشترك كمعيار صحيح لتحديد مجموعة عرقية. فالأرض ملك لله، وهي على ذلك مسكن مشترك لكل الرجال، وبإمكان المسلمين أن يعيشوا في أي جزء منها. ويرى الإسلام أن هناك معيارين فقط للمجتمع السياسي. فأفراد المجتمع إما أن يكونوا مسلمين أو غير مسلمين، وغير المسلمين جميعا يشكلون مجتمعا واحدا على طرف نقيض من المجتمع المسلم. ولكن هذا لا يسوغ العمل على إيجاد إمبريالية مسلمة على حساب الآخرين. والواقع أن إقامة الإسلام لإمبراطوريات على مدى التاريخ كان مضرا بنموه الحضاري بسبب استعارات لا أساس لها من الحضارات الخارجية، ولا تعني هذه الإمبراطوريات أن المسلمين كانوا، بأي معنى من المعاني، شعبا أفضل أو شعبا مختارا. والحقيقة يستطيع المسلمون أن يكونوا خير الأمم ولكنهم ليسوا كذلك، ليس لأنهم يتبعون نبي الإسلام الذي جاءت نبوته من أجل نشر الحرية والمساواة والأخوة بين أفراد الجنس البشري كله، ولكن لأنهم قادرون على بذل جهود عملاقة لتطبيق القيم الأخلاقية في تعاليم النبي -صلى الله عليه وسلم- للسيطرة على قوى الطبيعة.

كيف يمكن جمع شمل هذا المجتمع الإسلامي المتفرق في كل أرجاء العالم؟ نجد فكرة جمع الشمل هذه في المفهوم الإسلامي الأساسي للتوحيد (وحدة الله) وتجسيده كقوة اجتماعية تعكسها الأخوة في الإسلام المبنية على القرآن والسنة، ورمزها الخارجي، أو كما يسميها إقبال "مركزها المحسوس"، هو الكعبة التي هي قبلة العقول والأنظار. والطواف حول الكعبة ليس هو مجرد دوران حول أثر من الآثار، ولكن بيننا وبين الكعبة هناك رابطة رمزية لا يعرفها حتى جبريل، وهذا في جوهره ما أكده ولي الله من أن الكعبة ترمز إلى وحدة المجتمع الإسلامي تجذب المسلمين من جميع أنحاء العالم لأداء فريضة الحج.

والدولة التي يمكن أن ينطوي تحت لوائها المجتمع الإسلامي العالمي ما زالت

دولة إسلامية مثالية غير محققة. ولقد بذل إقبال في أعماله مجهودا عظيما للتعريف بهذه الدولة المثالية في ضوء الايديولوجيات الحديثة وهو يرفض الديمقراطية الغربية الحديثة لأن الأثرياء هم الذين يسيطرون عليها ولأنها مبنية على عدم المساواة العرقية وعلى استغلال الضعيف، وإقبال لا يعتبر الإسلام والاشتراكية على طرفي نقيض بالضرورة. فهو يرى المفهوم الإسلامي للمساواة والرفض الإسلامي للعنصرية مشاهين لما هما عليه في النظرية الاشتراكية، ويرى أيضا معاداة النظام الاشتراكي للمؤسسات الملكية توازي معاداة الإسلام للمؤسسات الدينية التقليدية. وفي تفسيره لركن الزكاة كضريبة طوعية، يرى إقبال إمكانية استبعاد تراكم الثروة في أيدي القلة.

وبعد أن أكد على هذه القيم المشتركة بين الإسلام والاشتراكية، رفض إقبال الشيوعية كشكل مثالي للحكومة العالمية بالمقارنة مع الإسلام. وارتكزت حجته على تفسير تأملي لعبارة لا إله إلا الله. وهو يقول: إنه في ديالكتيك الوجود قانون الطريجة السالبة negative thesis والنقيضة الموجبة positive antithesis يعمل من أجل الوصول إلى جمعية الحقيقة synthesis of truth، فكلمة 'لا'، وهي أداة النفي في عبارة الشهادة، كلمة هدم، وكلمة 'إلا'، وهي أداة الاستثناء، مؤكدة وبناءة. وطبيعة الحياة والكون هي حركة من 'لا' إلى 'إلا'، من السلب إلى الإيجاب، من الإنكار إلى الإثبات. وكلمتا 'لا' و 'إلا' مجتمعتين معا في منهج الحقيقة تؤلفان وسيلة لإخضاع الكون. وكلمة 'لا' وحدها تفيد معنى الثورة على القيم المزيفة، وكلمة 'إلا' تفيد معنى بناء قيم حقيقية. لقد عجزت الشيوعية عن تجاوز مرحلة 'لا'، مرحلة السلبية وتدمير الظلم القديم والقيم القديمة، وفشلت حتى الآن في ولوج مرحلة 'إلا'، إن ديانة ذلك النبي الملحد "كارل ماركس" مبنية على مساواة جميع المعدات والبطون، وعلى ذلك فهناك كثير مما هو مشترك بين الشيوعية والإمبريالية الغربية: كلاهما زاخرتان بالطاقة، وكلاهما ينكران وجود الله ويخونان الإنسان، الأولى تفعل ذلك بالثورة والثانية بالاستغلال. وبين هذين الحجرين تنسحق الإنسانية.

وبناء على ذلك، علينا أن نبحث عن الدولة المثالية في الإسلام وحده وليس في أي نظام معاصر آخر. وهنا نصل إلى مفهوم الدولة القرآنية التي ما زالت دولة مثالية لم تتحقق في التاريخ الإسلامي والتي لا يجب أن نخلط بينها وبين دولة

الخلفاء الراشدين كما يفعل معظم الأحيائيين المسلمين. ما زالت الدولة الإسلامية غير محققة، وما زالت في حالة اسبات في عقل الإنسان ووجدانه، ولا يمكننا بناء هذه الدولة القرآنية على أساس ولاء جماعي أو إقليمي. في هذه الدولة المثالية خلافة الإنسان على الأرض تحقق ذاتها بالاعتراف بأن ملكية الأرض كلها (أي وسائل الإنتاج) هي لله، وبقبول أن واجب الإنسان هو إنتاج الثروة لمنفعة الإنسانية جمعاء.

ورغم أن الدولة المثالية هذه كانت حلم إقبال للمستقبل إلا أن همه المباشر كان مصير المسلمين في الحكومة الذاتية التي كانت تتشكل في الهند ببطء وهنا مرة أخرى عدل نظريته في 'المركز المحسوس' لتنطبق على مشكلة مسلمي الهند على وجه الخصوص: أغلبية مسلمة في الشمال الغربي وانتشار إسلامي في جميع أرجاء شبه القارة. وبينما ظلت الكعبة 'المركز المحسوس' الرمزي لمسلمي العالم جميعاً، تبين أن مركزاً إقليمياً في دولة إقليمية محددة سياسياً كان ضرورياً لبقاء المسلمين في شبه القارة، وهكذا شكلت مناطق الأغلبية المسلمة مركزاً محسوساً محققاً سياسياً. وهذا يعني تراجعاً عن موقف إقبال الأول، أي استنكاره للإقليمية، لقد استنتج الآن أنه إذا لم تكن الخلافة الإسلامية العالمية ممكنة من الناحية العلمية في العالم الحديث، فإن الشكل الملموس للحركة الإسلامية العامة يجب أن يكون الأمية المتعددة التي تحقق ذاتها في دول قومية إقليمية.

وضع إقبال في بادئ الأمر اقتراحاً لإقامة دولة مستقلة في الهند عام ١٩٣٠م وذلك في خطابه الرئاسي للدورة السنوية للعصبة المسلمة، بدأ خطابه بالتأكيد على أن:

"الإسلام، باعتباره نظاماً أخلاقياً بالإضافة إلى كونه نظاماً سياسياً، كان العامل الرئيسي في تشكيل حياة المسلمين وتاريخهم في الهند. وحلق الإسلام العواطف والولاءات الأساسية التي وحدت بالتدريج أشخاصاً وجماعات مشتتة، وفي آخر الأمر حوّلهم إلى شعب قائم بذاته يملك حساً أخلاقياً خاصاً به هل من الممكن أن نبقى على الإسلام من حيث هو نظام أخلاقي ونرفضه من حيث هو حكومة لصالح السياسات القومية التي لا يسمح فيها للموقف الديني أن يلعب أي دور؟ هذا السؤال في غاية الأهمية في الهند حيث يشكل المسلمون أقلية."

وكان جواب إقبال على هذا السؤال هو:

"يرتبط الجانب الديني في الإسلام ارتباطا عضويا بالجانب الاجتماعي الخاص به، وإن رفض جانب واحد يستوجب في آخر الأمر رفض الجانب الثاني لذلك فإن إقامة دولة على أساس خطوط قومية هندية هي أمر لا يقبله المسلمون إذا كانت إقامة هذه الدولة تعني استبدال مبادئ التضامن الإسلامي".

وبمقارنة مفهوم التضامن الإسلامي من حيث هو وحدة اجتماعية بالمفهوم الغربي الحديث للدولة، أخذ إقبال مفتاحه من 'أرنست رينان' الذي أشار إلى أن مفهوم القومية كان بعد كل شيء نتاجا جديدا للتاريخ الغربي الحديث، ولم يكن معروفا بمعناه الحالي في التاريخ القديم. ولكن مم تتألف القومية الحديثة؟ هل هو مفهوم العرق المشترك؟ لكن الاعتبارات العرقية لا يبدو أنها شكلت أما حديثة فامتزاج الأجناس ظاهرة معروفة في كل بلد أوروبي. إذن هل تشكل الدولة اللغة المشتركة؟ يقول رينان: إن اللغة توحد الشعب ولكنها لا تشكل منه قومية مشتركة. ففي بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وأسبانيا وأمريكا اللاتينية، لم تستطع اللغة المشتركة أن تمد القومية بأسباب الحياة في حين أن سويسرا التي يتكلم أهلها ثلاث لغات أنشأت لنفسها دولة. ويختلف رينان عن إقبال في أنه كان يعتقد أن الدين وحده لا يستطيع أن يشكل أمة، ولكنها اتفقا على أن الجغرافية أيضا لا تستطيع، هذا رغم أن الدين والجغرافية لعبا دورا على جانب من الأهمية في تشكيل القوميات.

تمثل إقبال جدل رينان في تفكيره السياسي الخاص وطبقه على الوضع في الهند. وبناء على ذلك، لا يمكننا أن نقول إن المركب السياسي للهندوس والمسلمين يشكل قومية واحدة. في السابق كان المجتمعان منقسمين ومتخاصمين، ولم يكن هناك إشارة واضحة للرغبة في دمج هويتهما في المستقبل. وحسب هذا المقياس كانت الهند المسلمة تؤلف أمة قائمة بذاتها.

اعتقد إقبال أن التجانس العاطفي والنفسي الذي ينتج عنه الإرادة في خلق أمة لا وجود له في شبه القارة. كان من الممكن أن يتحقق هذا التجانس لو أن انتقائية eclecticism "أكبر" الإدارية والاجتماعية أو توفيقية "كبير" الصوفية syncretism نجحت في الاستحواذ على خيال الجماهير العريضة في الهند ولكن

هذه التجارب انقسمت إلى حركات توفيقية بسبب رفضها من قبل مجموعة دينية كبيرة ومن قبل تركيبة المجتمع الهندوسي. لذلك تم الاعتراف بحقيقة الاختلاف في الأمة الهندية، فتجاهل هذا الاختلاف من الممكن أن يؤدي إلى توتر داخلي، والاعتراف به يمكن أن يؤدي إلى تعاون المجتمعين الكبيرين. إن للتضامن الهندوسي علاقته الثقافية مع العالم البوذي في شرق وجنوب شرقي آسيا، في حين أن للتضامن الإسلامي روابطه السياسية والدينية مع الشرق الأوسط، فالهند هي آسيا مصغرة.

وكان هذا الرأي المهم يتنبأ 'بنظرية الأمتين' التي اقترحها على نحو غامض سيد أحمد خان ومولانا محمد علي وطورها فيما بعد محمد علي جناح. كان إقبال هو أول من شكل نظرية ضرورة إنشاء دولة هندية مسلمة على نحو واضح.

"لا يمكن تطبيق مبدأ الديمقراطية الأوروبية دون الاعتراف بحقائق المجموعات الطائفية.... ولذلك فإن طلب المسلمين إقامة هند مسلمة هو طلب له مسوغاته.... أحب أن أرى البنجاب والإقليم الحدودي الشمالي الغربي والسند وبلوجستان مندجة في دولة واحدة. يبدو لي أن الحكم الذاتي داخل الإمبراطورية البريطانية أو خارجها وتشكيل دولة مسلمة هندية شمالية غربية هو المصير النهائي لمسلمي شمال غربي الهند على الأقل."

ويميز إقبال بين الإسلام كقاعدة قانونية للدولة وبين الديمقراطية التي تتسم بالتعصب. فدولة مسلمة مستقلة داخل شبه القارة لا يمكن أن تكون دولة ثيوقراطية. مزيج الحداثة والالتزام بأسياسات الإسلام الذي كان يفكر فيه لا يكاد يترك مكانا لدولة علمانية للمسلمين كما هو الحال في تركيا. ومضى يقول: من الدروس التي تعلمتها من تاريخ المسلمين هو أنه في اللحظات الحاسمة في تاريخهم، الإسلام هو الذي أنقذ المسلمين وليس العكس.

في عامي ١٩٣٦ — ١٩٣٧م حدث تقارب سياسي بين إقبال ومحمد علي جناح، وفي سلسلة من الرسائل الموجهة إلى جناح أكد إقبال على الرأي القائل أن إنشاء دولة مسلمة مستقلة كان الحل المعقول الوحيد من أجل المسلمين ومن أجل السلام في الهند. والمسلمون في شمال غربي الهند يجب أن يتجاهلوا أقاليم الأقلية المسلمة خدمة لمصلحة المسلمين الهنود عموما.

إن المشكلة الحقيقية التي تواجه القيادة المسلمة هي فقر المسلمين، وعلى عصبية المسلمين أن تقرر أخيرا فيما إذا كانت ستبقى هيئة ممثلة للطبقات العليا من المسلمين الهنود أو الجماهير المسلمة.

"من حسن الحظ أننا نجد حلاً في تطبيق القانون الإسلامي وتطوره في ضوء الأفكار الحديثة.... وإذا فهمنا هذا القانون وطبقناه فإن الجميع سيتمتعون بحق الحصول على مورد رزق.... وبقولنا للديمقراطية الاجتماعية في شكل مناسب ومنسجم مع المبادئ القانونية للإسلام ليس ثورة ولكنه عودة إلى الصفاء الأصلي للإسلام."

وفي مقدمته لهذه السلسلة من رسائل إقبال، اعترف جناح أن آراء إقبال قادتته أخيرا إلى ذات الاستنتاجات.... أي طلب إنشاء دول مسلمة مستقلة، وذلك هو ما تم التعبير عنه في قرار باكستان الذي أقرته عصبية المسلمين في دورتها السنوية عام ١٩٤٠م.

١ ملحة عن حياة الأستاذ عزيز أحمد

درّس الأستاذ عزيز أحمد في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن وكان أستاذا في الأدب الإنجليزي في الجامعة العثمانية في حيدر آباد الدكن. وبعد الاستقلال عمل مديرا للمطبوعات في الحكومة الباكستانية. ثم أصبح أستاذا في الدراسات الإسلامية في جامعة تورنتو في كندا.

ألّف عدة كتب ملخص: "دراسات في الحضارة الإسلامية في المنطقة الهندية" (دار كلاندون للنشر، ١٩٦٤م) وأصبح هذا الكتاب معروفا على نطاق واسع.

إقبال والحديث النبوي

مقدمة لنقد منهج جوزيف شاخت في دراسة الحديث

للأستاذ محمد سهيل عمر
تعريبه: ظهور أحمد أظهر

أولاً: المرخل:

(هذه المقالة للدكتور الأنصاري ترجمت من الإنجليزية إلى العربية ونشرت في "الدراسات الإسلامية" الصادرة من إسلام آباد ثم ترجمت من النص الإنجليزي إلى الأردية وقد قام بالترجمة الأردنية الأستاذ (محمد سهيل عمر) مدير أكاديمية إقبال ونشرت في مجلة "إقباليات" مع تعليق مفيد وهوامش نافعة من قبل مدير الأكاديمية ورئيس تحرير مجلتها "إقباليات" وإليكم التعليق والهوامش أولاً ثم النص المعرب المنشور في الدراسات الإسلامية:)

ثانياً: التعليق على:

"إقبال والحديث النبوي" للأستاذ محمد سهيل عمر

إن موضوع "العلامة إقبال والحديث النبوي" مهم ولأهمية جوانب كثيرة فمن أبرزها وأوضحها الحاجة الماسة إلى دراسة الأحاديث النبوية والعثور عليها وتخرجها من أجل إيضاح أفكار إقبال وشرح ما جاء في شعره من الإلماح الظاهر أو الخفي أو تحليل الميول الفكرية العامة له وفعلا قد تم الكثير من البحوث في هذا المجال^١ ويمكن القول بأن هذه البحوث والكتابات، بعددها ومستواها، مرضية مقنعة دون شك إلا أن الجانب المهم من الموضوع في حاجة إلى البحث ألا وهو القيام ببحث ما يساعد في فهم الأدب الإقبالي من صحة الحديث النبوي وإستناده وحيثه والاحتفاظ به فمن الكُتاب والمؤلفين الذين كتبوا وألفوا في موقف إقبال عن كون الحديث حجة شرعية، هم قليلون بالنسبة إلى الجوانب الأخرى من مكانة الحديث في الأدب الإقبالي، ويمكن تقسيم هؤلاء القلائل من الكتاب والمؤلفين إلى قسمين فمنهم من يرى أن وجود الأحاديث النبوية الكثيرة في شعر إقبال كمصدر أو كإلماح أدبي ومأخذ فكري لما يدل على أن شاعر الإسلام كان يعتبر الحديث مصدرا أو دليلا شرعيا يفيد كما أخذ التشريع بعد القرآن الكريم^٢ ومنهم الكتاب والمؤلفون من خبراء الأدب الإقبالي الذين فرقوا بين ما جاء من الحديث في الكتابات الثرية والرسائل والمقالات والابتكار الشعري للعلامة إقبال وبين ما جاء عنه من الآراء في نشره العلمي فنراهم فيما كتبوا أو ألفوا، يصرحون بأن موقف إقبال من الحديث النبوي ينقسم إلى قسمين^٣ فأما في شعره فإنه يستشهد بالحديث ويعول عليه دون تردد أي ريب حتى ولو كان ضعيفا وأما موقفه من الحديث النبوي في كتاباته الثرية، وعلى وجه أخص في محاضراته عن تجديد الفكر الديني في الإسلام فهو موقف المتحذر المحتاط، ولهؤلاء الكتاب والمؤلفين آراء ومزاعم تقوم على علمهم الواسع أو القليل وحسب ما فهموا ما جاء في الموضوع من المعلومات وقد حاول بعض الخبراء أن يكتشفوا أصلا فقهايا من هذا الحذر والاحتياط بأن العلامة إقبال يريد أن لا يجعل من الحديث مصدرا للتشريع^٤ كما أن البعض منهم رأى فيه شيئا من التشكيك الفلسفي والنقد التاريخي وجعله رأيا للعلامة ولكننا هنا لسنا بصدد البحث في هذه الآراء وذلك لأننا قد توصلنا إلى نتيجة تقودنا إلى القول بأن هذه هي النقطة التي تدل على أن إقبال كان قد اختار منها علميا تطبيقيا في تجديد الفكر الديني وهذه النقطة من

بين النتائج الحيوية لذلك المنهج التطبيقي^٥ إلا أننا نرى بأن استخراج الأصل الفقهي أو التشكيك الفلسفي مما جاء في تجديد الفكر إنما هو من التشوق الفضولي والاحتراء الجنوني لا غير!! وأما في الوقت الحاضر فإننا نريد أن نلفت نظر قراء "إقباليات" إلى شيء آخر إذ هو مفتاح الإدراك لما يختاره إقبال من المواقف المتحدرة وفي نفس الوقت يساعدنا في حل عقدة من تاريخ الحديث وتدوينه ومن أجل الاطلاع على خلفية المسئلة يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ما يأتي من النقط:

إن العلم المعاصر الغربي قد أولد العديد من الآفات والبلبات ولكن أخطرها وأهولها هو عفرية "النقد التاريخي" (Historical Criticism) ذلك الذي أثر في الديانة المسيحية تأثيراً بالغاً للغاية فهو الذي قد ابتلع دراسة الإنجيل ابتلاعاً كاملاً وقد كان المستشرقون يمثلون ذلك المجتمع الغربي وهم أبناء ذلك الجو السائد ومن ثم قد هاجم العفرية نفسه، بطبيعة الحال، على الإسلام كذلك! فأما في دراسات القرآن فإن نباحهم فيها لم يبلغ موضع الاهتمام إلا أن النقد التاريخي للحديث النبوي قد أثر في نفوس الكثيرين من المثقفين في عالمنا الإسلامي ولا شك أن للرهبة نصيباً في ذلك! فقد كان المفكرون المسلمون المعاصرون قد سيطر عليهم رهبة المؤرخين والمستشرقين بأمانتهم وسعة علمهم وأساليب بحوثهم ووسائلهم المثمرة المفيدة! وكانت آراء أهل العلم الغربيين قد اتخذت صورة من الصحة والاستناد إلى عصر إقبال وقد وافقهم العديد من مفكرينا فيما وصلوا إليه من الرأي وأن هذه الموافقة لرأيهم لها خلفية خاصة بها.^٦

وكان عمل التشكيك في صحة الحديث النبوي واستناده قد بدأ بما كتبه (إسبرنجر) بالألمانية قبل سنوات^٧ ثم ظهر بعده بأربع سنوات ما كتبه (نولديكه)^٨ وفي ٧٧—١٨٧٥م نشر كتاب (الفريد خان كريم) في مجلدين^٩ وكان موقف هولاء من الحديث النبوي هو نفس الموقف الذي عرف بالنقد التاريخي فيما بعد ثم أصبحت هذه النزعة تشكيكية فلسفياً كاملاً واستحالت إلى نقد مبرهن فرفض صحة الحديث واستناده إلى عصر (جولت تسيهر) والذي ظهر في كتابه "الدراسات المحمدية" (Mohammedanism Studies) بكل قوة وتفصيل حتى أنه في بداية القرن العشرين الميلادي قد أصبح من المؤكد المعترف به في أوساط

المستشرقين والدارسين لمؤلفاتهم بأن ذخائر الحديث النبوي كمصدر تاريخي غير موثوق بها! فذلك هو الرأي القائم الذي ذكره إقبال في تجديد الفكر الديني وقد عول عليه كل من تناول موضوع العلامة إقبال والحديث النبوي.

وفيما يأتي عبارة مقتبسة من تجديد الفكر الديني^١ وهي التي جاء بها العلامة في بداية نقاشه للحديث النبوي كمصدر تشريعي وهذه العبارة لها صلة بما يراه (جولت تسيهر) في نقده للحديث النبوي وقد أوردها في المجلد الثاني من كتابه^{١١} والعبارة بنصها الإنجليزي كما يلي:

The Hadith: The second great source of Mohammedan Law is the traditions of the Holy Prophet. These have been the subject of great discussion both in ancient and modern times. Among their modern critics professor Goldziher has subjected them to a searching examination in the light of modern canons of historical criticism and arrives at the conclusion that they are, on the whole, untrustworthy

"الحديث: المصدر التشريعي الثاني العظيم للفقهاء المحمدي هو حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم. وقد نوقش نقاشا عظيما في القديم والحديث. ومن بين نقده المعاصرين هو الأستاذ (جولت تسيهر) الذي نقد الحديث نقد الباحث المختبر ووصل إلى نتيجة بأنه ككل في ضوء أسس النقد التاريخي المعاصر غير موثوق به"

وخلال السنوات القادمة قد تغير الأحوال تغيرا كبيرا ولكن، نظرا إلى عصر العلامة تبرز إمكانيات ثلاثة وهي:

يجب تفسير الدين وتعبير الحقائق في ضوء ما يعترف به المخاطب من الفكر المعترف به.

يجب تغيير المبادئ المعترف بها أو تغليطها لدي المخاطب ويتم بداية النقاش معه في ضوء ما يعترف به من الأفكار والقضايا.

فإذا لم يوجد الاتفاق على المعاني الأساسية والمبادئ الفكرية فيجب رفض إمكانيات الحوار ونكتفي بمناجاة النفس.

وقد اختار العلامة المنهج التطبيقي الأول فحاول أن يفهم المخاطب وجهة نظره هنا كما سمح له الامتياز في مباحث أخرى لتجديد الفكر الديني على أساس ما جاء به المخاطب نفسه من الرأي. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان جانب آخر للقضية وذلك لأن آراء المؤلفين المنصفين غير هؤلاء المذكورين لم يكن قد ظهر بعد كما أن المؤلفين المسلمين لم يقوموا بالرد على نقد الغربيين بعد فيما اعترضوا على تاريخ الحديث وتدوينه وصحة استناده كما أن المثقفين المسلمين ثقافة غريبة لم يكونوا قد تمكنوا على مكانة فنية في علوم الحديث كما أنهم كانوا لا يزالون تحت سيطرة رهبة الغرب النقدية وبهذين السببين لم تعد لديهم الصلاحية للرد العلمي كما أن العلماء المعاصرين لم يكونوا مطلعين على نقد الغربيين وجرحهم ولم يتمكنوا من ادراك الاعتراض من النوع العصري ففي مثل هذه الظروف لم يكن سبيل لدى العلامة غير أن يتخذ في خطابه الإنجليزي غير ما اختاره لإفهام المسلم المثقف ثقافة غريبة وتأثروا بالغرب. إن موقف إقبال المتحذر وتجنبه إنما هي نتيجة هذه الظروف القاهرة وما اقتضاه ذلك المنهج المتحذر^{١٢}.

وقد بدأت الأحوال تتغير رويدا رويدا بعد عصر العلامة ففي ناحية قد ظهر الكتاب المنصفون في الغرب وأخذوا يدرسون الحديث وتاريخه دراسة موضوعية كما أنهم أوضحوا الموقف الواهن الذي اتخذ هؤلاء المستشرقون، وفي ناحية ثانية قد برز علماء بين طبقات المسلمين المثقفين ثقافة غربية حديثة في نفس الوقت كانوا على مكانة في علوم الحديث والمعارف الإسلامية بالإضافة إلى الاطلاع الواسع على المنهج العلمي الغربي والبحوث التي قام بها هؤلاء المستشرقون^{١٣} إن استيعاب هؤلاء المثقفين المسلمين للعلوم وشمولهم على المعارف قد كانت بداية عهد جديد للحديث النبوي ودراسته، إن كتابتهم التي قاموا بها في هذا المجال قضت ظهر الآراء الفاسدة التي سحر بها المستشرقون العالم كما أن الرهبة الواهية المسيطرة على عقول المثقفين المسلمين قد تلاشت إلى حد بعيد ومن بين هؤلاء العلماء المسلمين بل على رأسهم قد كان الأساتذة الدكاترة: محمد حميد الله وفؤاد سيزكين وظفر إسحاق أنصاري^{١٤}.

ولكن التراث الفكري الذي تركه (جولت تسيهر) وأضرابه لم يعدم نهائيا بل

نشأ أتباعهم الذين تقدموا بطريقة البحث التي أوجدوها وكتبوا لها الموماش والحواشي ومن أبرز هؤلاء الأتباع هو (جوزيف شاخت) والذي يستحق أن يسمى خليفة (جولت تسيهر) في أصح معاني الكلمة بل من الصواب بأن نقول إن نقد (جولت تسيهر) للحديث النبوي الشريف قد ازداد شدة وعنفا واعتداء حين وصل إلى (جوزيف شاخت) وأضرابه من أتباع المستشرقين وأن العلماء الباحثين الذين ذكرناهم فيما مر بنا من السطور كان منهم الأستاذان مصطفى الأعظمي وظفر إسحاق الأنصاري قد تناولا بحوث (شاخت) خاصة ونقدا منهاجه العلمي والبحثي ونتائجه نقدا فاعلا بأسلوب علمي مؤثر أخاذ مما أوضح وهن معارضته وتفاهته كما يوضح ضعف استدلاله وذلك مما يفضح أمانة (شاخت) وذهانته كذلك! ولقد كان من نتائج بحوثهما القوية المبينة العميقة المستوعبة أن آراء (جولت تسيهر) وأضرابه لم يعد لها مكانة وشعبية في أوساط الغرب العلمية مما جعل الجادين من أهل العلم لا يقبلون ما قاله هؤلاء المستشرقون ولا يعيرونه أي اهتمام بل بدأوا يجتنبون منه! إن ما قام به هؤلاء الأفاضل من علمائنا المسلمين قد كان على أسس متينة وبأساليب أخاذة مما جعل الغرب العلمي يعترف بفضلهم وأقدامهم الراسخة في استدلالهم المنطقي المقنع ويعتبر الأستاذ (ويل — بي حلاق) سندا في الفقه الإسلامي وتطوره التاريخي ونستطيع أن نلاحظ صدى التأثير الذي تركه علماءنا هؤلاء في عقول الغربيين ونفوسهم في أحدث كتاب للأستاذ حلاق^{١٥} فقد أكره (حلاق) على الاعتراف بهم مستسلما بين يدي هذه الكتابات فقال:

However, mounting recent research, concerned with the historical origins of individual prophetic reports, suggests that Goldziher, Schacht and Juynboll have been excessively skeptical and that a number of reports can be dated earlier than previously thought, even as early as the Prophet. These findings, coupled with other important studies critical of Schacht's thesis, go to show that while a great bulk of prophetic reports may have originated many decades after the Hijra, there exists a body of material that can be dated to the prophet's time. Therefore, I shall not a priori preclude the entirety of prophetic reports as an unauthentic body of material, nor shall I accept their majority though many may

have been admitted as autentic (*sahih*) by the Muslim "science" of hadith criticism.

"على الكل، فإن الكثير المتكاثر من أحدث البحوث حول الأحاديث النبوية يقترح بأن جولة تسيهر وشاخت وجوين بول قد كانوا متشككين متطرفين للغاية وأن العديد من بين الأحاديث يمكن أن يرجع تاريخها أقدم مما يتصور وحتى إلى عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) إن هذه الاكتشافات إلى جانب الدراسات النقدية الأخرى لما قاله شاخت تدل على أن معظم الأحاديث النبوية قد ترجع إلى العديد من العقود بعد هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) قد وجد مقدار من المادة الحديثية يمكن أن يرجع إلى عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن ثم لن أستطيع أن أعتبر وجود المادة الحديثية من المستحيل وأنها موثوق بها كما أنني لن أستطيع أن أعتبر المادة كلها أو جلها بأنها موثوق بها حتى ولو كان علماء الحديث قد قبلوها كأحاديث صحيحة في ضوء علم أصولها!"

وفيما يلي نقدم النص المعرب لمقال الأستاذ ظفر إسحاق الأنصاري المهم جدا وذلك أن الأستاذ شاخت قد استخدم قاعدة في نقده للحديث النبوي وقد سماها الأستاذ الأنصاري "بدليل المسكوت عنه" وقد ناقش الأنصاري جوانب القاعدة من صحتها وسقمها وبرهن على ما ينقص نقد شاخت للحديث وأن الذي يترتب عليها من النتائج التي تسقط في استنادها واعتبارها، إن مقالة الأنصاري مهمة وفعالة جدا وحتى أننا لن نكون من المبالغين إذا قلنا بأنها لو كانت قد نشرت في ١٩٢٠م لكانت عبارة المحاضرة الخامسة للعلامة إقبال مختلفة تمام الاختلاف مما نجدها اليوم!

^١ وراجع على سبيل المثال: أكبر حسين قريشي: "مطالعة تلميحات وإشارات إقبال" طبعة أكاديمية إقبال ١٩٨٦م، باب تلميحات حديث ص ١٠٥، محمد حنيف شاهد: "أحاديث نبوي كلام إقبال مين" مجلة إقبال، بزم إقبال، لاهور، ١٩٩١م المجلد ٣٨ العدد ١-٢، ص: ١٣-٥٠. حافظ منير خان: "إقبال اور حديث" (إيماء إلى أسرار الذات) مجلة إقبال، بزم إقبال لاهور، المجلد ٤٧ العدد: ٢ و ٣ يناير—

- یولیو ۲۰۰۰ م ص: ۱۳۹—۱۵۸.
- ۲ مثلاً یرجى الرجوع إلى: محمد فرمان: "إقبال اور منکرین حدیث" کجرات ۱۹۶۳ م ص ۱—۶۰.
- ۳ عمران نذر حسین: "إقبال اور زمان آخر" (بالإنجليزية)، مؤتمر العلامة إقبال الثالث، جامعة بنجاب بلاهور. ۱۹۹۸ م.
- ۴ الطاف حسین آهنکر: "إقبال اور حدیث— قانونی تناظر" (أي إقبال والحدیث النبوی فی المنظور القانوني بالإنجليزية)، إقبال ریویو، أكاديمية إقبال، باكستان. المجلد ۳۷، العدد: ۳، أكتوبر ۱۹۹۶ م ص ۸۹—۱۱۰ (خاصة ص ۱۰۲—۱۰۵).
- ۵ وللدراسات المفصلة راجع محمد سهیل عمر: محاضرات إقبال فی المنظور الجدید، أكاديمية إقبال باكستان، لاهور، ۱۹۹۶ م.
- ۶ A Sprenger; "Ueber das Traditionswesen beiden Arabern", Zeitschrift des Dcentschen Mondentandische gesellschaft (ZDMG) vol . 10, 11856), pp 1-17
- ۷ A Sprenger; "On the origin and Progress of writing down Historical Facts among the Musulmans" Journal of the Asiatic Society of Bengal, .25 (1856), pp,303-329, 375-381
- ۸ M.Noldeke: Geschichte des Korans.1860
- ۹ Alfred von Kremer: Kulturgeschichte des Orlents unter den Chalifen, 2 vols., 1875 - 1877
- ۱۰ والعبارة بكاملها كما يلي:
- ۱۱ The Hadith. The second great source of Muhammadan Law is the traditions of the Holy prophet. These have been the subject of great discussion both in ancient and modern times. Among their modern critics Professor Goldziher has subjected them to a searching examination in the light of modern canons of historical criticism, and arrives at the conclusion that they are, on the whole, untrustworthy. Another European writer, after examining the Muslim methods of determining the genuineness of a tradition, and pointing out the :theoretical possibilities of error, arrives at the following conclusion

It must be said in conclusion that the preceding considerations¹ represent only theoretical possibilities and that the question whether and how far these possibilities have become actualities is largely a matter of how far the actual circumstances offered inducements for making use of the possibilities. Doubtless, the latter, relatively speaking, were few and affected only a small proportion of the entire sunnah. It may therefore be said that ... for the most part the collections of sunnah considered by the Moslems as canonical are genuine records of the rise .(and early growth of Islam' (Mohammedan Theories of Finance

For our present purposes, however, we must distinguish traditions of a¹² purely legal import from those which are of a non-legal character. With regard to the former, there arises a very important question as to how far they embody the pre-Islamic usages of Arabia which were in some cases left intact, and in others modified by the Prophet. It is difficult to make this discovery, for our early writers do not always refer to pre-Islamic usages. Nor is it possible to discover that usages, left intact by express or tacit approval of the Prophet, were intended to be universal in their application. (*The Reconstruction of Religious Thought in Islam*, Allama Muhammad Iqbal, Iqbal Academy Pakistan, Lahore, 1989, pp 135

وتعريفها: الحديث: المصدر الثاني العظيم للفقهاء المحمدي هي أحاديث النبي صلى الله¹³ عليه وسلم وقد كانت موضع نقاش في القدم والحديث وقد جعلها الأستاذ (جولت تسيهر) موضوع بحث وفحص في ضوء المبادئ المعاصرة من النقد التاريخي وقد وصل إلى نتائج تقول بأن الحديث النبوي كمجموع، غير موثوق به، والكاتب الغربي الآخر، بعد تفحصه للطريقة الإسلامية المتبعة في معرفة الحديث الصحيح، مع الإشارة إلى إمكان الخطأ النظري، قد وصل إلى ما يأتي من النتيجة: يجب أن نقول كنتيجة نهائية، بأن ما مر بنا من النقاش يمثل الإمكان النظري فقط ولكن السؤال يبقى: كيف، وهل يمكن أن يصبح هذا الإمكان النظري حقيقة عملية، ولا شك بأن الأخير، إذا تحدثنا مقارنين، كان قليل الوجود وأثر في قدر ضئيل من السنة! ويمكن لنا القول إذن بأن معظم مجامع السنة إنما هي سجلات صحيحة، كما اعتبرها المسلمون، لتقدم الإسلام وتوسعته في البداية (المبادئ الإسلامية الاقتصادية).

^{١٤} ولهدفنا الحاضر، على كل حال، يجب أن نميز بين الأحاديث التي هي أساس التشريع والتي هي ليست من هذا النوع، فأما عن النوع الأول، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: إلى أي مدى هو يشمل ما كان يعمل به في العرب قبل الإسلام وقد أقرته الشريعة الإسلامية كما كان ومن ذلك ما غيره الرسول صلى الله عليه وسلم؟ إلا إن هذا الاكتشاف أو التمييز صعب جدا وذلك لأن الكتاب الأوائل لا ينصون على ما كان معمولاً به في العرب قبل الإسلام كما أنه من الصعب أن نكتشف ذلك الآن وهل ما أقره الشارع كان الغرض منه هو العمل العمومي (تجديد الفكر الديني في الإسلام للعلامة محمد إقبال (بالإنجليزية) أكاديمية إقبال — باكستان، لاهور ١٩٨٩ م ص ١٣٥).

^{١٥} إن كتاب "الدراسات المحمدية" للأستاذ (جولت تسيهر) كان في جزئين، وقد نشر المجلدان كلاهما من Halle في ألمانيا في ١٨٨٩ م و ١٨٩٠ م على الترتيب وقد جاء نقد الحديث في المجلد الثاني وراجع لترجمته الإنجليزية سي آر بار برينز ايس ليم سترن: الدراسات الإسلامية (بالإنجليزية) في مجلدين من لندن سنة ١٩٦٧ م وللعبارة المذكورة راجع ١٨/٢.

١. وإلا فقد كان يرى خلاف ذلك ونستطيع أن نقدر ذلك من رسالته الخطية التي تم العثور عليها قبل بضع سنين، وهي إلى محمد عبد الله العمادي وقال فيها ما نصه:
٢. "وقد جعلت الشيخ صدر الدين أستاذ العربية بكلية لاهور الحكومية يوافق بالقيام بترجمة أردية لما نقده (جولت تسيهر) للحديث النبوي فلو كنت هاهنا لساعدتنا في الرد على نقده وسوف أقدم للشيخ ما يوجد عندي من المعلومات (كليات مكاتيب إقبال المجلد الأول ص ١٦١٧ للأستاذ مظفر حسين برني، الأكاديمية الأردنية دلي ١٩٩٣ م)

٣. For a useful summary of the views about the origins of prophetic Sunna, see David S.Powers, *Studies in Quran and Hadith: The Formation of the Law of Inheritance* (Berkeley University of California Press, 1986), 2 ff. See also Harald Motzki, "The Musannaf of 'Add al-Razzaq al-Sanani as a Source of Authentic Ahadith of the First .Century A.H. *Journal of Near Eastern Studies*, 50(1991):1 f

٤. Notable of these studies are those by M. M. Azami, *Studies*

in Early Hadith Literature (Beirut: al-Maktab al-Islami, 1968); M. M. Azmi, *On Schacht's Origins of Muhammadan Jurisprudence* (New York: John Wiley, 1985); Nabia Abbott, *Studies in Arabic Literary Papyri*, ii (Chicago: University of Chicago press, 1967), 5-83; Fuat Sezgin, *Geschichten Schrifttums*, I (Leiden: E.J.Brill, 1967). 53-84

:and generally

Wael B. Hallaq, *A History of Islamic Legal Theories. An Introduction to Sunni Usul al-Fiqh*, Cambridge University Press, 1997, pp.2-3. .o

نقد منهج جوزيف شاخنت في دراسة الحديث

للأستاذ الدكتور ظفر إسحاق الأنصاري
تعريبه: محمد الغزالي

إن من النظريات الأساسية التي نالت قبولا عاما لدى الباحثين الغربيين المشتغلين بدراسة تاريخ صدر الإسلام هي نظريتهم عن أحاديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — أو آثار صحابته — رضوان الله تعالى عليهم أجمعين — ومفادها أن هذه الأحاديث والآثار بالجملة هي تتعلق بعهد متأخر عن العهد الذي تنسب إليه يعني عهدي الرسول — صلى الله عليه وسلم — والصحابة الكرام. فزعموا أن ظهور الأحاديث لم يكن إلا نتيجة مجتمعة لنسبة مجموعة من الآراء الشخصية (والموضوعة في عهد متأخر) بواسطة سلسلة من الرواة إلى الرسول — عليه الصلوة والسلام — و إلى صحابته. وإن الدافع الرئيسي للقيام بهذه العملية إنما هو الاستمداد بهؤلاء الشخصيات المحترمة لتوثيق نظرياتهم، وبعبارة أوضح وأبسط، فإن أصحاب هذا الموقف يزعمون أن مجموعة الأحاديث النبوية ليس إلا نتيجة لتزوير على نطاق (واسع) كبير قام به أصحابه بدافع

ديني؟!

وإن نزعة الاعتراض على وثوق الأحاديث، وبالأحرى نزعة رفضها ظهرت بوضوح خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في مؤلفات كبار المستشرقين من أمثال وليم موير، والوئز سبرنكر، والفريدفون كريمير، وثيودور نيولدكي (١) ولكننا نجد في كتابات أكناز كولد زيهير (الذي كرس الجزء الثاني من مؤلفه "الدراسات المحمدية" لدراسة ظاهرة الحديث) أوضح وأشد تعبير لهذه النزعة.

وإن لبّ ما وصل إليه كولد زيهير عبارة عن القول بأن الأحاديث لا تمثل إلا الاتجاهات والآراء الموجودة في القرنين الثاني والثالث الهجري، وقبلما تلقى ضوءاً على بداية القرن الأول الذي ينسبها إليه أصحابها. وما لبث أن حظي هذا الرأي بقبول عام لدي المستشرقين من أهل الغرب، وظل أمراً ثابتاً في أذهانهم.

وجاء بعد كولد زيهير عدد من المستشرقين الذين استخدموا الأحاديث بكثرة كمصدر للدراسات عن صدر الإسلام — وأبرز هؤلاء إثنان وهما أ. ج. وينسنك وجوزف شاخنت. أما وينسنك فأخذ الأحاديث المتعلقة بالعبقيدة والكلام لدراسات تطور العقيدة الإسلامية واختار في دراسته نفس الاتجاه الذي اختاره كولد زيهير. ولكن جوزيف شاخنت عني بمصادر الفقه الإسلامي فقام بدراسة الأحاديث ودورها في نمو الفقه الإسلامي وفي تطور كل من النظريات الفقهية والآراء التشريعية فهو لم يصادق على النظرية الأساسية لكولد زيهير فحسب بل تعداها إلى حد كبير. فخرج بدعوى أن اتصال رواية الأحاديث بالعهد النبوي قد أمر وقع متأخراً جداً في تاريخ الإسلام، وأن عدداً كبيراً من الأحاديث التشريعية تم ترويجها بعد سنة ١٥٠ هـ (وهي) التي بدأ فيها — على حد رأيه — "العهد الأدبي" للأحاديث، ويعني بذلك نقل الأحاديث بصورة مكتوبة. وقد كان التشكك عند شاخنت أشد مما كان عند كولد زيهير وهذا يتضح من القاعدة المنهجية (التي) استنبطت مما توصل إليه كولد زيهير كما يدعي شاخنت، وجاء التعبير عن ذلك في كلام شاخنت كما يأتي:

"... لا بد من اعتبار كل حديث تشريعي عن النبي — صلى الله عليه وسلم — كتعبير موضوع عن رأي تشريعي اتخذ في عهد لاحق، ما لم

يثبت العكس ولا يمكن اعتباره كيان موثوق به.. " (٤).

فكان هذا موقف شاخت في كتابه: *Origins of Muhammadan Jurisprudence* الذي ظهر في عام ١٩٥٠م ولما ظهر كتابه الثاني: *Introduction to Islamic Law* بعد ١٤ سنة (وقد بدأ فيه أن) هذا المستشرق قد انتقل إلى رأي متطرف أكثر من ذي قبل، فقال فيه: "يكاد يكون من المستحيل توثيق أي من هذه الأحاديث فيما يتعلق بأمور التشريع الديني" (٥) وقد استدلت شاخت بعدم ورود كثير من الأحاديث في بعض المصادر في الفترة المتقدمة، على عدم وجودها في تلك الفترة—وهذا الاستدلال، حسب تعبيره هو، كالاتي:

"أن أحسن طريق لإثبات عدم وجود حديث في عهد معين هو أن نعلن فنقول) أن ذلك الحديث، لم يستعمل كدليل فقهي في نقاش يستوجب الاستدلال بذلك الحديث لو كان بالفعل موجودا... ويؤيد هذا النوع من الاستدلال ما جاء في كلام الإمام الشيباني حيث يقول:

وليس عندهم في هذا أثر يفرقون بين هذه الأشياء. فلو كان عندهم لجاءوا به فيما سمعنا من آثارهم، (الشافعي، كتاب الأم، الجزء السابع، ص ٢٨٨)، فيمكننا أن نفترض بأن الأحاديث التشريعية التي نعني بها قد أوردها أصحاب الآراء الفقهية لدعم مواقفهم، وسرعان ما انتشرت هذه الأحاديث" (٦).

ولكن عندما يعتمد شاخت على هذا الاستدلال، فإنه لا يراعي ضوابط الاستدلال التي وضعها بنفسه أي: " أنه يفترض عدم وجود حديث ما في عهد معين إذا لم يستعمل ذلك الحديث (فيه) كدليل في نقاش يستوجب الاستشهاد به" (٧) ويشعر استخدامه المتطرف لهذا الدليل كأن العلماء المسلمين في القرنين الثاني والثالث المحجريين كانوا في حالة دائمة من المناقشة، وهو افتراض يرفضه العقل السليم بداهة.

إن هذا المقال لا يتعلق بالضبط بموضوع وثوق الأحاديث ولا بآراء شاخت في هذا الموضوع بالجملة وإنما يعني خاصة باستدلال شاخت المبني على إنكار وجود خبر أو أثر بناء على سكوت المصادر عنه، وهو ما يقوم عليه موقف

شاخت من إنكار وثوق الأحاديث بصفة عامة.

—٢—

إن قراءة عبارة لكتاب *Origins* توضح أن قاعدته في البحث واستدلاله سطحي للغاية، وسيكون من اللامعقول الموافقة على هذا الاستدلال إلا إذا سلّمنا الافتراضات التالية:

أنه خلال القرنين الأولين لم يذكر رأي فقهي إلا وقد ورد معه بيان دلائله وخاصة الأحاديث التي تؤيد ذلك الرأي الفقهي.

أنه ما من مجموعة من أحاديث معلومة عند فقيه (أو محدث) إلا وهي معلومة أيضا عند جميع الفقهاء (أو المحدثين) في زمنه.

أن جميع الأحاديث التي "نشرت" في عهد معين، قد دوّنت تدوينا كاملا وصارت مشهورة على نطاق واسع وأصبحت محفوظة تماما بحيث أننا إذا لم نجد حديثا في كتاب من كتب أحد العلماء المعروفين فهذا يعني بالضرورة، عدم وجود ذلك الحديث في عهده سواء في منطقته أو في سائر أنحاء العالم الإسلامي آنذاك.

ولا يتفق أي من هذه الافتراضات مع الشهادات التاريخية بل يمكننا أن نثبت بصورة إيجابية أنها لا تنسجم مع الحقائق المعروفة عن ذلك العهد وسيوضح هذا بما تبينه في ما يأتي.

إن أقدم كتب الحديث التي وصلت إلينا تم تأليفها في حوالي منتصف القرن الثاني وما بعده، وبعضها منذ القرن الأول (٨). وكان لتأليف هذه الكتب طائفة من الأسباب منها الحرص على حفظ الآراء التي اتبعها شيوخ المؤلف وعلى الأخص الآراء المقبولة في مذهبه في الجملة، ولهذا السبب كان أولئك المؤلفون يكتبون بتسجيل آراء مذهبهم ولم يهتموا بالضرورة ببيان الأحاديث عن الرسول —صلى الله عليه وسلم— أو عن الصحابة، —رضي الله عنهم—، لتأييد تلك الآراء (٩).

ومن المعلوم قطعا أن كثيرا من الآراء المستنبطة من القرآن الكريم قد سجّلت

في هذه الكتابات بدون أي إحالة إلى الآيات القرآنية المتعلقة بها (١٠). وهناك شهادة كافية تثبت أن الأمر كان كذلك بالنسبة إلى الأحاديث أيضاً كما توجد لدينا أمثلة كثيرة لقيام فقيه ببيان مذهبه في قضية معينة وعدم اعتناؤه بالإحالة إلى الحديث الذي يؤيد مذهبه أو يتعلق به مع أنه يمكن البرهنة على أن ذلك الفقيه كان مطلعاً على ذلك الحديث (١١) ويكون من المفيد، البحث عن الأحاديث التي وجدت في الكتب السابقة ولكنها لم تذكر في الكتب اللاحقة، وهذا يعني العمل على طريق معاكس لافتراض شاخت وهو سوف يأتي بنتائج مهمة للغاية لأنه إذا كان من الممكن — وهو في نظرنا من الممكن — أن تثبت أن كثيراً من الأحاديث الواردة في كتب متقدمة لا توجد في كتب متأخرة فضلاً عن الكتب المعاصرة، وكان ذلك لأن فقهاء العصر الذي نتكلم عنه لم يعتبروا أنفسهم ملزمين بذكر الأحاديث الكثيرة التي عرفوها ولو كانت مؤيدة لأرائهم، فهذا كله يضع استدلال شاخت موضع شكوك خطيرة. وفي الصفحات الآتية نقوم بعرض دراسة مقارنة لطائفة من الآراء الفقهية لبعض فقهاء القرن الثاني لكي نظهر ونثبت بطلان افتراضات شاخت.

فنبداً هذه الدراسة بالمقارنة بين الموطأ للإمام مالك والموطأ للإمام محمد بن الحسن الشيباني. فالموطأ للإمام مالك — كما نعلم — تشتمل على الآراء الفقهية لأهل المدينة، وهو في الوقت نفسه من أقدم مجموعات الحديث. وكان الإمام مالك (المولود حوالي ٩٥هـ) المؤسس للمذهب المالكي، أكبر سناً من الإمام الشيباني (المولود في ١٣٢هـ) الذي ينتمي إلى مذهب الإمام أبي حنيفة (المتوفى ١٥٠هـ) في الفقه، وقد أعد الشيباني نسخة لموطأ الإمام مالك. فبالإضافة إلى إيراد ما ذكره الإمام مالك من آراء وما جمعه من أحاديث تحتوي، نسخة الإمام الشيباني على الآراء التي اختلف فيها مذهبه مع الإمام مالك. وتتلو هذا أحياناً أحاديث تؤيد آراء مذهب الشيباني.

وهناك روايات كثيرة في الموطأ للإمام مالك — رحمه الله — لا توجد في الموطأ للشيباني مع أن الشيباني كان أصغر سناً وآخر عهداً من الإمام مالك (١٢). والأعجب من ذلك ما نرى أحياناً أن بعض أحاديث الموطأ للإمام مالك التي تؤيد آراء مذهب الإمام الشيباني لا توجد في موطأ الشيباني أصلاً، وفي ما

يلي بعض أمثلة لذلك:

يشتمل باب أوقات الصلوات في الموطأ للإمام مالك (ص ٣ وما بعدها) على ٣٠ حديثاً بينما لا نجد منها في موطأ الإمام الشيباني (ص ٤٢ وما بعدها) إلا ثلاثة أحاديث.

إن الاختلاف في الوقت الأولى لأداء صلوة الفجر بين أهل الكوفة وأهل المدينة أمر معروف، فأهل المدينة رأوا أن الأولى هو أداء صلوة الفجر في الغلس، وأهل الكوفة ذهبوا إلى الإسفار في الفجر. ويشير الموطأ للشيباني إلى رأي أهل الكوفة في هذه القضية (ص ٤٢) والغريب أن الشيباني لا يذكر في هذا الصدد حديثاً عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — (وقد ورد في الموطأ للإمام مالك — رحمه الله — (ص ٤ وما بعدها) رغم أنه يؤيد مذهب الشيباني (١٣)).

وردت في الموطأ للإمام مالك — رحمه الله — (ص ٤٢ وما بعدها) ستة أحاديث حول وجوب الوضوء بمس الذكر ولكن الإمام الشيباني — رحمه الله — لم يذكر في موطأه (ص ٥٠) إلا حديثين منها — ومن الأحاديث التي تركها الإمام الشيباني — رحمه الله — في هذا الباب حديث عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحديث عن ابن عمر — رضي الله عنهما —.

أورد الإمام مالك — رحمه الله — أربعة أحاديث حول الغسل بالجنابة في الموطأ (ص ٤٤ وما بعدها) ولكن الشيباني — رحمه الله — لم يذكر منها إلا حديثاً واحداً في موطأه (ص ٧٠ وما بعدها) ومما تركها الشيباني — رحمه الله — حديثان عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —.

وفي باب "غسل المرأة إذا رأت في المنام..." هناك حديثان في الموطأ للإمام مالك (ص ٥١ وما بعدها) بينما يوجد في موطأ الشيباني (ص ٧٩) منهما حديث واحد، وموطأ الشيباني — رحمه الله — لا يورد الحديث مع السند المذكور في موطأ مالك — رحمه الله — إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو: مالك عن أم سلمة عن أم سليم عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —.

الباب بعنوان: "الوضوء من القبلة" الموجود في موطأ مالك — رحمه الله —

- (ص ٤٣ وما بعدها) لا يرد في موطأ الشيباني — رحمه الله — أصلاً.
- الباب بعنوان: "الظهور في الماء" الموجود في موطأ مالك — رحمه الله —
(ص ٢٢ وما بعدها) لا يوجد في موطأ الشيباني.
- هناك بابان بعنوان: "البول قائماً" و "السواك" موجودان في موطأ مالك
— رحمه الله — (ص ٦٤ وما بعدها) ولكن لا نجدهما في موطأ الشيباني —
رحمه الله.
- إنّ باب "النداء في الصلاة" في الموطأ للإمام مالك — رحمه الله —
(ص ٦٧ وما بعدها) إذا قارنناه بالباب المماثل في الموطأ للإمام الشيباني — رحمه
الله — (ص ٨٢ وما بعدها) نجد أن عدة أحاديث واردة في الأول (الأحاديث
١، ٣، ٥، ٦، ٧، ٩) ولم ترد في الثاني.
- الباب بعنوان "كفن الميت" في موطأ مالك — رحمه الله — (ص ٢٢٣
وما بعدها) يشتمل على ثلاثة أحاديث لم يرد منها في موطأ الشيباني — رحمه
الله — روي عن عبد الله بن عمرو عن العاص — رضي الله عنهم —. ومن
الحديثين المتروكين في موطأ الإمام الشيباني — رحمه الله — حديث يصف كفن
رسول الله — صلى الله عليه وسلم —.
- إنّ الحديث المروي عن ابن عمر — رضي الله عنه — في موطأ الإمام مالك
— رحمه الله — (ص ٢٨٣) لم يذكر في باب زكاة الفطر في موطأ الشيباني —
رحمه الله — (ص ١٧٦).
- إنّ الأحاديث المذكورة في باب "من لا تجب عليه زكاة الفطر" (ص ٢٨٥
وفي باب "مكالية زكاة الفطر" (٢٨٣) لا توجد في موطأ الشيباني — رحمه
الله — أصلاً.
- إننا نجد في باب "استئذان البكر والأيم" ثلاثة أحاديث في موطأ الإمام
مالك — رحمه الله — (ص ٥٢٤ وما بعدها) بينما يوجد منها في موطأ الإمام
الشيباني حديث واحد (ص ٢٣٩) وأحد هذين الحديثين اللذين لم يذكرهما
الشيباني هو حديث عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —.

إن باب "اللعان" في موطأ الشيباني (ص ٢٦٢) لا يحتوي على عدة أحاديث نجدها في نفس الباب من موطأ الإمام مالك — رحمه الله — (ص ٥٦٦ وما بعدها).

الباب في الأنواع المحرّمة من بيع التمور في موطأ الإمام الشيباني (ص ٣٣٠ وما بعدها) لم يأخذ من الأحاديث الثلاثة المروية في هذا الباب عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في موطأ الإمام مالك — رحمه الله — (ص ٦٢٣ وما بعدها) إلا حديثاً واحداً.

وكذلك يمكن لنا البرهنة على خطأ المنهج الذي اتبعه شاخت بدراسة مقارنة بين كتب الإمامين أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني — رحمهما الله — وخاصة بين "آثار أبي يوسف" و"آثار الشيباني" فإن عدداً كبيراً من الأحاديث المحفوظة في "آثار أبي يوسف" لا توجد في "آثار الشيباني" مع أن صاحب الكتاب الأول أكثر سناً من الثاني (١٥).

آثار أبي يوسف رقم ٨٤٥: حديث عن ابن مسعود حول المضاربة لا يوجد في آثار الشيباني.

آثار أبي يوسف رقم ٨٣٠: حديث روي عن النبي — صلى الله عليه وسلم — حول الاختلاف بين البائع والمشتري في الثمن لا يوجد في آثار الشيباني.

آثار أبي يوسف رقم ٦٦٦: حديث عن عمر رضي الله تعالى عنه في باب الطلاق والعدة، لا يوجد في آثار الشيباني.

وردت في آثار أبي يوسف — رحمه الله — عدة أحاديث حول النفقة والسكنى (الأرقام: ٥٩٣، ٦٠٨، ٧٢٦، ٧٢٨) وهي لا توجد في آثار الشيباني — رحمه الله.

الأحاديث الواردة تحت الأرقام ٧٠٤، ٧٠٧، ٧٠٩ عن اللعان في آثار أبي يوسف — رحمه الله — لا توجد في آثار الشيباني — رحمه الله —.

آثار أبي يوسف — رحمه الله — رقم: ٨٥٧ حديث عن سالم عن المزارعة

لا يوجد في آثار الشيباني — رحمه الله —.

آثار أبي يوسف — رحمه الله —: ٧٧٩ و ٧٨٠ حديثان عن الفرائض لا نجدهما في آثار الشيباني — رحمه الله.

آثار أبي يوسف — رحمه الله —: ٣٩٩، ٤٠١، ٥٩٧، ٦٠٧... الخ في مسائل متفرقة لم تذكر في آثار الشيباني — رحمه الله — (١٦).

ويتضح من هذا أن الإمام الشيباني لم يسجل عدة أحاديث مع أنه لا يوجد لدينا أي سبب للقول بأنه لم يعرفها — وهذا يبطل الافتراض الذي اتخذ منه المستشرق شاخت وسيلة إلى الإدعاء "بنمو" الأحاديث وهو تجاهل في هذا الصدد، أن الصور الممكنة الآتية التي يمكن الإثبات إن كلا منها كان في حيز الإمكان:

أن الشخص المعني ربما سمع حديثا معينا ثم نسيه (١٧).

أنه ربما سمع ذلك الحديث ولكنه لم يعتبره صحيحا.

أنه ربما كان عارفا بحديث معين ولكن نظرا إلى أنه لم يصل إلينا جلّ ما عرفه الفقهاء من الأحاديث — وخاصة المتقدمون منهم — لا نجد تلك الأحاديث المذكورة في المراجع المتوفرة لدينا اليوم وذلك على الرغم من أن هذه الأحاديث كانت موجودة في زمن معين.

فالإغماض عن هذه الاعتبارات كلها وصرف النظر عن الدلائل القطعية التي تثبت الموقف الآخر والإصرار على التشكك الخارج عن الاعتدال كل هذه الأمور لا تليق في نظرنا بمكانة أي مؤرخ أو باحث جاد.

هوامس

١. انظر للمؤلف: *The Early Development of Islamic Fiqh in Kufah with Special Reference to the Works of Abu Yusuf and Shaybani*
٢. وهي رسالة دكتوراه (مطبوعة على الآلة الكاتبة) قدمها المؤلف إلى معهد الدراسات الإسلامية بجامعة مك جل بمونتريال عام ١٩٦٦م، (ص ١٩٣ وما بعدها) والهوامش المتعلقة بها، وسوف نشير إليها.
٣. (ب) الأنصاري: "Early Development"
٤. ولدراسة ظهور الاتجاه المتشكك بين المسلمين نحو الأحاديث، انظر:
٥. "The Authenticity of the Tradition", G. H. A. Juynboll
٦. هناك استثناءات جديدة بالملاحظة وأبرزها الأستاذة نابية أبوت (Nabia Abbott) ففي كتابها:
٧. "Studies in Arabic Literary Papyri" II: Quranic Commentary and Tradition، Chicago، 1967.
٨. قامت الأستاذة المذكورة بجمع شواهد واضحة تثبت منتهى المبالغة في الرأي المذكورة بل بطلانه ومن بين الدراسات الأخرى التي نقضت هذا الموقف لأسباب متعددة ينبغي الاستفادة من:
٩. "Geschichte des Arabischen Schrifttums"، Fuat Sezgin، Vol.1، Leiden.
١٠. ولكي تتمكن من تكوين فكرة موجزة عن قيمة أعمال هذين المؤلفين انظر:
١١. "Islamic Religious Tradition"، C. J. Adams، in L. Binder، ed.، *The Study of the Middle East*. New York، London، Sydney and Toronto 1976.
١٢. وانظر كذلك دراسة الدكتور محمد مصطفى الأعظمي التي تنتقد موقف شاخت:
١٣. *Studies in Early Hadith*، Beirut، 1968.

- ١٤ . وهناك كتاب مهم آخر صدر مؤخرا وصاحبه يختار أساسا اتجاه
جولد زيهر وشاخت، وهو:
- ١٥ . *Muslim Tradition: Studies in Chronology, Provenance and Authorship of Early Hadith* ،G.H.A. Juynboll ،Cambridge ،London ،New York ،1983 .
- ١٦ . وللاطلاع على الدراسات الأخيرة حول التاريخ الابتدائي للعقيدة
الإسلامية ولاسيما استعمال مواد الحديث فيها، راجع مؤلف فان اس:
- ١٧ . *Zwischen Hadith and Theologie: Studien* ،Josef Van Ess ،Berlin ،Zum Entehen Pradistianatianischer Uberlieferung ،and New york ،1975 .
- ١٨ . وانظر أيضا المؤلف الأخير له:
- ١٩ . *Early Muslim Dogma: A Source Critical Study* ،Michael Cook ،Cambridge and New York ،1981 .
- ٢٠ . جوزف شاخت: *The Origins of Muhammadan Jurisprudence* ،III Impression Oxford 1959 ،P. 149 .
- ٢١ . وسوف نكتفي بالإشارة إلى هذا المصدر بذكر: *Origins* في ما
يأتي.
- ٢٢ . جوزف شاخت: " *An Introduction to Islamic Law* " (London 1964) ،P.34 .
- ٢٣ . وتكون الإشارة إليه فيما يأتي به: *Introduction* .
- ٢٤ . *Origins* ص ١٤٠ وما بعدها .
- ٢٥ . وللعثور على مثال أورده شاخت بنفسه وهو ينقض افتراضه الذي
يبتني عليه استدلال شاخت انظر *Origins* ،ص ١٤٢ . تحت عنوان:
"الأحاديث التي وجدت في الفترة بين الأوزاعي ومالك". وهنا يعترف
شاخت بضرورة "الحذر في استعمال الدليل المبني على سكوت المصادر"
رغم أنه يستعمله مرارا عديدة ويستبيح لنفسه ذلك بعد أن حذر
الآخرين منه. والجدير بالملاحظة أن شاخت يستعمل بكثرة كتب عهد

متأخر كمصدر للآراء المتداولة خلال القرنين الأول والثاني، وهذه الطريقة هي مخالفة صريحة لما وضعه هو من الأصول. (انظر، نفس المصدر ص ١٤٠ وما بعدها) فأورد شاخت دليلاً اعتمد على الشيباني في تأييد مذهبه، مثلاً على أساس كتاب من كتب القرن الخامس المتأخر وهو "المبسوط" للسرخسي (المتوفى حوالي ٤٨٣هـ) وعلق عليه قائلاً: "إن الشيباني يبنى استدلاله بطريقة ماهرة ويدخل تمييزاً منصفاً، وهذا كما يبدو، هو الدليل الذي اعتمد عليه الشيباني في الواقع" (*Origins* ص ٢٧١)

٢٦. وهكذا يورد رأي من ينتسب إلى القرن الثاني الهجري على أساس رواية عياض (المتوفى ٥٤٤هـ) ذكرت في شرح الموطأ للزرقاني (نفس المصدر ص ١٠٧ وما بعدها) للأمثلة الأخرى على هذا انظر نفس المصدر ص ٢٧٣، ٣٠٣ وفي أماكن كثيرة أخرى.

٢٧. (٧) انظر: *Origins*، ص ٢٧١

٢٨. (٨) يرى شاخت أن العهد الأدبي في التاريخ الفقهي الإسلامي يبدأ حوالي سنة ١٥٠هـ (انظر مقالة جوزف شاخت بعنوان: "التطور الإبتدائي والخلفية ما قبل الإسلام للفقهاء" في مجموعة مقالات صدرت بعنوان: "القانون في الشرق الأوسط" حققها ماجد خدوري وجي (Liebesney) واشنطن ١٩٥٩م ج ١، ص ٥٠) كما يبدو جوهر رأي مارجوليت مثله تماماً (انظر — أيس مارجوليت): *The Early Development of Mohammedanism*

٢٩. لندن ١٩١٤م، صفحات ٣٩ وما بعدها) — وفي اعتقادنا بدأ تأليف الكتب في عهد متقدم ولكن قلما يوجد الآن أي من هذه الكتب — وعلاوة على ذلك أن المجموعات القديمة كانت مختصرة وغير مدونة تدوينا كاملاً. فلما ظهرت الكتب الشاملة لم تبق الحاجة إلى الكتب المتقدمة واندرت بمزور الزمن — وللاطلاع على العهد المتقدم للحديث انظر فؤاد سيزكين: "*Geschichte des Arabischen Schrifttums*"

٣٠. الذي سبق إليه الإشارة وانظر أيضاً نابية ابوت (Nabia Abbott)

التي سبقت الإشارة إلى مؤلفها وانظر محمد مصطفى الأعظمي:
"Studies in Early Hadith" المذكور سابقا.

٣١. ٩) أنظر الأنصاري: "Early Development" صفحات ٦٢
وما بعدها و ٢٢٥ وما بعدها.

٣٢. ١٠) نفس المصدر، ص ١٩٢ في الباب الرابع رقم ٥١،
٣٣. ١١) أنظر على سبيل المثال كتاب الآثار لأبي يوسف — رحمه

الله — (القاهرة ١٣٥٥هـ تحت رقم ١٠٤٨)، وقارنه بآثار الشيباني —
رحمه الله — كراتشي، طبع حوالي (١٩٦٠م) تحت رقم ٨٧٨. فيظهر
من ذلك أن رأيا فقهيًا معينًا أورده أبو يوسف — رحمه الله — كحديث
عن رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — ورواه إبراهيم، يذكره
الشيباني — رحمه الله — في آثاره ك رأي إبراهيم بدون أي إشارة إلى
حديث رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — (وسوف نشير إليهما بآثار
أبي يوسف وآثار الشيباني والأرقام الواردة هي تشير إلى أرقام الآثار لا
إلى أرقام الصفحات) وهكذا نرى أن أبا يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة
— رحمه الله — في كتابه "اختلاف أبي حنيفة و ابن أبي ليلى" (القاهرة
١٣٥٨. رقم الفقرة ١١٦، وانظر كذلك إلى كتاب: *Origins* صفحات
٣٢١ وما بعدها) يورد حديثًا معينًا عن الرسول — صلى الله عليه
وسلم — ولكن الأثر رقم ٧٣٨ من "آثار أبي يوسف" لا يذكره إلا
ك رأي للإمام أبي حنيفة — رحمه الله — كما نجد الإمام أبا يوسف في
كتاب الخراج (القاهرة ١٣٥٢هـ ص ٩١) ينقل حديثًا عن رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — في قضية المزارعة مع أسناده وقد أورده ابن أبي
ليلى أيضًا ولكن نرى أن كتاب "اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى"
الذي يحتوي على آراء ابن أبي ليلى (والتي يتفق معها أبو يوسف) يوجد
فيه هذا الحديث ولكن بدون أسناده.

٣٤. ١٢) يمكن أن يقال هنا أن هذه المقارنة بين المؤلفين وهذا الاستنتاج
منها لا مبرر لهما. والسبب الأساسي في ذلك هو أن الموطأ للإمام مالك
— رحمه الله — في الحقيقة عبارة عن نسخة أعدها يحيى بن يحيى الليثي

(المتوفى ٥٣٣٤هـ) فيلزم من ذلك أن نعتبر الموطأ للإمام مالك — رحمه الله — مصدراً متأخراً عن موطأ الشيباني وهو عكس ما عملنا. وردا على الاعتراض المفترض نقدم ملاحظتين: أولاهما هي أن الأستاذ شاخت نفسه يعتبر الموطأ للشيباني مصدراً متأخراً وبينى على ذلك استدلالاً معيّن (انظر *Origins* ص ١٤٣) وثانيهما هي أنه لو سلّمنا بأن موطأ الإمام مالك — رحمه الله — آخر عهداً من موطأ الشيباني ثم قمنا بالمقارنة بين أحاديثه وأحاديث موطأ الشيباني، فالنتائج التي تظهر من هذه المقارنة سوف تؤدي إلى بطلان أسس المنهج الذي اختاره الأستاذ شاخت بصورة أوضح وأقوى.

٣٥. ١٣) الجدير بالملاحظة هو أنه ذكر الحديث المذكور في كتاب "الحجج" للشيباني (لكنؤ ١٨٨٨م، صفحة ١ وما بعدها) حيث أورد المؤلف عدة أحاديث تؤيد رأي مذهبه.

٣٦. ١٤) إن عدم نقل هذا الحديث لا يثبت جهل الشيباني له لأنه يذكره في كتاب "الحجج" ص ٢٨٩، بنفس الأسناد الموجود في الموطأ تماماً ويعتمد في رأيه على هذا الحديث بعينه. وهذا بالضبط هو موقفنا: أنه لا يجوز الافتراض أن عالماً من العلماء ينقل الحديث الذي يعرفه على الدوام كما لا يصح الافتراض أن عدم نقل حديث معين من قبل عالم يعني عدم وجود ذلك الحديث.

٣٧. ١٥) وكان هذا بالرغم من كون الشيباني أصغر سناً من أبي يوسف الذي كان أيضاً من أساتذته. وبالإضافة إلى ذلك قام الشيباني بتحقيق كتب أبي يوسف كما ألّف بنفسه كتباً مبنية على كتب أبي يوسف أو مماثلة لها. ولذلك إذا لم نجد عدداً ملحوظاً من الأحاديث ذكرها أبو يوسف في كتب الشيباني المماثلة لها فحينئذ يبطل أساس جميع المزاعم والافتراضات التي يقوم عليها استدلال شاخت.

٣٨. ١٦) انظر للمؤلف: "Chapter" *Early Development*, 4, nn. 115, 166, 120 and.

٣٩. ١٧) وللإطلاع على المباحث حول النسيان في الأحاديث أو في

أسانيدها أو فقد المراجع التي احتوت على هذه الأحاديث أو حول عدم رواية كافة الأحاديث التي عرفها الراوي الخ. انظر "الخراج" ص ٥٧، و"الرسالة" للإمام الشافعي — رحمه الله — تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٩٤٠م، ص ٤٣١، إن كلام الشافعي — رحمه الله — في هذا الموضوع بمنتهى الإيضاح. نلخصه في ما يلي:

٤٠. (١) هناك أحاديث كثيرة نقلها الشافعي في كتبه منقطعا مع أنه سمعها متصلا أو مشهورا، ولكنه رجح نقلها كأحاديث منقطعة لأنه لم يتقن حفظها.

٤١. (٢) لقد غاب عنه بعض كتبه فلم يجد بدا من التحقيق بما يعرفه أهل العلم مما حفظه.

٤٢. (٣) لقد اختصر الشافعي الكتاب فأتى ببعض ما فيه الكفاية دون تقصى العلم في كل أمره.

٤٣. (انظر الشافعي، كتاب الأم ٧ مجلدات، بولاق (ج ٥ — ١٣٢١هـ، ج ٤، ص ١٧٧، ج ٦، ص ٣، و ١٧٢ و ج ٧، ص ٤٠).

شعر إقبال وأثر الأدب العربي فيه^١

الأستاذ حسين أحمد براج
تعريبه: محمد سمير مفتحي

يقول شاعرنا إقبال في بيت له:

"إن للعشق سبيلا وشيات
ولماس كان في صدري فتات"^٢

ومعنى الشعر الأردّي الحقيقي "إن في صدري مأساة ذات ألوف من الوجوه ويختلف كل وجه عن غيره في لونه". ففي هذا البيت يشبه علامة محمد إقبال رحمه الله نفسه بقطعة مأس ذات آلاف من الوجوه، فحصبه مئات جوهري من نواحي شتى، فحصبه وعابنوه وسجلوا ما لاحظوا فيه، ولكنهم لم يقدرُوا بيان سعته. كتب عنه (أي عن إقبال) — رحمه الله — كثيرون وسيكتب عنه أكثر إن شاء الله. أما الآن فأدرس وجهها من آلاف وجه لشخصيته التي لم تدرس حتى الآن إلا قليلا. لا أقول أناقش في هذا الوجه لأن المناقشة من مهمة العلماء الباحثين المناقشين، وإنما أقول سأكشف الستار عن هذا الوجه وليس غير ذلك. فمن هذه الناحية مقالتي ليست على الفكر والنظر وإنما على الدعوة إليهما.

إن العلامة — رحمه الله — كان ذو سبع لغات. فكان يجيد البنجابية

والأردية والفارسية والعربية والإنكليزية والألمانية والسنسكريتية. فإنه أدخل في كلامه روح كل ما تحيط به هذه اللغات من علم وأدب وفلسفة بعد أن تمتع منه وارتوى خلال سنين عديدة، ثم أفادنا بكلها حسب هدفه الخاص، ألا وهو إحياء الحضارة الإسلامية. لا نجد في رجال الأدب عندنا غيره من ارتوى وتغذى من مثل هذه المنابع الوفيرة. كما قيل فيه:

إن الحجاز ولندن ودلهي وويمر وشيراز
ما هي أنواع تخرج من فمك من أصوات

ومن البديهي أن عقل إقبال الأحاذ قد أخذ وتأثر مما وجد من منتج قادة العلم والأدب في هذه الأراضي المتنوعة كما تمص النحلة من روح الورد والأزهار وتجذبه إلى نفسها. فإنه جنى اللآلي من شيكسبير وملتن وجوته وبهترري هري وحافظ ونطشه، من عظماء الشعراء والكتاب والفلاسفة، فكيف يمكن أن لا يتأثر باللغة العربية وأدبها، اللغة التي كان يحبها لكونها لغة القرآن الكريم. إنه درس العربية أثناء دراسته الابتدائية وامتحن فيها وفاز بدرجة امتياز.

كتب عن نفسه رسالة إلى مهاراجا سر كشن بهادر رئيس وزراء ولاية حيدر آباد دكن (الهند) ويقول فيها:

"لقد نلت الدرجة الأولى من اختبارات اللغة العربية في ولاية البنجاب كلها."

فنجد في مصنفاته مقتبسات من كتاب "الحماسة" وذكر المتنبي وكذلك آيات القرآن الكريم تضمينا في شعره. فنعرف من ذلك علاقته بالعربية وتقدمه فيها أدبيا وعلميا. وكان قد حل محل بروفيسور آرنلد في جامعة لندن لستة أشهر أستاذا للعربية. ولكن من العجيب أنه لا يوجد عندنا أي محاولة علمية ودراسة تذكر، تبين تلك الآثار العميقة للغة العربية وأدبها في كلامه. وقد كتب البعض عن موضوع "القرآن الكريم والعلامة أقبال" ولكنها — كما أعتقد — من محاولات تشير إلى ارتباطه بالعربية ارتباطا دينيا وفكريا. وأما الآثار العربية الأدبية العامة التي توجد في شعره لا أجد مصنفا واحدا مشهورا تبين تلك الجهة لشعره. ولعل سببه عدم الإعتناء والمبالاة بالأدب العربي المنتشران فينا — للأسف — هذه الأيام.

إن القرآن الكريم أكبر قطعة أدبية مع أنه كتاب ديني، والذي استسلم أمامه الشعراء (العرب) الكبار والخطباء البلغاء، ولا يخفى على أحد بأن ممدوحنا إقبال كان مولعا به. ومصحفه كان يتل بدموعه كثيرا حتى أنه احتاج عدة مرات أن يوضع في الشمس حتى يجف، وأعتقد أنه لا يزال يكون موجودا عند ابنه جاويد إقبال. فمن البديهي أنه تأثر من كلامه البليغ وحد به حسه الشعري. فعند ما بين القرآن الكريم أحوال القيامة وصورها بقوله:

﴿يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا.﴾^٢

ذكرها إقبال في بيت له:

تخفف من الثقل هذا الحجر
وتضرب والطود هذا انكسر^٤

فإني واثق من أن مثل هذا التأثير من التمثيل القرآني إن بحشنا عنه في شعره لوجدناه وفيرا.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته.﴾^٥

فهنا أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن الرياح أنها مبشرات لرحمته، التي تأتي إلى كل منطقة مقدما للمطر الذي من رحمته، فتبشرنا بقدومه.

ويقول إقبال رحمه الله بلسان الغيوم الجبلية:

قدرة الله هدتني للدرر
وحذاء النور في ركب عسير^٦

وكذلك جاء إقبال بتلميحات قرآنية بطريقته الخاصة الجميلة، فيقول في بيت

له:

ذلك الفلك.. جدار لليتيم
لم يكن موسى بهذا بالعليم^٧

ويقول أيضا:

وكذا للشمس في الصحرا غروب
عين إسماعيل تبدو من غيوب^٨

وكثيرا ما جاء بآيات الله سبحانه وتعالى تضمينا في شعره ومن الأحاديث النبوية الشريفة أيضا. لا تتسع هذه الأوراق لبيانها.

وإنه كان هناك إماما معروفا باسم البوصيري وكان يمدح النبي — صلى الله عليه وسلم — في شعره، ومن قصائده المشهورة بين العرب والعجم "قصيدة البردة". ويقال عنه أنه عندما انتهى من قصيدته هذه تشرف برؤية النبي — صلى الله عليه وسلم — في المنام، فأعطاه برده هدية له على هذه القصيدة. فيشير إليه إقبال في شعره فيقول:

يا من أهديت بوصيري

ومن الأبيات المشهورة لهذه القصيدة:

أهبت الريح من تلقاء كاظمة
أو أومض البرق في الظلماء من أضمر
فيذكر فيه موضعين: كاظمة وجبل أضمر. فيأتي شاعرنا ببيان هذين
الموضعين في بيتين له فيقول:

وسحاب الليل ترك غيوما حمراء وزرقاء
وأعطى وكسا جبل إضم الملابس الملونة
الهواء من الغبار نقية والنخيل فيها مغسولة
ورمال نواحي كاظمة مثل الحرير الناعمة^٩
الأرض التي أرض أحلام إقبال — رحمه الله — أرض الحجاز، وكان يعتقد
عنها:

يقر بنفسي كنفس العبيد
ولحن الأعاجم ليس المفيد^{١٠}

فلهذا السبب كان يسمي صوته صوتا حجازيا.

هي للعرب وللغير يشربون
ومن الشرب تراهم يخجلون^{١١}

إن تكن كأسى ولحني للعجم
كل شيء لي حجازي النعم^{١٢}

والمنظومة باسم "النخيل الأول الذي زرعه عبد الرحمن الداخل في أرض

شعر إقبال وأثر الأديب العربي فيه

أندلس" في الديوان "جناح جبريل" في الحقيقة ترجمة حرة لأبيات عربية كتبها عبد الرحمن الداخل، قد جاء ذكرها في كتاب "تاريخ المقري".

وكذلك منظومته "صراخ المعتمد في السجن" مأخوذة من الأدب العربي أيضا. وكذلك الفقرة الأولى من المنظومة "الذوق والشوق" تحمل معها مناخ البيئة العربية:

لنار حمود وحبل قطع
قوافل مرت وما من سمع^{١٣}

وفي قصيدة "خضر الطريق" نرى نوعا من تذوق الأدب العربي. وهكذا نجد أن مرثيته لأمه بعنوان "في ذكرى الأم المرحومة" قد نشأت من مرثية المتنبي على وفاة أم الملك سيف الدولة.

يقول أحد شعراء العرب سموئل بن عاديا في بيت له المذكور في كتاب الأدب العربي المشهور "الحماسة" مادحا جبلا في أرض قبيلته قائلا:

رسا أصله تحت الثرى وسما به
إلى النجم ترع لا ينال طويل
فإقبال يمدح جبل أرض وطنه جبلا همالايا بقوله:

ارتفعت ووصلت للثريا
وبأرض والسماء لك دنيا^{١٤}

وكان هناك فئة من رجال شداد ذووا العزم والهمة معروفين باسم "الصعاليك". وكانوا معروفين في الضرب والحرب والنهب، وكان اعتقادهم وعملهم، حسب قول شاعرنا في نصيحة عقاب لابنه:

ويا طفل أنت أطرت الحمام
ففي لذة الأكل ليست ترام^{١٥}

ورئيسهم يمدح نفسه في أشعاره ويحكي قصص ضيافته للغريب وإكرامه للضيف، ويرى لنفسه راحة في أنه ينهب أموال الأغنياء ويوزعها على المساكين والمحتاجين. فإنه يقف من هذه الناحية مواقف الكاتب الإنكليزي "رابن هد" وجماعته. وأشعار هذه الفئة من الشعراء تحمل معه نفس اللذة التي يحظى بها القائم على المهمات الخطيرة المهلكة. وهذه الفئة تسمى باسم الصعاليك. وكلمة

صعلوك في معناها اللغوي الفقير والمسكين والمحتاج ولكنهم استخدموها بمعنى الذي يلوح فيه الاستغناء والجرأة والعزة والشأن كما يستخدم كلمة "قلندر" بالأردنية و"الدوريش" في الفارسية والعربية. وقد وردت في الحماسة قطعة شعرية جميلة جدا قالها عمرو بن ورد رئيس الصعاليك، يقول فيها:

لَحَا اللهُ صُعْلُوكًا إِذَا جُنَّ لَيْلُهُ
 مُصَافِي الْمُشَاشِ أَلْفَا كُلَّ مُجْزِرٍ
 يَعُدُّ الْفَتَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ
 أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ
 وَلَكِنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحَةً وَجْهَهُ
 كَضَوْءِ شِهَابِ الْقَابِيسِ الْمُتَنَوَّرِ
 فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَيِّتَةَ يَلْقَاهَا
 حَمِيدًا وَإِنْ يَسْتَعْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ

أكتفي بهذا القدر من العينة لأن هذه القصيدة طويلة جدا. ومفهومها الإجمالي بأن يقول أهلك الله الصعلوك الذي يذهب إلى المذابح ليقنتات فيها العظام ليلا، ويعمل بأمر نساء قبيلته نهارا، ثم يرقد بالثرى مبيتا، ثم ينهض فجرًا وينفض الحصى عن بدنه، إن أعطي وأطعم وجبة رأي نفسه أسعد ساكني الأرض. ولكنني أحب ذلك الصعلوك الذي وجهه مشرق كشعلة اللهب أمام باحث نار في ليل مظلم، والذي لا يأمنه أعداؤه بأي حال من الأحوال، وكل لحظة يخافون إدراكه إياهم أينما بلغوا وأينما ساروا. وإن فاز ذلك الصعلوك في مهمته فله دره، وإن فشل وضحى بحياته فهو الممدوح. فكأن العروة يرى أن هؤلاء الصعاليك الذين اختاروا الذل والمسكنة افتضحوا شأن الفقر وأصبحوا عارا على فقر الصعلكة. ثم يأتي بنموذج لجرأة الصعلوك الحقيقي وسلوكه العظيم. فكأن العروة قارن بين فقر وفقر، ويعنى من الفقر الأول "الذلة والمسكنة" ومن الفقر الثاني "الرعب والشأن والحماسة" فنفسه يذكر إقبال في أشعار له فيقول:

يعلم	صيدا	لصيادنا
وفقر	أذاه	لحكامنا
هنالك	فقر	وفيه المصاب
وآخر	إكسيه	من تراب

هنالك فقر لدى كربلاء
لأجل الحسين لنا ما نشاء^{١٦}
وعندما نقرأ بيت عروة بن الورد هذا

وَلَكِنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحَةً وَجْهَهُ
كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَائِسِ الْمُنتَوِّرِ
يرد في أذهاننا أبيات إقبال التالية:

قلب صوفي من الفقر خلا
دمعة الشجعان فيه لا ولا
لست درويشا إن تناسيت النسر
إنما تخفي جديرا بالظهور^{١٧}

وإن "بنات الدهر" أسلوب فصيح عربي يعبر به عن المصائب والخطوب التي يرد علي الانسان. فاستخدمه الشاعر إقبال استخداما عجيبا.

هذه الدنيا صروف في ازدياد
أمهات الدهر أكثرن الولاد^{١٨}

فاستخدم أسلوب "بنات أم الأيام" الذي ترجم إلى العربي بـ "أمهات الدهر".

وخوفا من أن لا تطول مقالتي أترك ذكر ما نجد في شعر شاعرنا محمد إقبال من أمثلة وأساليب مأخوذة من المصادر الأدبية العربية ومنحوتة حسب البيئة العربية. وجدير بالذكر أنني لا أدعي أن محاولتي لبيان إقبال حسب الموضوع المحدد قد أحاطت كل ما يحتاج إليه بيانه. وأعترف بتقصيري فيه ولكني قمت بهذه المهمة لذكرى بأنه لا بد أن يرعى هذه الناحية في دراسة شعر إقبال. وكما قلت في بداية المقال: إن محاولتي هذه:

"إنما هي سراج يرشد إلى الطريق وليست الغاية المنشودة"

^١ طبع هذا المقال أول ما طبع في مجلة "نوید الصبح"

^٢ بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ٩٠ (ديوان بانك درا الأردني: ص ١٣٣)

٣	المزمل ٧٣ : ١٤
٤	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ٢٦٨ (ديوان بال جبريل الأردني: ص ١٢٧)
٥	الفرقان ٤٨ : ٢٥
٦	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ٢٣ (ديوان بانك درا الأردني: ص ٢٧)
٧	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ١٧٤ (ديوان بانك درا الأردني: ص ٢٥٦)
٨	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ١٧٥ (ديوان بانك درا الأردني: ص ٢٥٨)
٩	ديوان بال جبريل الأردني: ص ١١٤
١٠	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ٣٥٠ (ديوان ضرب كلیم الأردني: ص ١٢٧)
١١	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ١٨٦ (ديوان بانك درا الأردني: ص ٢٩٥)
١٢	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ١٢٢ (ديوان بانك درا الأردني: ص ١٨٣)
١٣	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ٢٥٨ (ديوان بال جبريل الأردني: ص ١١٤)
١٤	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ١٩ (ديوان بانك درا الأردني: ص ٣٦)
١٥	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ٢٦٣ (ديوان بال جبريل الأردني: ص ١٢٤)
١٦	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ٢٨٦ (ديوان بال جبريل الأردني: ص ١٦٦)
١٧	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ٢١١ (ديوان بال جبريل الأردني: ص ٣٩)
١٨	بدائع إقبال في شعره الأردني: ص ١٥٨ (ديوان بانك درا الأردني: ص ٢٤٢)

العروج السماوي بين إقبال والمعري

للدافظ عبد القدير

سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئله من آياتنا إنه هو السميع البصير. (القرآن، ١٧/١)

إن فكرة مشاهدة العالم العلوي كانت موجودة في الأدب الديني، فالإسرائيليات (١) مثلا تضم الروايات عن بعض الأنبياء والرسل الذين شاهدوا الحقائق السماوية مناظر الجنة والجحيم، ولم تقتصر الروايات السابقة على ذكر معراج بعض الأنبياء فقط، بل نجد أن هذا الحدث قد وقع لغير الأنبياء أيضا طبقا لما تحكيه الروايات، كذلك نجد رؤية زرتشت (٢) لله في كتب ديانة زرتشت المقدسة، كما أننا نجد معراج أرداويراف الإيراني (٣) بالتفصيل في كتبه، ولكن هذه الرحلات السماوية التي نجد ذكرها مبثوثة في الكتب ليست حقائق مصدقة، إنما هي قصص روتها الأجيال عن الأجيال وضرب من الخيال لا صلة لها بالحقيقة على خلاف المعراج النبوي الذي تضمن ذكره القرآن والسنة، والذي تحقق للرسول — صلى الله عليه وسلم — بالروح والجسد على السواء (٤). فالنبي — صلى الله عليه وسلم — ذهب في ليلة من الليالي . وهو في مكة في البيت الحرام . إلى بيت المقدس مع جبريل وصلى بالأنبياء فيه، ثم عرج به إلى السماوات

فشاهد مناظرها وتكلم مع من كان فيها من الأنبياء والرسل والملائكة . عليهم أزكى التحيات والتسليمات . وشاهد الجنة والنار، ثم تركه جبريل ليصل إلى سدرة المنتهي، فيتشرف برؤية الله سبحانه وتعالى والكلام معه، فلقد رأى من آيات ربه ما رأى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى. ثم عاد إلى الدنيا بهدية من الله لعباده، وهي الصلاة، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (القرآن، ٤/١٠٣)

ولعظمة هذا الحدث الذي اختص به النبي —صلى الله عليه وسلم— جادله المشركون وغيرهم (فيه) حتى جري ذكره على ألسنة المعاصرين لرسول الله —صلى الله عليه وسلم— كما استرعي انتباه كثير من الأدباء الإسلاميين وغيرهم فيما بعد، وأثار خيالهم وشحذ قرائحهم، حتى أن بعض الشعراء جعل من فكرة المعراج موضوعا لشعره، ومن أبرز هؤلاء الشعراء:

أبو يزيد البسطامي (٥) وأحمد الغزالي (٦) وأبو المجد مجدود حسن بن آدم السنائي (٧) وابن الطفيل (٨) وابن العربي (٩) وعبد الرحمان الجامي (١٠)

ومن الناحية الأدبية فإن للمعراج جانبا أدبيا بحتا، وليس معناه أنه خال أو مجرد عن الجانب الخلقى والديني، بل المراد به أن جانبه الأدبي أبرز وأظهر فمن هذه الناحية نجد أن الأدباء والشعراء في العصور المختلفة من التاريخ كتبوا كتباً ودونوا دواوين ونجحوا فيها منهج المعراج وأرسلوا أنفسهم أو أصدقاءهم إلى المعراج على سبيل الخيال، وسجلوا خيالهم في صور أدبية شعرا كان أو نثرا. فإنهم جعلوا هذه الكتب وتلك الدواوين سبيلا لإظهار مقدرتهم الأدبية وإبراز معرفتهم بالتاريخ وإلى التعبير عن فلسفتهم الدينية، فمن أشهرهم: أبو العلاء المعري حكيم المعرفة والشاعر الإيطالي الشهير "دانتي" (١١) وشاعر شبه القارة الهندية العلامة محمد إقبال.

وسيدور حديثنا في هذا المقال حول دراسة "رسالة الغفران" أو معراج ابن القارح (١٢) الذي أرسله أبو العلاء المعري إلى السماوات و" جاويد نامه" أو معراج الشاعر الباكستاني الكبير العلامة محمد إقبال، وتتناول فيما يأتي فكرة المعراج السماوي عند كل منهما وما شاهده في عالم الخيال، ثم نقوم بمقارنة بينهما.

وإني عند ما وازنت بين الشاعرين وجدت كثيرا من العقبات اعترضت
طريقي، فقد سبق أبو العلاء إقبالا بما يقرب من ألف سنة، فظروف العصرين
والبيئتين تختلف اختلافا بينا.....

هذا مع أن أبا العلاء كان يقرض الشعر بالعربية في حين أن شاعرنا
الباكستاني سجل مشاعره باللغة الأردية والفارسية.

نظرة عابرة على رسالة الغفران

إن المعري كتب "رسالة الغفران" جوابا على رسالة أرسلها إليه صديقه ابن
القارح الذي كان يتحامل على الأدباء والشعراء ويرى أنهم بعض ما قاموا به من
العمل أو القول أو ترك بعض الفروع الدينية أو شرب الخمر خرجوا من نطاق
الإسلام، واستحقوا بالجحيم مقرا لهم.

كتب المعري هذه الرسالة على لسان صديقه ابن القارح، وحاول أن يثبت
للناس أن رحمة الله أوسع وعفوه أعم، ويبين لهم أن شعراء الإسلام والجاهلية
أكثرهم من الممكن أن ينالوا النجاة من النار بإيمانهم بالله أو بعمل صالح أو بنية
خالصة أو بتوبة سبقت منهم في آخر حياتهم، رغم أن الفقهاء المتشددون يظنون
أنهم من أهل النار ويحكمون عليهم بالكفر والزندقة. كما أنه تناول آراء بعض
العلماء والأدباء والفقهاء في الشعر والأدب والأخبار الدينية للنقاش.

ففي هذه الكوميديا الإلهية يرسل أبو العلاء المعري صديقه إلى الجنة، فيقابل
الشعراء والأدباء فيهما. وها نحن نقدم للقارئ موجزا من أخبار عروجه:

يبدأ المعري رسالته بتوضيح الموضوع الذي يضع ابن القارح فيه من الجنة وهو
موضع تظله شجرة "تأخذ ما بين المشرق والمغرب" عندها جميع أسباب النعيم
خمر لا يسكر شاربها، تدار في كؤوس الذهب على أهل الجنة، وهم يتمتعون
بأشجى الألحان، ثم يتخيل المعري نزهة لابن القارح في الجنة، يرى في أثنائها
بعض شعراء الجاهلية والإسلام كالأعشي (١٣) وزهير (١٤) وعدي بن زيد
النصراني (١٥) والنابعة الذيباني (١٦) وحسان بن ثابت، وغيرهم وقد دخل كل
منهم الجنة بعمل صالح أو بإيمان بالله وطيد قبل أن يبعث الله محمدا — صلى الله
عليه وسلم — بالإسلام ثم يجري المعري الحديث على لسان ابن القارح ويجعله
يقص علينا كيفية دخوله الجنة.

وذلك أن ابن القارح عند ما بعث من قبره يوم القيامة وجد حسناته قليلة، إلا أن التوبة موجودة في آخرها، فلما ضاق من الوقوف في ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة وما استطاع الصبر على العطش وشدة الهول، ذهب إلى رضوان — خازن الجنة — ولجأ إليه بالوسائل المعروفة في الدنيا، كمدحه بالشعر والاستشهاد على صحة إيمانه وعلي توبته وطلب منه أن يسمح له بالدخول في الجنة ولكنه يرفض فيذهب إلى خازن آخر اسمه زفر، ويسعي أن يتقرب منه بنفس الحيلة والدهاء ولكن لا ينفعه ذلك شيئا وبينما هو على تلك الحال إذ يقع نظره على حمزة بن عبد المطلب، فيذهب إليه ويمدحه، فيبعث معه رجلا إلى ابن أخيه علي بن أبي طالب، وفي طريقه إلى علي بن أبي طالب يلتقي بأبي علي الفارسي (١٧) ويزيد بن الحاكم الكلابي (١٨) فيفلت من يده الكتاب الذي فيه ذكر توبته، فلا يشفع له. ثم يلتفت ابن القارح فيري الناس مجتمعين فيخبر أنهم من العترة المنتخبين وفيهم علي بن الحسين (١٩) ومحمد بن علي (٢٠) وزيد بن علي (٢١) وهم ينتظرون خروج فاطمة بنت محمد — صلى الله عليه وسلم — التي ستخرج من الجنة للسلام على أبيها، فيتوسل إليهم بالصلاة التي كان يصلها علي النبي — صلى الله عليه وسلم — وعلي عترته الطيبين في الدنيا ويطلب منهم أن يشفعوا له أمام فاطمة رضي الله عنها. وعندما تخرج فاطمة مع إخوتها (٢٢) وأما خديجة يجبرونها عنه، فتأخذه إلى محمد — صلى الله عليه وسلم — وتذكر له شأن الرجل وشفاعة الأئمة الطاهرين فيه، فينظر النبي — صلى الله عليه وسلم — في عمله، فيؤذن له بالدخول إلى الجنة، فيعبر الصراط بمساعدة جارية من جوارى فاطمة ويساعده إبراهيم بن محمد — صلى الله عليه وسلم — في الوصول إلى الجنة، وأخيرا يدخلها.

فأول من يزوره في الفردوس هو حميد بن ثور الهلالي (٢٣) ثم لبيد بن ربيعة (٢٤) ثم يقوم ابن القارح بمأدبة في الجنة يدعو إليها شعراء الخضرمة والإسلام، والذين حفظوا كلام العرب ودونوه في الكتب فيجتمع عنده جم غفير من الشعراء والعلماء في شتى مجالات العلوم والأدب.

وبعد الطعام يبدأ الغناء والشرب. فالمغنون والمغنيات كالغريض (٢٥) ومعبد (٢٦) وابن سريج (٢٧) وإبراهيم الموصلبي (٢٨) وإسحق بن إبراهيم (٢٩) والجرادتين (٣٠) وجران العود (٣١) يغنون لهم كلام الشعراء المختلفين.

ثم يذهب ابن القارح إلى حدائق الحور، فمن ثمرة يكسرها تخرج جارية حوراء عيناء وتخبره بأنها منيت بلقائه قبل أن يخلق الله الدنيا بأربعة آلاف سنة.

ويخطر ببال ابن القارح أن يذهب لمشاهدة أهل الجحيم، فيمر بطريقه على مدائن الجن الذين آمنوا فاستحقوا بأعمالهم وإيمانهم دخول الجنة، وهنا يقوم ابن القارح بوصف تلك البقعة من الجنة كما يكلم واحدا منهم اعتنق الإسلام لما سمع قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد، والجدير بالذكر أن ابن القارح يراه في صورة شيخ كبير ولا يجده شابا، فيسأله عن ذلك فيخبره بأن العفاريت في الدنيا كانوا يستطيعون أن يتمثلوا بأي صورة أرادوا بخلاف الإنس، فأكرم الإنس الآن بذلك دون الجن، وإن الجن يعرفون كل لغات البشر وفنوتهم، ثم يقع نظره على أسد افترس عتبة أبي لهب (٣٢) ثم يلتقي بالحطيئة (٣٣) فيسأله عن سبب نجاته، فيخبره بأنه نجا بالصدق في قوله:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما
بمجر، فلا أدري لمن أنا قائله؟
أرى لي وجهها قبح الله خلقه
فقبح من وجهه، وقبح حامله

ثم عندما يصل ابن القارح إلى أقصى الجنة وبالقرب من النار تستقبله الخنساء (٣٤) التي جاءت إلى النار لتتنظر إلى أخيها صخر، فيطلع معها فيراه كالجبل الشامخ، والنار تضطرم في رأسه فيقول: " لقد صح مزعمك فيه يعني قولها:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار

ثم يطل على الجحيم، فيجد إبليس في السلاسل والأغلال، والزبانية يضربونه بمقامع من حديد، فيدور الحوار بين ابن القارح وبين إبليس عن الغلمان والولدان المخلدن في الجنة فيسأله إبليس: هل يفعل أهل الجنة بالولدان فعل أهل القرية (٣٥)؟ فيرد عليه بأن الله سبحانه وتعالى قال:

ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خلدون (القرآن، ٢٥/٢)

ثم يتابع سيره فيرى بشار بن برد (٣٦) في أصناف من العذاب فيريد أن

يحادثه ولكنه يعرض عنه بسبب عذاب يشغله عنه ثم يخاطب إمرأ القيس (٣٧) فيخبره بأن كثيرا من الأبيات التي تنسب إليه ليست له بل اخترعها بعض شعراء الإسلام ونسبها إليه ثم يلتقى به عنتره العبسي (٣٨) ويتكلم معه حول شعره ويخبره بأنه يشق عليه أن يدخل الجحيم مثله. ثم يقع نظره في الجحيم على علقمة الفحل (٣٩) فيتكلم معه، كما يحاور عمرو بن كلثوم (٤٠) والحارث اليشكري (٤١) وطرفة بن العبد (٤٢) وأوس بن حجر (٤٣) وأبا كبير الهذلي (٤٤) والأخطل (٤٥) فيقول الأخطل بأنه أخطأ في أمرين:

الأول: أنه لم يعتنق الإسلام

والثاني: أنه عاشر يزيد بن معاوية

ثم يعود ابن القارح إلى قصره في الجنة فعندما يصير على (مسافة من) ميل أو ميلين يذكر أنه ما عرف أحوال مهلهل التغلي (٤٦) ولا الشنفرى (٤٧) وتأبط شرا (٤٨) فيرجع على أدراجه ويتكلم معهم في الجحيم إلا أنه لا يجد الشنفرى قلما مثل الآخرين، فيذكر الشنفرى سبب ذلك بأنه قال بيتا سبب تخفيفا من العذاب وهو:

غوي، فغوت، ثم ارعوي بعد وارعوت
وللقبر . إن لم ينفع الشكور . أجمل

"فإذى رأى قلة الفوائد لديهم تركهم في الشقاء السرمد" ويرجع ابن القارح إلى الجنة فيلتقي بآدم . على نبينا وعليه الصلاة والسلام . في الطريق فيسأله عن شعره الذي روي عنه:

نحن بنو الأرض وسكانها
منها خلقنا وإليها نعود
والسعد لا يبقى لأصحابه
والنحس تمحوه ليالي السعود

فينكر قول هذا الشعر قائلا: إنه كان يتكلم بالعربية في الجنة، فلما هبط إلى الأرض تغير لسانه إلى السريانية، ونسي اللغة العربية فلما توفي وانتقل إلى الجنة ردت إليه اللغة العربية فكيف كان يستطيع نظم هذا البيت بالعربية في الدنيا، ولأن الذي قال هذا البيت عارف بحقيقة: "منها خلقنا وإليها نعود" وكان آدم

في الجنة قبل الخروج منها (و) لم يكن يدري ما هو الموت.

وفي النهاية بينما يسير ابن القارح في أجواء الفردوس يلتقي بحيات كن قد عملن في الدنيا صالحا، ثم يمر ببيوت ليس لها ارتفاع بيوت الجنة فيحاج على سؤاله بأن هذه جنة الرجز (جمع الراجز) (٤٩) ويجد فيها روبة بن العجاج (٥٠) وأباه فيتكلم معهما.

وبهذا ينتهي المعري من هذا المعراج الخيالي ويبدأ الجزء الثاني من رسالته وفيه يرد أبو العلاء على رسالة ابن القارح إجابة مباشرة صريحة، فييدي رأيه في بعض مشاهير الأدب والفكر كأبي نواس (٥١) والمنتبي (٥٢) وبشار وابن الراوندي (٥٣) والحلاج (٥٤) وابن الرومي (٥٥) وأبي تمام (٥٦) وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب أو في بعض الموضوعات كالموت والزندقة والدهر والقرامطة ومذهب الحلول والتناسخ وإدعاء الألوهية والزواج والخمر وما إليها.

ولا يفوتنا أن نذكر أن أهمية الرسالة إنما ترجع إلى القسم الأول منها كما قال الدكتور شوقي ضيف.

"أهمية الرسالة إنما ترجع إلى القسم الأول منها إذ قرنها الباحثون بسببه إلى الكوميديد الإلهية لدانتي محاولين النفوذ إلى بيان تأثيره بها ومدى هذا التأثير، وهو متأثر تقوم عليه أدلة كثيرة، وبذلك لم يصنع أبو العلاء للعرب كوميديا إلهية فحسب، بل أثر بها أيضا أثرا عميقا في الآداب العالمية" (٥٧)

جهاوير نامه

لقد عالج إقبال فكرة المعراج في ديوانه "جاويد نامه" الذي يعد من أروع دواوينه بالفارسية، مزج فيها التصوف بالفلسفة والتاريخ، يبدأ بالمناجاة للرب، ونجده يشكو إلى الله حرمان الإنسان في هذه الدنيا من الصديق المماثل في الفكر والذهن ويتمنى أن يرزق بمثله وفي "التمهيد السمائي" تعير السماء الأرض وتعييها بأنها بدون النور، فتكاد تذوب حياء فتتوجه إلى الله خجلة مطرقة رأسها شاكية بثها وحرزها، فيأتي النداء من السماء بأنك لا تقدرين قيمتك إنك تحملين على ظهرك النور الحقيقي أي الإنسان فهو رأس مالك بل رأس مال كل العالم، ثم في "نعمة ملايك" (أنشودة الملائكة) تكشف الملائكة عن هذا السر بأن ذلك اليوم الذي تحسد فيه السماء الأرض بسبب رقي آدم ليس ببعيد، وهذا هو

سبب معراج الشاعر إلى الأفلاك العليا.

إن الشاعر في بحثه عن الخلوة يذهب إلى نهر والشمس غاربة والنهار مدبر، فيعجبه جمال الطبيعة ورقة الهواء وحرير الماء في هدوء الصحراء فيزيد قلقا على الفراق عن خالقه، فيذرف دموعا غزارا، ويبدأ إنشاد الغزل الشهير للشاعر جلال الدين الرومي (٥٨) الذي مطلعته:

"بكشای لب كه قند فراوتم آرزوست
بنمای رخ كه باغ وگلستانم آرزوست (٥٩)

فيظهر روح الرومي من خلف تل، ويتحدث إليه طويلا، ويلقى الضوء على الموجود، وغير الموجود، والمحمود وغير المحمود، والعقل والعشق، والجسد والروح، والزمان والمكان، وعلى فلسفة المعراج، ويلقبه بـ "زنده رود" (٦٠) فيحن قلب الشاعر إلى سير الأفلاك عالم ويكي لفراق ربه، ولا يستطيع الصبر.

بينما هو في هذه الحال إذ يظهر زروان (٦١) الذي هو روح الزمان والمكان، وله وجهان، أحدهما مظلم والثاني مضيء ويقول له: إن قرأت "لي مع الله" (٦٢) من أعماق روحك تحررت مني، أي من قيود الزمان والمكان. ثم بغتة يغيب عن الشاعر هذا العالم المادي، ويتمثل أمامه عالم جديد يرحب به فيه الملائكة، فيعرج الشاعر في صحبة مرشده الرومي إلى السماء فيصل أولا إلى فلك القمر ويتشرف بزيارة الرجل الملقب بـ "جهان دوست" (٦٣) فيقدم جهان دوست نكاته التسعة الزاخرة بالحكم ثم ينظر الشاعر الطواسين الأربعة، (٦٤) أي طس لكوتم (٦٥) وطس لزرئتشت، وطس للمسيح، وطس لمحمد — صلى الله عليه وسلم —، ويلتقي هناك بـ "زن رقاظه" (المراة الراقصة) (٦٦) وأهرمن (٦٧) وطالسطائي (٦٨) وأبي جهل وإن في نياحة أبي جهل الذي كان من أشد الناس حماسة في الدفاع عن الجاهلية لعبرة. إنه لما رأى أن الجاهلية تطرد من عاصمتها ومهدا طردا شنيعا هاجت في نفسه نخوة الجاهلية، وحنقت روحه، وشوهد متعلقا بأستار الكعبة يستغيث آلهته على محمد — صلى الله عليه وسلم — وينوح قائلا:

باز كواى سنگ اسود باز گوى
آنجه ديدم از محمد باز گوى

ای هبل، ای بنده را بوزش بذیر
 خانه خود را زیکیشان بگیر
 گله شان را بگر گان کن سیل
 تلخ کن خرمای شان را بر نخیل!
 صر صری ده باهوای بادیه
 انهم أعجاز نخل خاویة
 ای منات ای لات ازین منزل مرو
 گرز منزل می روی از دل مرو
 ای ترا اندر دو چشم ما وثاق
 مهلتی إن كنت أزمعت الفراق (٦٩)

"أعد علينا أيها الحجر الأسود أعد علينا حديث ما لاقيهنا على يد محمد،
 يا هبل ! يا من يقبل الاعتذار من عباده! اسلب بيتك من أيدي هؤلاء
 الزنادقة، سق غنمهم إلى الذئب واجعل تمرهم مرا على نخلهم. أرسل
 عليهم صرصرا من ریح الفیافي، تجعلهم أعجاز نخل خاویة، یامناة! ویا
 لات! لا ترحلا عن منازلنا، و إذا كان لا بد من الرحیل فلا ترحلا عن
 قلوبنا، وما دام لك (یا لات) فی عینی الوثاق فأمهلي، وإن كنت أزمعت
 الفراق)"

وعلى فلك العطارذ يقوم الشاعر بزيارة روحين لشخصيتين عظيمتين من
 القرن التاسع عشر الميلادي، وهما: جمال الدين الأفغاني (٧٠) وسعيد حليم باشا
 (٧١) فيدور الحوار بينهم حول الدين والوطن والاشتراكية والملوكية، فكلّمات
 الشيخ الأفغاني بهذا الصدد زاخرة بلآلي الحكمة، وتستحق أن تكتب بماء
 الذهب، فمما قاله:

غریبان گم کرده اند افلاك را
 درشکم جویند جان باك را
 رنگ و بو از تن نگیرد جان باك
 جزیه تن کاری ندارد اشتراك
 دین آن بیغمیر حق نا شناس
 بر مساوات شکم دارد اساس

تا اخوت را مقام اندر دل است
 بيخ او در دل نه در آب وگل است (٧٢)
 إن الغربيين فقدوا القيم السماوية، وذهبوا يبحثون عن الروح في المعدة، إن
 الروح ليست قوتها وحياتها من الجسم، ولكن الشيعوية لا صلة لها إلا بالجسم
 المادي، وديانة هذا الرسول الذي فاته الحق (٧٣) مؤسسة على مساواة البطون.
 إن الأخوة الإنسانية لا تقوم على وحدة الأجسام والبطون، إنما تقوم على محبة
 القلوب وألفة النفوس. وقال:

هر دو را جان ناصبور ونا شكيب
 هر دو يزدان نا شناس، آدم فريب!
 زندگي اين را خروج آن را خراج
 درميان اين دو سنگ آدم زجاج!
 اين به علم ودين وفن آرد شكست
 آن برد جان راز تن، نان راز دست
 غرق ديدم هر دو را در آب وگل
 هر دو راتن روشن وتاريك دل! (٧٤)

"إن الملوكية والشيعوية كلاهما تشتركان في القلق والسامة، والجهل بالله
 والخداع للإنسانية. الحياة عند الشيعوية "خروج" وعند الملوكية "خراج"
 والإنسان البائس بين هذين الحجرين قارورة زجاج، إن الشيعوية تقضي
 على العلم والدين والفن، والملوكية تنزع الروح من الأجسام، وتسلب
 القوت من أيدي الفقراء، لقد رأيت كليهما غارقتين في المادة، جسمهما
 مضيء ناضر، وقلبهما مظلم فاجر"
 كما أنه يحكى انتقاد الأمير سعيد حلیم باشا للثورة التي قام بها آتا تورك
 (٧٥) في تركيا، ويذكر تفاهتها وأن زعيمها وقائدها محروم من كل إبداع وابتكار،
 ومن كل إصالة في التصميم والتخطيط، وأنه ليس إلا مقلدا أعمى لأوربا، يقول:

مصطفي كو از تجدد مي سرود
 گفت نقش كهنه را بايد ز دود
 نونگردد كعبه را رخت حيات
 گرز فرنگ آيدش لات و منات

ترك را آهنگ نو در جنگ نیست
تازه اش جزكهنه افرنگ نیست
سینه او رادمی دیگر نبود
در ضمیرش عالمی دیگر نبود
لا جرم با عالم موجود ساخت
مثل موم از سوز این عالم گداخت (٧٦)

"إن مصطفي كمال الذي تغنى بالتجدید في حياة تركيا ودعا إلى محو كل أثر قديم وتراث مأثور، ولكنه جهل أن الكعبة لا تجدد ولا تعود إلى الحياة والنشاط، إذا جلبت لها من أوربا أصنام جديدة، إن زعيم تركيا لا يملك اليوم أغنية جديدة في قيثارته، إنما هي كلها أغان مرددة معادة تتغنى بها أوربا من زمان، إن الجديد عنده هو القلم الأوربي الذي أكل عليه الدهر وشرب ليس في صدره نفس جديد، وليس في ضميره عالم حديث، فاضطر إلى أن يتجاوز مع العالم الموجود المعاصر، إنه لم يستطع أن يقاوم وهج العالم الحديث فذاب مثل الشمعة وفقد شخصيته."

وعلى فلك الزهرة يمر الشاعر بواد اجتمعت الآلهة القديمة التي عبدتها أمم الجاهلية، ونحتت أصنامها وتمثالها، وبنيت عليها هياكل ومعابد، وعكف عليها السدنة والكهان، كبعل، واللات، ومناة، كلها وجلة مشفقة من الوحي المحمدي — على صاحبه ألف تحيات وتسليمات — الذي أحدث ثورة كبيرة عليها، ونقى الدنيا منها، وخلق عالما جديدا، قائما على نبذ الأصنام، يقوم أساسه على عقيدة التوحيد، كما إنها تري في هذا العصر الراهن الأفرنجي أملا لعودة الحياة إليها وبعثا من مراقدها، وتعلل الشاعر بالأغاني. ثم يطلع الشاعر على نهر من أنهار الزهرة فيجد في قعره أرواح فرعون (٧٧) وكجنر (٧٨). ثم تظهر روح المهدي السوداني (٧٩) محرصة العرب على العمل مؤدية إليهم رسالة اليقظة:

گفت "ای روح عرب بیدار شو
جون نیاگان خالق اعصار شو!
ای فؤاد ای فیصل ای ابن سعود
تا کجا بر خویش بیجیدن جو دود!
زنده کن درسینه آن سوزی که رفت

در جهان باز آوران روزی که رفت!
خاک بطحا خالدی دیگر بزای
نغمه توحید را دیگر سرای
ای نخیل دشت تو بالنده تر
برنخیزد از تو فاروقی دگر؟ (٨٠)

"قال المهدي السوداني يخاطب العرب: يا روح العرب! استيقظي من نومك العميق، وأوجدي عصوراً جديدةً كما فعل السلف يا فؤاد! ويا فيصل! ويا ابن سعود! إلى متى الانطواء على النفس كالدخان، أحرقوا قلوبكم بالحرقة الإسلامية الماضية وأحيوا للعالم الأيام السالفة، يا تراب بطحاء (أرض مكة) أنجب خالدًا (بن وليد) جديدًا وأسمعنا أنشودة التوحيد مرة أخرى. يا أرض العرب أنبت الله النخل في صحاريك نباتًا حسنًا، أليس من الممكن ظهور الفاروق (عمر بن الخطاب) من ترابك مرة أخرى؟!"

وفي فلك المريخ يزور إقبال الشاعر الحكيم المريخي (٨١) ويسير معه في بلد مثالي يسمى "مرغدين" ويتناقش معه حول مسألة القدر، فاقواله المزدهمة بالمعاني القيمة، وآراؤه الحصيفة تدل على سمو تفكيره وعصارة تجاربه، منها:

رمز باريكش بحرفي مضمّر است
تو اگر ديگر شوي، أو ديگر است (٨٣)

"إن كنهه الدقيق كامن في قول وجيز وهو أنك إن تغير ما بك، تغير الحظ المكتوب حسب تغيرك"

وفي ميدان واسع بالمريخ يجد الشاعر نبية مريخ، تلقي خطاباً تحث فيه النسوة على الثورة ضد الرجال، وتحرضهن على نيل الحرية من مخالبيهم، وخطابها ممتع ومثير يمثل ضربة قاسية على الحضارة الغربية والمدنية الحديثة التي جنت على الإنسانية جنابة عظيمة، من حيث أنها جرفت جميع القيم الروحية والخلقية، وأسهل طريقة للحصول على هذه الغاية هو دس الأفكار الغربية في مجتمعهم كما قال إقبال في موضع آخر:

وه فاقه كمش كه موت سي درتا نهين ذرا
روح محمد اس كى بدن سي نكال دو

فكر عرب كو دى كى فرنگي تخيلات
إسلام كو حجاز و يمن سى نكال دو (٨٣)
"ذلك الفقير المعدم الجائع (أي المسلم الخالص) الذي لا يهاب الموت،
يجب أن تسلوا من جسده روح محمد — صلى الله عليه وسلم —،
وعليكم أن تفسدوا فكر العرب بتغريس الأفكار الغربية فيه، وحينئذ
تتمكنون من طرد الإسلام من الحجاز واليمن بكل سهولة."
وعلى فلك المشتري يلتقي الشاعر بأرواح الحلاج وغالب (٨٤) والمبلغة
الإيرانية والشاعرة الشهيرة قرة العين طاهرة (٨٥) ممن فضلوا المكوث في "كردش
جاودان" (الجولان السرمدي) على الجنة ونعيمها. يتمتع الشاعر بكلام كل
واحد منهم ويتلذذ به، ثم يسأل غالب عن شرح شعره:

قمري كف خاكستر وبلبل قفس رنك
اي ناله نشان جگر سوخته جيست
"ليست الحمامة إلا قبضة من الرماد، وليس البلبل إلا قفسا من اللون،
فهل هناك شيء سوى البكاء والعيول، يدل على حرقة الكبد"
ثم يسأله إقبال عن بيت آخر من شعره قاله في مدح النبي — صلى الله عليه
وسلم.

هر كجا هنگامه عالم بود
رحمة للعالمين لهم بود
"فأينما جرت غوغاء عالم فلا بد من أن يوجد معها من يكون رحمة
للعالمين"

ولكن المعنى لا يتضح بشرح الشاعر فيوضحه الحلاج توضيحا مليئا بالمعاني
والمعارف ثم يظهر إبليس ويشتكى.

وعلى فلك زحل يعرض على الشاعر بحر الدم، وفيه سفينة عليها غادران
معروفان أي جعفر من بنغال (٨٦) وصادق من دكن (٨٧) اللذان لم تقبلهما
الرحيم، ولا يأتيهما الموت، وهما في عذاب شديد. ثم يظهر روح الهند في صورة
حوراء وتشتكى.

وعلى بعد من الأفلاك يلتقي الشاعر بروح نطشى (٨٨) الفيلسوف

الألماني الشهير الذي لقبه إقبال بـ حلاج عصره.

وفي النهاية يدخل الشاعر جنة الفردوس فيمر من أمام قصر شامخ للسيدة شرف النساء (٨٩) ثم يلتقي بالسيد علي الهمداني (٩٠) وملا طاهر غني الكشميري (٩١) فيتحاورون حول كشمير وماضيها وحالها ومستقبلها.

ثم يلتقي بالشاعر الهندي الشهير "برتري هري" (٩٢) الذي بشعره يجوش خاطر إقبال وتثور عواطفه، ويشعر بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسه، وبحركة للحماسة الإسلامية في عروقه.

ثم يرتفع في صحبة روح الرومي -مرشده- إلى العلي ويصل إلى مجلس الملوك كنادر شاه (٩٣) وأحمد شاه (٩٤) وسلطان تيبو (٩٥) فيقدم تيبو آراءه الحصيفة وأفكاره القيمة حول الحياة والموت.

وحور الجنة يطلبن من الشاعر إنشاد شعره ثم يتركه روح الرومي ويصل إقبال إلى حوار الجمال الإلهي، فيتكلم بما شاء الله أن يتكلم به، ثم يتجلى ربه فجأة بجلاله، فيعم النور الأرض والسماء فلا يستطيع الشاعر التكلم مزيدا ويخر صعقا، وهنا تنتهي رحلته الخيالية ويقدم إقبال للجيل الجديد الفلسفة التي جاء بها من وراء الأفلاك في صورة خطاب يخاطب به نجله "جاويد" ويجعله رمزا للجيل الناشئ.

أوجه التمايه

كلا الشاعرين اتخذ رسالته سبيلا إلى إظهار مقدرته العلمية والأدبية، وإبراز معرفته بالتأريخ وإلى التعبير عن فلسفته الدينية. كلاهما فكر في معجزة الإسراء والمعراج وحاول أن يستلهمها في شعره كما أسري بالني (صلى الله عليه وسلم). كلا الشاعرين اتخذ نخبة من الأشخاص الذين لقيهم هناك من المشاهير من الذين عاصروه أو سبقوا عصره وحادثهم فيما يهمهم من الشؤون. كلا الشاعرين اقتبس الكلمات والجمل من القرآن والحديث خلال الكلام لتحسين الأسلوب وتجويده. لا ريب في أن المعري وإقبال استمدا فكرة المعراج من آية الإسراء وقصة المعراج، ومن كتب الحديث والاسرائيليات والتاريخ. كلاهما التقى بإبليس خلال هذا السفر. كلاهما لقي الحور العين في الجنة. كلاهما لاقى الشعراء الذين سبقوه وتكلم عن شعرهم. أبيات كل منهما تتضمن الحكمة في ظاهرها

وباطنها معاً. إن كتابي "جاويد نامه" و "رسالة الغفران" يدلان على طول باع مصنفيهما في ميدان الأدب. كلاهما دخل الجنة وطاف بها. يجد القارئ في جاويد نامه أسلوب كل بطل مظهراً لشخصيته، فعلى سبيل المثال: أسلوب إبليس المتأجج يدل على ثورة ذهنه. إنه يقول:

صيد خود صياد را گوید بگير
 الأمان أز بنده فرمان بزر
 از جنين صيدى مرا آزاد كن
 طاعت ديروزه من ياد كن
 ابن آدم جيست؟ يك مشت خس است
 مشت خس را يك شرار از من بس است
 اندرين عالم اگر جز خس نبود
 اين قدر آتش مرا دادن چه سود
 شيشه را بگداختن عارى بود
 سنگ را بگداختن كارى بود
 آنجان تنگ از فتوحات آدمم
 بيش تو بھر مكافات آدمم (٩٦)

"إن الصيد (الإنسان) بنفسه يجب أن يقع فريسة لي ولكني أعوذ بك من هذا العبد المطيع، إنني أتوسل إليك بأعمالي الحسنة التي قمت بها في الماضي من أن تحررني من مثل هذا الصيد، ما هي قيمة آدم وقدره! حفنة من الغناء ويكفيها شرر من ناري. فلو لم يكن في الدنيا إلا الغناء فلم أعطيتني هذا القدر من النار، صهر الزجاج عار وصهر الحجر افتخار، يا رب قد تعبت من مثل هذه الانتصارات المستمرة التي لا تسبب لي إلا الندامة والعار."

وهكذا كل كلمة (من كلمات) المبلغة قوة العين الطاهرة دالة على علو هممتها وجودة قريحتها، وإخلاصها ومثابرتها وحبها وحماستها التي تزخر لرسالتها التبليغية ونفس الشئ نجده عند إبليس في رسالة الغفران:

"فيقول (إبليس): بئس الصناعة! إنها تحب غفة من العيش لا يتسع بها العيال، وإنما لمزلة القدم، وكم أهلكت مثلك، فهنيئاً لك إذ نجوت، وإن

لي إليك حاجة، فإن قضيتها شكرتك يد المنون".
 فيقول (ابن القارح) "إني لا أقدر لك على نفع، فإن الآية سبقت في أهل
 النار، أعني قوله تعالى: (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا
 علينا من الماء أو مما رزقكم الله، قالوا! إن الله حرهما على الكافرين".
 فيقول: "إني لا أسألك في شيء من ذلك، ولكن أسالك عن خبر تخبرينة:
 إن الخمر حرمت عليكم في الدنيا، وأحلت لكم في الآخرة، فهل يفعل
 أهل الجنة بالولدان المخلدين فعل أهل القرينات" (٩٧)

١٣ — كلاً الكتابين يفيض بالرجاء ويلقن الأمل، فيقول إقبال في جاويد
 نامة: إن الإنسان بسعيه الصحيح يستطيع أن يتغلب على كل المشاكل
 والمتاعب، وأن يصبح مسيطراً على الزمان والمكان، وأن يحصل على المقام الذي
 هو ذروة الشرف للبشر، وهو تشرفه بالكلام مع ربه.

ونفس الشيء نجده عند أبي العلاء فإنه رأى كثيراً من الشعراء العصاة —
 الذين يراهم الجمهور من أهل النار — داخلين في الجنة، راجين من الله سبحانه
 وتعالى أن يتوب عليهم بسبب عمل أو بتوبة في آخر حياتهم.

١٤ — كلاهما يستعير بعض الشعر لشعراء آخرين حتى لا يمل ولا يسأم
 القارئ من طول المقال ووحدة الأسلوب:

أوجه الاختلاف

إن نصب عيني أبي العلاء في رسالة الغفران هو الحياة بعد الموت ومسائلها،
 بينما لم يتعرض لها إقبال، بل ركز نظره وفكره وقوة شاعريته على هذه الحياة
 الأرضية ومشاكلها، وعلى بث الحياة في المسلمين، وإيجاد الثقة والاعتزاز
 بشخصيتهم والإيمان برسالتهم والطموح إلى الحرية والقوة والسيادة، فلا يهمله
 الدخول في الجنة أم الجحيم، بل أهم شيء عنده أن يملأ هذه الحياة الدنيا بالهناء
 الحقيقي وقضاؤها طبق الأحكام الإسلامية، وتبليغ أمة الرسول — صلى الله عليه
 وسلم — رسالة الحياة والقوة. إن المعري لم يكن بطل رحلته، وإنما أرسل صديقه
 ابن القارح لزيارة الجنة والنار وأصحابها، بينما تشرف إقبال بنفسه بهذا المعراج
 الأدبي. إن ابن القارح ذهب وحيداً ولم يعتصم بجبل خبير، فواجه مشاكل عديدة
 في بداية سفره، بينما اتخذ إقبال لنفسه في هذه الزيارة دليلاً، وهو جلال الدين

الرومي — المتصوف الشهير — متبعا سير الشاعر الإيطالي الشهير دانتي للجنة والنار والأعراف الذي صحبه فيه الشاعر القديم فرجيل، كذلك فعل إقبال، فلم يواجه أي مشكلة في معرجه فأراد إقبال هنا أن يحننا على اتخاذ قدوة مرشد في ما نجهل من أمور بينما يفتقد هذا الأمر عند المعري. وهنا نجد في كلام إقبال إشارة إلى حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — "لا خاب من استشار ولا ندم من استخار". اتخذ إقبال الشعر وسيلة للإخبار عن معرجه بينما جعله المعري نثرا (إلا أنه جاء بالشعر في بعض المواضع أيضا) إن أبا العلاء المعري تناول الحشر وأهوال القيامة والصراط خلال معرجه بينما لم يتطرق إقبال لذكر شيء منها. إن أبا العلاء المعري أدخل في النار كل من كان كافرا في رأيه وبين حاله فيها بينما لا يجد قارئ إقبال ذكر النار في جاويد نامة، بل يرى الظالمين من الناس في بحر الدم في فلك زحل. بدأ سير بن القارح عند المعري من ميدان الحشر، ولكن إقبال بدأه من تل على وجه الأرض كما يقول:

موج مضطر خفت بر سنجاب آب
شد افق تار از زيان آفتاب
از متاعش باره دزدید شام
كوكی جون شاهدی بالای بام
روح رومي برده هارا بر درید
ازیس كه باره آمد بدید! (٩٨)

"إن الأمواج المضطربة نامت على فراش الماء الوثير وغربت الشمس وأرخي الظلام سدوله وسرق السماء قطعة من متاع الشمس في صورة نجمة تبدو كحبيب مطل من علو، عندئذ جاب روح الرومي الحجب وظهر من خلف تل."

٩— لما أدرك المعري أن الحياة متاع الغرور، كره هذا المتاع وبنفض منه يده ونفر الناس منه، فبقي منظويا على نفسه في بيته ينفر من الحياة الاجتماعية ويدعو الناس إلى تركها والابتعاد عنها أما إقبال فلا يكره هذا المتاع ولا يبنفض منه يده كما لا ينفر الناس منه، بل يأتي من السماء برسالة جديدة تحث الناس على العمل وتوقظهم من نومهم العميق، وتحثهم على الاعتراف من هذه الدنيا وما فيها بالتي هي أحسن.

١٠ — إن المعري متهم في عقيدته عند الناس ولكن إقبال مؤمن راسخ وشعره يزيد كل من يقرأ إيمانا.

١١ — أن المعري تناول الأشخاص ممن لقيه في الجنة أو النار واتخذ منهم موضوعا لبيانه، كقوله:

"وينظر الشيخ في رياض الجنة فيرى قصرين منيفين، فيقول في نفسه
"الأبلغن هذين القصرين فأسال: لمن هما؟" فإذا قرب منهما، رأى على
أحدهما مكتوبا: هذا القصر لزهير بن أبي سلمى المزني وعلى الآخر: هذا
القصر لعبيد بن الأبرص الأسدي (٩٩) فيعجب من ذلك ويقول: هذان
ماتا في الجاهلية، ولكن رحمة ربنا وسعت كل شيء وسوف ألتمس لقاء
هذين الرجلين، فأسالهما: بم غفر لهما؟..... (١٠٠)

ولكن إقبال لم يتناول هذا الموضوع بل تناول القضايا المعاصرة العالمية وجعلها موضوع شعره.

١٢ — إن ابن القارح لا يلتقي في الجنة إلا بعض الشعراء والأدباء ولكن إقبال نجده يمر في جولته الخيالية بمنازل كثيرة يلتقي فيها بشخصيات مرموقة من الماضي من أصحاب الديانات والفلاسفة، وقادة الفكر والصوفية والشعراء والملوك والساسة القدامى والمعاصرين ككوتم بده وزرتشت وبرتري هري و وشوامتر، فإنهم وإن كانوا قواد الديانات الأخرى ولكنهم عظماء من الناحية الإنسانية في رأيه فإنه قدم أفكارهم وآراءهم التي تتماشى مع أفكاره وهنا تلوح سعة فكر إقبال وعدم انحيازه.

١٣ — إن أبا العلاء المعري لم يقدم فلسفة الحياة أو رسالة الحياة الخالدة خلال تناول هذا الموضوع، بينما بلغ إقبال إلى الناس رسالة الحياة الخالدة، وذلك أن الإنسان لو أدرك حقيقته، فلا قيمة لهذه الأشياء المادية أمامه بل تصبح هذه الأفلاك واللوح والقلم تحت مسيطرته.

١٤ — يزور ابن القارح الجنة والنار ثم يرجع بينما لم ينته إقبال إلى هذا الحد، بل يعرج مزيدا حتى تتركه روح مرشده.

١٥ — إن إقبال في نهاية معراجه يتشرف بقرب الحضرة الإلهية ويشكو بثه.

١٦— إن ابن القارح رجل عادي انتهازي فلذا نجده أحيانا يريد أن يخدع سدنة الجنة بما كان يخدع به الناس في الدنيا من الشعر فينشئ القصائد الطوال في مدح رضوان. وأحيانا يمدح عليا وفاطمة بينما تطلب الملائكة والحوار من إقبال إنشاد شيء من شعره فتقول حوراء عندما يريد إقبال أن يغادر الجنة إلى العلى:

شيوه ها داري مثال روزگار
يك نوائى خوش دريغ ازما مدار (١٠١)

"إن لديك خصالا متنوعة كتنوع الزمان فلا تبخل علينا بأنشودة خلابة"
١٧— هناك فرق كبير بين مكانة ابن القارح وبين مكانة زنده رود. فالأول نجده باذلا جهوده المضنية للدخول في الجنة، والآخر نجده متشرفا بتقرب الحضرة الإلهية.

١٨— إن ابن القارح يقوم بزيارة نبيين من الأنبياء عليهما السلام (١٠٢) بينما لا يزور إقبال أحدا منهم.

١٩— إن ابن القارح يقوم بزيارة الصحابة مثل حمزة عم النبي — صلى الله عليه وسلم —، وعلي صهره، وفاطمة بنته، وإبراهيم ابنه، وخديجة بنت خويلد زوجته، وحسان بن ثابت صاحبه — رضوان الله عليهم أجمعين — بينما إقبال لم يزر أحدا منهم.

٢٠— واجه ابن القارح مصاعب كثيرة، وبذل جهودا لدخوله الجنة بينما دخل إقبال الجنة مباشرة دون مواجهة أي هذه المصاعب.

٢١— إن من المعروف أن الجنة لا يدخلها إلا الجن والإنس، وأن المخلوقات الأخرى تحاسب وتنفى، ولكن المعري ابتكر هذه الفكرة بأن المخلوقات الأخرى مثل الأسد والحيات مستحقة بالجنة وتدخلها بأعمالها الحسنة، فإنه يرى الأسد والحيات في الجنة "ثم يضرب سائرا في الفردوس، فإذا هو بروضة مؤنقة، وإذا هو بجيات يلعبن فيقول: لا إله إلا الله! وما تصنع حية في الجنة؟..... (١٠٣)

٢٢— إن المعري كان أول من فكر بإرسال البشر العادين في الرحلة الخيالية إلى العلاء، ولسنا نبالغ إذا قلنا أن النوافذ الكبيرة التي فتحت على الأدب العربي كان المعري من أهم فاتحيها. وأن معراجهم مهد فيما بعد لظهور كثير من

المعراجات على غرارها في العالم الإسلامي والغربي على سواء.

٢٣— إن ابن القارح يجد نفرا من الجن ويحدث واحدا منهم، بينما إقبال ليس همه إلا الإنس وصلاحهم، فلا يتوجه إلى الجن ولا إلى المخلوقات الأخرى.

٢٤— أن ابن القارح لم يلتق خلال زيارة الجنة والنار بالملائكة إلا خازن الجنة، بينما تكلم إقبال معهم وسمع أناشيدهم وأسمعهم شعره.

٢٥— أن المخرك لكتابة رسالة الغفران هو الرد على رسالة صديق فقط، بينما قصد إقبال بني نوع الإنس وفلاحهم وإيقاظ الأمة المسلمة وإشعال قلوبها إيمانا وحماسة وطموحا إلى حياة الشرف والاستقلال والسيادة والحكم، ومن أجلهم كتب هذه الرسالة.

٢٦— إن إقبال كان متأثرا بالشاعر الإيطالي الشهير دانتي للغاية فقام باتباعه، وقد ثبت بالتحقيق أن دانتي قد أخذ هذه الفكرة من الإسلام وأن مصادره إسلامية، كما أن له آراء وأحوالا لا يمكن إلا أن تكون مستمدة من رسالة حكيم المعرة (١٠٤) وكما قال الدكتور أحمد علي: "أن الرجل المتدين مثل دانتي لم يكن من الممكن أن يتأثر برسالة رجل ملحد مثل أبي العلاء المعري، ولكن يظهر أنه بوسيلة هذه الرسالة حسن رسالته وزادها رونقا وبهاء (١٠٥) هكذا نستطيع أن نقول إن إقبال متأثر بفكر المعري أيضا بواسطة دانتي.

٢٧— إن إقبال كان قد قرأ كتاب "رسالة الغفران" قبل كتابة "جاويد نامة" وأنه وضع أمام عينيه تلك الرسالة أو كانت أفكارها في ذهنه وقت كتابتها، كما يظهر من أبياته التي أوردها في كتابه "بال جبريل" (جناح جبريل) تحت عنوان: أبو العلاء المعري وترجمتها كما يلي:

"يقال إن المعري كان لا يتناول اللحم ويعيش على الخضروات فقط، فأرسل إليه صديق له دراجا مشويا، عسي أن يراوده عن نفسه، فلما رآه صاحب كتاب "الغفران" و"اللزمات" (١٠٧) قال: أخبرني أيها الطائر عن ذنبك الذي أدى بك إلى هذا المصير! أسفا عليك! ما استطعت أن تكون صقرا، وما فهمت عينك إشارة الفطرة، وهي أن قاضي القدر قد أجرى منذ الأزل فتياه بأن جريمة الضعف تعاقب بالموت المفاجئ."

٢٨— نجد المعري في رسالة الغفران باذلا عنايته على مناظر الجنة والنار،

ومما لا شك فيه أن تصوير هذه المناظر خلاب وجذاب ومؤثر جدا ولكن إقبال لا يوجد قارئه إلى المناظر، بل إلى حقائق الحياة وأسرارها في صورة حكيمة حيث تظهر أبياته الشعرية كأنها درر منظومة.

٢٩— إن المعري وجه إلى مخاطبيه الأسئلة المتعلقة بهم وبشعرهم ومغفرتهم، بينما يتحدث إقبال إليهم في العديد من المشاكل المعقدة التي يواجهها العالم، ويتخذ من ذلك سبيلا لتقديم التوجيهات والإرشادات التي تحل هذه المشاكل أو تعين على حلها.

٣٠— إن إقبال خلال جاويد نامه سعى أن يعالج عيوب المجتمع الهندي، وشخص الداء وحاول أن يصف له الدواء.

٣١— كان الكتاب في عصر المعري يحاولون أن يستخدموا المحسنات البديعية والزينة اللفظية، والأسلوب الشائع في تلك الفترة كان يميل إلى الزخرفة والزينة، فكان هم المعري، خلال كتابته، أن يتصيد اللفظة الرنانة كما يتصيد الغواص من أعماق اليم اللؤلؤ والمرجان على أن غرابة بعض ألفاظها تحول بين قارئه وبين دخول فردوسه الأدبي البهيج (١٠٨) كقوله:

"وفي تلك الأثمار أوان على هيئة الطير السابحة، والغانية عن الماء السائحة، فمنها ما هو على صور الكراكي، وأخر تشاكل المكاكي، وعلى خلق طواسيس وبط، فبعض في الجارية وبعض في الشط ينبع من أفواهاها شراب كأنه من الرقة سراب لو جرع منه جرعة الحكمي لحكم بأنه الفوز، وشهد له كل وصاف للخمر — من محدث وعتيق — أن أصناف الأشربة المنسوبة إلى الدار الفانية، كخمر عانة وأذرعان وغزة وبيت راس، وما جلب من بصرى، وما اعتصر بصرخد أو أرض شام، وما تردد ذكره من كميت بابل وصريفين،..... (١٠٩)

٣٢— إن رسالة "جاويد نامه" جاءت محكمة الالفاظ حتى لا إحكام بعده، مفعمة بالمعاني في كل بيت حتى لقد يتناول الحقبة بما جري فيها من عظيم الحوادث مجموعة في كلمات.

٣٣— طاف كلاهما في السماوات ولكن النتيجة لهاتين الزيارتين متناقضة عند الرجلين أعظم التناقض فأما أبو العلاء المعري فعاد من زيارته للجنان والنار

— حسب رأي الدكتور طه حسين — ساخرا منكرا يوشك أن يخرج على الدين. وأما إقبال فعاد من زيارته مؤمنا متعظا معتبرا يريد أن يملأ الدنيا موعظة وعبرة بعد هذه الزيارة إلى هذه السموات (١١٠)

٣٤— نجد غلبة المواد الأسطورية في رسالة الغفران، بينما لا نجدها عند إقبال إلا قليلا.

٣٥— إن أبا العلاء المعري لم يعط رسالة جادة لبني آدم، بينما أعطي إقبال رسالة جامعة للشباب يستطيع كل شاب أيا كان وإلى أي مذهب ينتمي أن يجعلها لائحة حياته (١١١)

٣٦— إن أبا العلاء المعري لم يتعرض للحياة وقضاياها إلا قليلا فإنه اقتصر على مغفرة الناس بينما يصرف إقبال عنايته إلى المسائل المتعلقة بالحياة مثل: ما الحياة؟ ما العشق؟ ما العلاقة بين العشق والعقل؟ ما الدين؟ ما الحق؟ ما القدر؟ وما إلى ذلك.

٣٧— إن إقبال في رحلته الفكرية حاول أن يتبع أسوة المعراج النبوي — على صاحبه أزرى التحيات والتسليمات — فإنه يسير في الكواكب السبعة كما سار النبي — صلى الله عليه وسلم — في السموات السبعة وفيها يلتقي بأشخاص مختلفين كما التقى النبي — صلى الله عليه وسلم — في عروجه، وتعرفه روح الرومي بالناس كما عرف جبريل عليه السلام النبي — صلى الله عليه وسلم — بساكني السموات، وفي نهاية المعراج تتركه روح الرومي كما يترك جبريل عليه السلام النبي — صلى الله عليه وسلم — ليتشرف بزيارة الله، ويقدم إقبال للجليل الجديد الفلسفة التي يجيء بها من وراء الأفلاك اتباعا لرسالة النبي — صلى الله عليه وسلم — بينما لا تزيد جولة المعري الخيالية على سير الجنة والجحيم.

٣٨— يجد قارئ المعري أصحاب الجنة يتخاصمون ويتشاجرون رغم أن كتاب الله يقول: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار﴾ (القرآن ٤٣/٧)

فإن المعري يصف المشاجرة التي تقع بين النابغة الجعدي (١١٢) وبين الأعشى في الجنة وهي تمثل شجارا عنيفا بين شخصيتين من أكبر شخصيات العرب إذ يقول الأعشى للجعدي " وإن بيتا مما بنيت ليعدل بمائة من بنائك! وإن

أسهبت في منطقتك فإن المسهب كحاطب الليل وإني لفي الجرثومة من ربيعة
الفرس وهل جعدة إلا رائدة ظليم نفور!

أتعيرني مدح الملوك يا جاهل: ولو قدرت على ذلك لهجرت إليه أهلك
وولدتك؟ ولكنك خلقت جباناً لا تدلج في الظلماء الداجية، ولا تهجر في الوديقة
الصاحدة.

فيجيبه الجعدي -مغضباً-:

"إسكت يا ضل بن ضل فأقسم إن دخولك الجنة من المنكرات، ولكن
الأقضية جرت كما شاء الله لحقك أن تكون في الدرك الأسفل من النار!
ولقد -صلى بها من هو خير منك!

ولو جاز الغلط على رب العزة، لقلت إنك قد غلط بك....

(ويش نابغة بني جعدة على أبي بصير، فيضربه بكور من ذهب" (١١٣)

٣٩- إن المعري ابتكر فكرة بأن الآثم الذي يواظب على ارتكاب إثم
خاص في الدنيا كمدمن الخمر، يدخل الجنة ولكن يحرم منها فهذا الأعشي
الشاعر الجاهلي الذي يلقاه ابن القارح في الجنة يخبره كيفية دخوله فيها:

"قد كنت أومن بالله والحساب، وأصدق بالبعث وأنا في الجاهلية الجهلاء
فذهب علي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله،
هذا أعشي قيس قد روي مدحه فيك وشهد أنك نبي مرسل فقال: هلا
جاء في الدار السابقة؟ فقال علي رضي الله عنه: قد جاء ولكن صدته
قريش وحبه للخمر، فشفع لي، فأدخلت الجنة على أن لا أشرب فيها خمراً
فقرت عيناي بذلك. وإن لي منادح في العسل وماء الحيوان، وكذلك من

لم يتب من الخمر في الدنيا لم يسقها في الآخرة. (١١٤)

٤٠- إن رسالة إقبال تحمل في طياتها غاية جادة وهدفاً سامياً وغرضاً نبيلاً
وهو إصلاح البشر وإيقاظ الأمة المسلمة من سباتها العميق بينما لا يريد مصنف
رسالة الغفران من كتابتها إلا السخرية، وحسبنا أن نقرأ خلاصة القصص الطويل،
الذي ساقه أبو العلاء بشأن دخول علي بن القارح في الجنة. قام هذا الرجل من
قبره يوم القيامة فلبث في الموقف مدة طويلة، حتى أعياه الحر والظمأ، وهو واثق
بدخول الجنة لأن معه صك التوبة، فلم يفهم معنى الانتظار ففكر في أن يخدع

سدنة الجنة بما كان يحدع به الناس في الدنيا من الشعر، فأنشد القصائد الطوال في مدح رضوان وأنشده إياها فلم يفهم منها شيئاً، لأنه لا يتكلم العربية فلما عيي على بن القارح بأمره سأله: ما بالك لم تحفل بقصائدي وقد كان يحفل بها ملوك الدنيا؟..... فلما صار إلى باب الجنة بعد جهد عنيف قال له رضوان: هل معك من جواز: فقال: لا، فقال: لا سبيل للدخول إلا به فعي بالأمر وعلى باب الجنة من داخل شجرة صفصاف فقال أعطني ورقة من هذه الصفافة، حتى أرجع إلى الموقف فأخذ عليها جوازا، فقال: لا أخرج شيئاً من الجنة إلا بإذن من العلي الأعلى (تقدس وتبارك). فلما ضجر بالنازلة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. لو أن للأمير أبي المرجي خازنا مثلك، ما وصلت أنا ولا غيري إلى درهم من خزانته....

فهذه الصور التي تمثلها هذه القصة الصغيرة تبين مقدار ما تشتمل عليه رسالة الغفران من السخرية الخفية وأمثالها كثير " (١١٥)

المحواسي والتعليقات

المرد بالاسرائيليات الأخبار التي دسها بنو إسرائيل (اليهود) في الأدب الديني الإسلامي.

زرتشت: اسمه "أسبناماتها"، وهو مؤسس الديانة المجوسية في إيران، توجد عقائده وتصوراته في كتاب "أوستا" اختلف في عصره، يقال أنه يمتد ما بين ستة آلاف سنة إلى ستمائة سنة قبل المسيح (للمزيد من التفصيل راجع: د، سيد عبد الله، متعلقات خطبات إقبال، إقبال أكاديمي باكستان، ١٩٧٧م، ص ١٠٣.

أرداويراف: كان من أكابر الديانة الزرتشتية، وكتبت قصة معراجه ما بين القرن العاشر والقرن الرابع عشر للميلاد، أو بين القرن الرابع والقرن الثامن الهجري. (للمزيد من التفصيل راجع: محمد رياض، جاويد نامه تحقيق وتوضيح، لاهور، ١٩٨٨، ص ٢١)

الحافظ ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م، ٣٥٤/٢—٣٦٤.

البسطامي: (م: ٢٦١ هـ ٨٧٤ م أو ٢٦٤هـ / ٨٧٧—٨٧٨م) هو أبو يزيد طيفور بن عيسي بن سروشان، وهو من أشهر المتصوفين الإسلاميين الكرام، اشتهر بلقب "البسطامي" نسبة إلى بلدة بسطام من ولاية قومس التي قضى فيها معظم حياته، (للمزيد من التفصيل راجع: مختصر أردو دائره معارف إسلامية، بنجاب يونيورستي لاهور، ص: ١٧٠، ١٧١، ود، سيد عبد الله، متعلقات خطبات إقبال، إقبال أكاديمي باكستان، ١٩٧٧م)

أحمد الغزالي (م: ٥٢٠هـ / ١١٢٦م): هو أحمد بن محمد، أخو المتصوف والداعية الشهير "محمد الغزالي"، (للمزيد من التفصيل راجع: نفس المرجع، ج ٤٧١/١٤/٢.

السنائي (م: ٥٤٥هـ) اسمه مجدود وكنيته أبو المجد، ولد بغزني سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م تقريبا، وهو صاحب ديوان شعر بالفارسية يقال إنه أول من نظم أسرار التصوف في الشعر كما بدأ قول الشعر المتضمن للأحلاق الفاضلة (للمزيد من التفصيل راجع: دائره المعارف الإسلامية الأردنية، ٣١٤/١١—٣١٧)

ابن طفيل: هو أبو بكر (وأبو جعفر) محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي، الفيلسوف الشهير، ولد سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠—١١٠١م تقريبا بوادي آش الواقع على بعد أربعين ميلا من غرناطة، واسم رسالته الشهيرة، حي بن يقظان" (للمزيد من التفصيل راجع: دائره المعارف الإسلامية الأردنية، ٥٨٠/١—٥٨٥)

ابن العربي (٥٦٠هـ/١١٦٥م — ٦٣٨هـ/١٢٤٠م): هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي المعروف بالشيخ الأكبر، الصوفي الشهير، (للمزيد من التفصيل راجع: اشرف علي التهانوي: تنبيه الظري في تنزيه ابن العربي تمانه بمون، ١٣٤٦هـ).

الجامي: (٨١٧هـ/١٤١٤م — ٨٩٨هـ/١٤٩٢م) هو نور الدين عبد الرحمن، شاعر الفارسية الشهير والمتصوف الكبير المعروف بلقب الجامي، نسبة إلى بلدة جام بخراسان التي ولد فيها، وكان رجلا متنوع الجهات، (للمزيد من التفصيل راجع: نفس المرجع، ٥٨/٧—٦٢).

دانتي: (١٢٦٥م — ١٣٢١م) الشاعر الإيطالي الكبير ومصنف الكتاب الشهير "The Divine Comedia" وكان عنوان كتابه في البداية: (The character of Dante Alighieri) أي كوميدية دانتي اليجيري الذي هو فلورنسي من حيث الولادة لا من حيث السيرة: ولكن أضاف إليه قارئه فيما بعد لقطعة: Divine تجليلا وتقديسا فاشتهر به وله ثلاثة أجزاء:

الأول: الجحيم،

الثاني: الأعراف،

الثالث: الجنة.

ابن القارح: هو علي أبو منصور بن القارح صديق المعري الذي كتب إليه الرسالة، وكان شديد الزندقة أو شديد الغفلة، وتدلنا رسالة الغفران على أن هذا الرجل كان معاقرا للخمر، متهالكا عليها حتى ألح عليه أبو العلاء في أن يتوب. (للمزيد من التفصيل راجع: د، طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف،

مصر، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م، ص ٢٣٦).

الأعشى: الشاعر الجاهلي الشهير الذي أراد أن يعتنق الإسلام، فنظم في مدح النبي — صلى الله عليه وسلم — الأبيات الشهيرة التالية:

ألا أيهذا السائلي أين يعمت
فإن لها في أهل يثرب موعدا
فأليت لا أرثي لها من كلاله
ولا من حفي حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم
تراحى وتلقى من فواضله ندا

ولكن صدته قريش في الطريق وهددته كما جمعت له مائة من الإبل، وطمع في ما بقي عنده من الخمر فرجع عن قصده ومات على الكفر، (للمزيد من التفصيل راجع: د، محمد التوبخي: الأعشى شاعر الجون والخمرة، بيروت، وأحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، كراتشي، (ل. ت) ص: ٤٤ — ٤٥)

زهير بن أبي سلمى: شاعر العصر الجاهلي وصاحب المعلقة، عده النقاد من الشعراء الثلاثة المفضلين على الآخرين وهم: النابغة وامرؤ القيس وزهير. قيل أنه لقي النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو ابن مائة سنة، ولكن الراجح أنه مات قبل ظهور النبي — صلى الله عليه وسلم — بزمن. (للمزيد من التفصيل انظر: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (تعريب: د، عبد الحلیم النجار) دار الكتب الإسلامي، ط: ٢، قم إيران، ج: ١).

عدي بن زيد: شاعر نصراني شهير، توفي سنة ١٠٢ هـ حسب قول ابن تغري بردي، بينما عده الآخرون معاصر الخلفاء الأربعة الأول. (للمزيد من التفصيل انظر: نفس المرجع، ١/١٢٦، ١٢٥)

النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية من بني ذبيان، شاعر الجاهلية الشهير، الذي اعترف بفضله ونبوغه شعراء عصره حتى قيل إنه كانت تنصب له خيمة في سوق عكاظ يجلس فيه، والشعراء كانوا يأتون ويقرأون أمامه شعرهم فيفضل بعضهم على الآخرين (للمزيد من التفصيل راجع: ايليا حاوي، النابغة سياسته

وفنه ونفسيته، بيروت، ١٩٧٠)

أبو علي الفارسي (م٣٧٧هـ): اسمه الحسن، ويكنى أبو علي، اشتهر في علم النحو وأقام مجلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة (للمزيد من التفصيل راجع: عبد الفتاح اسماعيل شليبي، أبو علي الفارسي، دار المطبوعات الحديثة، ط: ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م).

يزيد بن الحكم الكلبي: هو يزيد بن الحكم الثقفي، شاعر جاهلي من بني كلاب بن ربيعة بن صعصعة.

علي بن الحسين: هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزین العابدين، كان مثلاً في الحلم والورع، ولد بالمدينة وتوفي بها.

محمد بن علي: هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين ولقب بأبي جعفر الباقر، كان ناسكاً عابداً، ولد بالمدينة وتوفي خارجها سنة ١١٤ هـ فنقل جسده إليها ودفن بها.

زيد بن علي: هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أقام بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء رأس المعتزلة، واقتبس منه علم الاعتزال، وخرج على هشام بن عبد الملك سنة ١٢٠ هـ، فقتل سنة ١٢٢ هـ، وإليه تنسب الطائفة الزيدية" (نفس المرجع، ص: ٨١).

المراد بالإخوة أبناء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الذين انتقلوا إلى رحمة الله في طفولتهم.

حميد بن ثور الهلالي: شاعر إسلامي من بني صعصعة، وينسب إليه البيت الشهير الذي جرى المثل، وهو قوله:

ينام بإحدي مقلتيه، ويتقي
بأخرى الأعادي، فهو يقظان نائم

(للمزيد من التفصيل راجع: أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، بيروت،

١٤١٨ هـ/١٩٩٧ م، ٤/٥٠٠)

ليبد بن ربيعة العامري (م: ٤١ هـ): شاعر عربي شهير، عاش نحو ١٤٥

سنة، أكثرها في الجاهلية، وأسلم وهو في التسعين من عمره، وصحب النبي — صلى الله عليه وسلم — في هجرته إلى المدينة، يقال إنه هجر الشعر في الإسلام واستعاض عنه بقراءة القرآن، ومات في آخر خلافة معاوية بالكوفة سنة. (للمزيد من التفصيل راجع: أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص: ٥٣—٥٤)

الغريض (م: ٩٨هـ / ٧١٦ أو ٧١٧م): هو أبو يزيد أو أبو مروان عبد الملك، وكان أصدق أهل زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سريج (للمزيد من التفصيل راجع: أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ٥٧٣/٢—٦٠٢)

معبد (م: ١٢٦هـ / ٧٤٣م) هو أبو عباد معبد بن وهب، غني في أول دولة بني أمية وكان من أحسن الناس غناء وأجودهم صنعة وأحسنهم خلقاً، راحت سوقه بعد وفاة ابن سريج. (للمزيد من التفصيل راجع: أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، ٦١/١—٧٧).

ابن سريج: هو عبد الله ويكنى أبا يحيى مولي بني نوفل بن عبد مناف، مغني العصر الأموي، غني في زمن عثمان بن عفان، وكان أحسن الناس غناء في عصره، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك (للتفصيل راجع: نفس المرجع، ٢٠٦/١—٢٥٧).

إبراهيم الموصللي (م: ١٨٨هـ / ٨٠٤م): هو إبراهيم بن ماهان (أم ميمون) بن بجمن، كان من أشهر مغني العرب، ولد في كوفة سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م، مكث لمدة طويلة في الموصل، فاشتهر بالموصللي وتوفي في بغداد سنة _____ حسب رواية راجحة، وصلى عليه بالناس المامون. (للمزيد من التفصيل راجع: دائرة المعارف الإسلامية الأردنية، جامعه بنجاب، لاهور ١/٣٧٧).

إسحق بن إبراهيم (٢٣٥هـ / ٨٤٩ أو ٨٥٠م): هو أبو محمد إسحق بن إبراهيم بن ماهان (أم ميمون) بن بجمن، المغني الشهير للعصر العباسي وابن المغني الشهير إبراهيم الموصللي.. (للمزيد من التفصيل راجع: د، محمود أحمد الخفني، إسحاق الموصللي الموسيقار، المؤسسة المصرية العامة، مصر، (ل.ت)، وأبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ١٧٧/٥—٢٨٧).

الجرادتان.... فيما زعموا.... مغنيتان غنتا لوفد عاد الجرهمي، بمكة، فشغلوا عن الطواف بالمدينة، وسؤال الله فيما قصدوا له، فهلكت عاد وهم لاهون.

جران العود النميري: الجران مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره، والعود: البعير المسن وجران العود لقب هذا الشاعر، وإنما لقب بذلك لقوله في امرأته. وقد أغضبته:

خذا حذرا يا جارتني، فإنني
رأيت جران العود قد كان يصلح

يقرر الأدباء العرب أنه من الجاهليين (للمزيد من التفصيل راجع: بروكلمان،

تاريخ الأدب العربي، ١/١١٦)

عتبة بن أبي لهب: ابن عم رسول الله — صلى الله عليه وسلم، وزوج أحد بناته، والتي طلقت منه بعد الإسلام، من حديثه أن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال "اللهم سلط عليه كلبا من كلابك" فلما سافر عتبة بن أبي لهب إلى مصر جاءه وهو نائم بين رفقته، فدخل بينهم واختطفه من بينهم.

الخطيئة: هو جرول بن أوس، من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، فأسلم ثم ارتد، وكان مشتهرا بالعناد والنزوع إلى الشر (للمزيد من التفصيل راجع: ايليا حاوي، الخطيئة، بيروت، ١٩٧٠، وكتاب الأغاني، ٢/٤٣١—٤٦٢)

الخنساء: اسمها تماضر بنت عمرو بن شريد، صحابية الرسول والشاعرة الإسلامية الشهيرة، وفدت في قومها على النبي — صلى الله عليه وسلم — فأسلمت وأنشدته شعرها فأعجب به واستزادها. (للتفصيل راجع: د محمد جابر عبد العال الجبني، الخنساء شاعرة بني سليم، المؤسسة المصرية العامة، ل.ت.).

المراد بأهل القرية قوم لوط، كما قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾ وكذلك جاء في العنكبوت والأعراف والنمل ذكر القرية وأهلها في الحديث عن قوم لوط —

بشار بن برد (م: ١٦٦ هـ): يكنى أبا معاذ ويلقب بالمرعث، وهو فارسي من جهة الأب عربي من جهة الأم، وكان من فحول شعراء العصر العباسي، ولد أكمه ونشأ بالبصرة، وكانت عقيدته الدينية مزعزة، فأمر المهدي بقتله ضربا حتى مات. (للمزيد من التفصيل راجع: د، عمر فروخ: بشار بن برد، بيروت،

(١٣٦٣هـ).

امرؤ القيس الكندي: هو ابن حجر الكندي، ويكنى أبا الحارث أو أبا وهب، وكان يقال له الملك الضليل وقيل له أيضا ذو القروح يعده جمهور مؤرخي الآداب أفحل شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين، (للمزيد من التفصيل راجع: د، الطاهر أحمد مكّي، امرؤ القيس حياته وشعره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣ وكتاب الأغاني، ٥٥/٩—٦٣).

عنتر بن شداد العبسي: فارس وشاعر شهير، كان يرعى الإبل والحيل، ولكنه لم يلبث أن اشتهر بفروسيته، وكان من أشجع العرب، (للتفصيل راجع: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، كراتشي، (ل.ت) ص: ٤٥—٤٧).

علقمة الفحل (م: ٥٦١م): هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة التميمي، شاعر جاهلي لم يدرك الإسلام، وسمي الفحل لأنه خلف امرؤ القيس على زوجه بعد أن طلقها لتفضيلها علقمة عليه حين حكماها في أيهما أشعر.

عمرو بن كلثوم (م: ٥٨٤م): الشاعر الجاهلي الشهير وواحد من أصحاب المعلقات، (للتفصيل راجع: الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص ٥٠—٥١).

الحارث اليشكري (م: ٥٨٠م): قبيلته بكر وائل، اشتهر بين العراق، كان أبرص، وقد اشتهر بمعلقته الرائعة،

طرفة بن العبد (م: سنة ٥٥٠م) هو عمرو وطرفة لقب غلب عليه، شاعر جاهلي، سمي ابن العشرين لوفاته صغيرا، فقد مات في السادسة والعشرين من عمره.

أوس بن حجر: هو أوس بن حجر بن عتاب، شاعر جاهلي، كان فحل مضر، حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه، اشتهر بالحض على مكارم الأخلاق، كما اشتهر بوصف الخمر والسلاح ولا سيما القوس.

أبو كبير الهذلي: هو عامر بن الحليس من شعراء هذيل (للمزيد من التفصيل راجع: عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، بولاق، ١٢٧٧هـ، ٤٦٦/٣—٤٧٧، و ٤/١٦٥—١٦٧).

الأخطل (م: ٩٢هـ): هو غياث بن غيث بن الصلت، شاعر أموي نصراني

شهير لم يعتنق الإسلام.

مهلهل بن ربيعة: هو عدي بن ربيعة التغلبي، الشاعر الجاهلي الشهير، المؤرخون يقولون فيه أنه أول من طول القصائد وأنه أحد من غنى من العرب في شعره.

الشنفري (م: ٥٤٠م): هو ثابت أو عمرو بن مالك ابن أوس الأزدي، شاعر العصر الجاهلي ولقب بالشنفري، لأنه كان عظيم الشفتين، وهو شاعر الأزدي من أشهر عدائي العرب (للمزيد من التفصيل راجع: أبو الفرج الأصفهاني، 'كتاب الأغاني' دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٩٩٧م، ١١٨/٢١ — ١٢٨).

تأبط شرا (م: ٥٩٠م): شاعر جاهلي، كان من أشهر عدائي العرب وأشدهم كيدا. (لمزيد من التفصيل راجع: نفس المرجع، ١١٥ — ٨٦/٢١).

أصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات، ومن ذلك قولهم: ناقة رجزاء. ومن هذا رجز الشعر، لأنه أقصر أبيات الشعر والانتقال من بيت إلى بيت سريع، وقد اختلف في الرجز ف قيل: هو شعر ابتداء أجزائه سببان ثم وتد. وقيل: كل ما كان على ثلاثة أجزاء، وقيل: كل شعر تركب تركيب الرجز، والرجز بحر من بحور الشعر. (للمزيد من التفصيل راجع: محمد سليم الجندي: الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره، دمشق، ١٩٦٢، ٩١٨/٢).

رؤبة بن العجاج (م: ١٤٥هـ): هو رؤبة بن عبد الله البصري التميمي وكنيته أبو محمد، اشتهر بالرجز وترك ديوانا ليس فيه إلا أراجيز.

أبو نواس (١٤٥هـ - ١٩٩هـ): أحد الشعراء المولدين، واسمه الكامل "حسن بن هاني بن عبد الأول ولكن اشتهر بكنيته (راجع للتفصيل: أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي (أردو) لاهور، ل.ت، ٣٧٦/١).

المتنبي (م: ٣٠٣هـ - ٣٥٤هـ): هو أبو الطيب أحمد بن الحسين، ولد في الكوفة واشتهر بلقب المتنبي لأنه كان قد ادعى النبوة على ما اشتهر وهو من أشهر شعراء العصر العباسي. (للتفصيل راجع: يوسف البديعي، الصبح المتنبي عن حيثية المتنبي، تحقيق: مصطفى السقاء محمد شتا، عبده زياده عبده، دار

المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م)

ابن الراوندي (م: ٢٤٥هـ) اسمه أحمد بن يحيى بن إسحق الراوندي، كنيته أبو الحسين، وهو ينسب إلى "راوند" إحدى قرى أصبهان، مات في سن الأربعين.

الحلاج (م: ٣٠٩هـ): هو حسين بن منصور الحلاج صاحب القول الشهير "أنا الحق" ويحمل لكتابه الطواسين أهمية كبيرة في التصوف والذي تأثر به إقبال كثيرا، ومن كتبه: كتاب الطواسين، وأخبار الحلاج، وديوان الحلاج. (راجع لأخباره: ميثال فريد غريب، الحلاج أو وضوء الدم، ط: ١، بيروت، ل.ت.).

ابن الرومي (٢٢١هـ - ٢٨٤هـ): هو أبو الحسن علي بن جرجيس (وحسب رأي الدكتور عمر فروخ هو علي بن العباس بن جريج)، للمزيد من التفصيل راجع: د، عمر فروخ، ابن الرومي، بيروت، ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م).

حبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) (م: ٢٣١هـ أو ٢٢٨ أو ٢٢٩ أو ٢٣٦هـ): الشاعر العباسي الشهير.

د. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥، ص: ٢٧٦.

جلال الدين الرومي (م: ٦٠٤هـ - ٦٧٢هـ): المتصوف الكبير وداعية الإسلام الشهير وشاعر الفارسية المرموق الذي اتخذ إقبال رائده ومرشده المعنوي في معراجه. (للتفصيل راجع: محمد رياض، جاويد، جاوند نامة تحقيق وتوضيح، ص: ٥٣). وكان قد قال في مثنويه: "مثنوي راجعت أن نكفته ام كه حمائل كنند وتكرار كنند بلکه زيربا نهند وبلائی آسمان روند که مثنوي نردبان معراج حقائق است" (ما كتبت هذا المثنوي كي يجعله الناس عقود أعناقهم بل كي يضعوه تحت أقدامهم ويعرجوا بمساعدته إلى السماء لأنه بمنزلة سلم لحقائق المعراج. وكان إقبال متأثرا جدا بتعاليم الشيخ جلال الدين الرومي فجعله مرشدا له في رحلته هذه ممثلا لأمره ذلك. (للتفصيل راجع: د: السيد محمد عبد الله، مطالعة أدبي كي تاريخ مين إقبال كا مقام، ماه نو، إقبال نمبر ١٩٧٧م ضمن كتاب "عكس جاويد")

محمد إقبال، جاويد نامه، ص: ١٨.

زنده رود: لقب الرومي إقبال بـ "زنده رود" على فلك العطار، ومعنى زنده رود: النهر الحي، يقال إن نхра بعينه بهذا الاسم يوجد في بلدة أصفهان بإيران، والميزة التي تميزها عن الأنهار الأخرى هي أنه لا يحصل ماءه إلا من عيونته الذاتية ولا يحصل إلى بحر بل ينقسم إلى قنوات صغيرة ويسقي الأرض وينتهي فاستعار إقبال هذا اللقب لنفسه متأثراً بهذه الميزة (نقلاً عن الأستاذ الدكتور أكرم شاه رئيس قسم "إقباليات" بجامعة بنجاب في حوارله) بينما قال الآخرون إن هذا الرأي لا يمت إلى الموضوع بصلة (للتفصيل راجع: د محمد رياض جاويد نامه تحقيق وتوضيح، لاهور)

زروان: ملك السماء والأرض بناء على روايات ديانة زرتشت، وله وجهان أحدهما المظلم والثاني المضيء وهو يهتم بأمور الزمان والمكان.

هذا إشارة إلى الحديث القدسي المبارك: "لي مع الله وقت لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب"

جهان دوست: المراد به "وشوامتر" الذي كان صديق الملك رام جندر وأستاذه، وكان نابعة عصره.

طواسين: جمع طس من حروف القرآن المقطعة التي لا يعلم كنهها إلا الله وأراد بها إقبال هناك الأسرار والرموز.

كوتم بده: إسمه سدهارتا، وعصره أيضا مختلف فيه، يقال إنه كان سبع مائة أو ستمائة سنة قبل المسيح، كان أيضا نبيا ويقال أنه مراد بـ "ذي الكفل" الذي ذكره القرآن في هذه الآية المباركة: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ يوجد متبعوه في بلخ وكشمير وبهار وهند وياپان وغيرها.

زن رقاصه (المرأة الراقصة): هي تلك المرأة التي سعت إلى إغواء كوتم بده بجسدها ولكنها فشلت، وأخيرا تابت على يده.

أهرمن: نائب إبليس في ديانة زرتشت.

طالسطائي (م: ١٩١٠م): هو Leo Nikolyenich Tolstoy، فلسفي روس والروائي الشهير (للتفصيل راجع: ظهير أحمد صديقي، عكس جاويد منظوم ترجمه مع مقدمه وحواشي، لاهور، ١٩٩٣م).

إقبال، جاويد نامہ: ص ۵۵—۵۶.

جمال الدين الأفغاني (م: ۱۸۹۷م): أحد دعاة الوحدة الإسلامية الذي بذل جهوداً مضنية لإيقاظ الأمة الإسلامية، ولد سنة ۱۸۳۸م، دفن أولاً في استنبول ونقل جسده بعدئذ إلى كابل (إفغانستان) سنة ۱۹۴۴م. (للمزيد من التفصيل راجع: محمد رياض: جاويد نامہ تحقیق وتوضیح، لاهور، ۱۹۸۸م، ص: ۵۲).

سعيد حليم باشا (۱۹۲۱م): هو حفيد محمد علي باشا ورئيس حركة "إصلاح الدين" التركية، تولى منصب وزارة الخارجية سنة ۱۹۱۱م ورئاسة الوزراء منذ سنة ۱۹۱۳م وحتى ۱۹۱۶م، قتل في الروم (للمزيد من التفصيل راجع: د. سيد عبد الله، متعلقات خطبات إقبال، إقبال أكاديمي باكستان، ۱۹۷۷، ص ۱۰۶).

إقبال: جاويد نامہ: ۶۴.

يشير إلى كارل ماركس الذي ولد سنة ۱۸۱۸م في المانيا وحصل على الدكتوراة في الفلسفة، وكان متأثراً جداً بـ "هيكل"، وهو الذي أحيا الاشتراكية من جديد على الأسس العلمية في القرن التاسع عشر ونظريته "الاشتراكية" مبنية على المساواة، (للمزيد من التفصيل راجع، ظهير أحمد صديقي، عكس جاويد، ص: ۲۳۳)

إقبال: جاويد نامہ: ۶۵.

مصطفى كمال باشا (۱۹۳۰م): ولد سنة ۱۸۷۸م وعمل بالجيش سنة ۱۹۰۵م وعندما صحبت تركيا ألمانيا ضد الانجليز في الحرب العالمية الأولى قاتل قتالاً شديداً تحت قيادة الملك أنور باشا، ولكنها انهزمت فقسمتها الافواج الاتحادية فيما بينها إلا أنه فاز في تحرير مناطقه من أيدي الانجليز، فأعلن بحكومته كما أنه جعل التركية الجديدة علمانية وغير الخط العربي بالخط اللاطيني.

إقبال: جاويد نامہ: ۶۶.

فرعون: كان لقب الملوك في عصر الفراعنة، والمراد به هناك الملك الذي يسمى برمسيس الثاني ومعاصر النبي موسى عليه الصلاة والسلام، والذي يوجد جسده في المتحف المصري بالقاهرة وهو المراد في هذه الآية: ﴿وجاوزنا ببني

اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون.... من المسلمين

لارد كجنر (١٩١٦م): ولد سنة ١٨٥٠م ونال شهادة الدكتوراة نصب فيلد مارشل من قبل الإنجليز، غرق في البحر.

المهدي السوداني: هو محمد أحمد بن عبد الله، ولد سنة ١٨٤٣م، كان رجلا مجاهدا رفع علم الجهاد في مصر وسودان، وطبق الشريعة الإسلامية في الخرطوم ونواحيها. وفي سنة ١٩٩٨م عند ما فتح لارد كجنر الخرطوم، أول عمل قام به هو حفر قبره وأخرج جسده منه وأغرقه في النهر.

إقبال: جاويد نامه: ٩٧—٩٨.

الحكيم المريخي: شخصية حكيمة اخترعها ذهن الشاعر.

إقبال: جاويد نامه: ١٠٧.

إقبال: كليات إقبال اردو، شيخ غلام علي ايند سنز، ط: ٣، لاهور. (ضرب كلیم) ص ١٤٦.

غالب (١٨٦٩م): اسمه مرزا أسد الله خان غالب، وهو من أشهر شعراء اللغة الأردنية وقد نظم شعرا في الفارسية كذلك، ولد سنة ١٧٩٧م.

قرة العين طاهرة: اسمها زرين تاج أم سلمة واشتهرت باسم قرة العين طاهرة، كانت من متبعي مذهب "بايي" انها قد فضلت السجن والقتل على أن تكون زوجة الملك ناصر الدين (١٨٤٨م إلى ١٨٩٦م).

جعفر (١٧٦٥م): المخادع الشهير الذي بسبب خداعه هزم لارد كلايف (Clive) سراج الدولة والي الميسور في الحرب بلاسي (Plassey) سنة ١٧٥٧م، للمزيد من التفصيل راجع: محمد رياض، جاويد نامه تحقيق وتوضيح، ص: ٢٥).

صادق الغادر الشهير، كان رئيس جيوش الملك تيبو، وبسبب غدره قتل الملك المذكور سنة ١٨٩٩م (للمزيد من التفصيل راجع: نفس المرجع، ص: ٤٥).

نطشي (١٩٠٠م): هو فريدرك ويلهلم نيطشى الفيلسفي الالماني الشهير الذي ولد سنة ١٨٤٤م، (للتفصيل راجع: د. سيد عبد الله، متعلقات خطبات إقبال، ص ١٤٠—١٤١).

شرف النساء بيكم: كان والدها زكريا خان وجدها حاكما بنجاب، وهي دائما كانت تحمل المصحف والسيف معها وأوصت بدفنهما معها بعد وفاتها فدفنا بها.

السيد علي الهمداني (١٣٨٥هـ/١٣٨٥م): هذا الداعية العظيم يلقب بلقب "على الثاني وحواري كشمير" أيضا، ولد سنة ١٣١٤م/٧١٤هـ في همدان وحصل على العلوم الباطنية من خاله ثم ساح في البلاد الإسلامية، وفي سنة ٧٧٤هـ جاء إلى كشمير مع أصحابه لتبليغ الإسلام، وفي سنة ٧٧٤هـ/١٣٨٥م قصد الذهاب إلى تركمانستان ولكن مات في الطريق. (للمزيد من التفصيل أنظروا: ظهير أحمد صديقي، عكس جاويد ص: ٢٥٨).

ملا طاهر غني الكاشميري (١٠٧٢هـ/١٦٦١م): شاعر عصر شاهجهان ومعاصر كليم وصائب.

برتري هري: شاعر اللغة السنسكريتية العظيم والمتمهر في الفلسفة والموسيقى والتصوير وعصره القرن الأول قبل المسيح تقريبا، كان ملك أجين، ولكن الملك بعد حين، فالبيت الشهير للشاعر إقبال:

بھول کي بتي سی کت سکتا ہی ہیری کا جکر
مرد نادان بر کلام نرم ونازک بی اثر
"من الممكن ثقب الماسة بزهرة ناعمة ولكن ليس من الممكن أن تؤثر
الكلمة اللينة في قلب غبي أحقق"

هو ترجمة قطعه الشعرية (للمزيد من التفصيل راجع: سيد صمد حسين الرضوي، إقبال اور بھرتري هري مجلة "اردو" ١٩٧٧ العدد،: ٤.

نادر شاه أفاشار (م: ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م): أحد الملوك الإيرانيين الذي نهب دهلي في ١١٥١هـ/١٧٣٨م، كما أنه سعى للتوحيد بين الشيعة (الروافض) وأهل السنة أيضا. (للمزيد من التفصيل راجع: دائره المعارف الإسلامية الأردنية، جامعه بنجاب، لاهور، ٢٢/١٥-٢٦)

أحمد شاه الأبدالي (١٧٧٣م): مؤسس أفغانستان، كان في جيش نادر شاه بعد قتله توج أحمد شاه على الأفغان وكان عمره آنذاك ٢٤-٢٥ سنة ففصل

افغانستان من المناطق الأخرى وأعلن بتحررها. وفي سنة ١٧٦١م اقتلع الأبدالي في معركة بائي بت المرهته (مرهته) الذين كانوا رمزا لقوة الهنود المتزايدة يوما بعد يوم، ودفن بقندهار (للمزيد من التفصيل راجع: محمد حيات الله خان، جهات أفغاني، لاهور، ١٨٦٥م).

سلطان تيبو (١٧٩٩م): ملك ميسور، ولد سنة ١٧٥٠م، كان متمهرا في فنون الحرب، وبذل قصارى جهده لتحرير شبه القارة من أيدي الإنجليز، قتل بسبب غدر رئيس جيوشه مير صادق. (للتفصيل راجع: محمود شاه بنغلوري، تاريخ سلطنة خداداد ١٩٣٤م. وسيد أمجد علي، سوانح حيدر علي سلطان، ١٩٢٠)

محمد إقبال، جاويد نامه، ص ١٣٧—١٣٨.

أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، ص: ١٣٦)

محمد إقبال، جاويد نامه، ص ١٨—١٩.

عبيد بن الأبرص الأسدي (٥٥٥م): قبيلته مضر، وهو من بني أسد، عمر طويلا حتى قتله المنذر وهو من أصحاب المعلقات ومن شعره:

من	يسأل	الناس	يجرمونه
وسائل	الله	لا	يخيّب

أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، ص ٣١)

إقبال، جاويد نامه، ص ١٨٧.

وهما آدم ومحمد عليهما السلام.

أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، ١٨٥.

"Islam and the Divine Comedy. H Sunderland لندن، ١٩٢٦).

د. محمد رياض، جاويد نامه تحقيق وتوضيح، ص: ٣١.

إقبال، كليات إقبال اردو، شيخ غلام علي ايند سنز، ط" ٣، لاهور (بال جبريل) ص: ١٥٦—١٥٧.

يريد بها كتاب المعري الشهير: اللزوميات

كامل كيلاني، على هامش الغفران، ص: ٦.

أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، ص: ١١—١٢.

د. طه حسين، إقبال وأبو العلاء المعري مقال ضمن كتاب "إقبال العرب على دراسات إقبال" للدكتور ظهور أحمد اظهر، المكتبة العلمية، لاهور، ١٩٧٧، ص: ٣٧—٣٨.

سليم جشتي، شرح جاويد نامه، ص: ٨٣.

النابعة الجعدي: هو أبو ليلى حسان بن قيس من بني عامر بن صعصعة، شاعر مخضرم وكان في جاهليته مقل لبيد يتغني بمفاخر قومه وانتصاراتهم في حروبهم ويهجو خصومهم، أدرك الإسلام فوفد على النبي، وحسن إسلامه، وكانت وفاته في اصفهان سنة ٦٥هـ في أو اخر خلافة مروان بن الحكم أو في مطلع خلافة عبد الملك، وقد كف بصره وزادت على مائة.

أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، ص: ٤٥، ٥٥، ٥٦).

نفس المرجع، ص: ٢٧).

د. طه حسين، تجديد ذكري أبي العلاء، دار المعارف، مصر، ص: ٢٣٦—

٢٣٨.

المصادر والمراجع

١. أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، القاهرة، ١٩٣٨.
٢. أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧/١٤١٨.
٣. أحسن عبد الشكور، إقبال كي فارسي شاعري كا تنقيدي جائزه، إقبال أكادمي، لاهور، ١٩٧٧م.
٤. أحمد تيمور باشا، أبو العلاء المعري نسبه، شعره ومعتقده، القاهرة، ١٣٥٩هـ.
٥. أحمد ضياء الدين، إقبال كا فن اور فلسفه، بزم إقبال، لاهور، ٢٠٠١م.

٦. د. أحمد معوض، محمد إقبال حياته وآثاره، الهيئة المصرية العامة، مصر، ١٩٨٠م.
٧. أكبر علي الشيخ، إقبال كي شاعري اور بيغام، كمال بيلشرز، لاهور ١٩٤٦م.
٨. إقبال، جاويد نامہ، مترجم رفيق خاور، لاهور، ١٩٧٦م.
٩. حميد احمد خان، إقبال كي شخصيت اور شاعري، بزم إقبال، لاهور، ١٩٧٤م.
١٠. د. خليفه عبد الحكيم، فكر إقبال، بزم إقبال، لاهور، ١٩٥٧م.
١١. د. خواجه حميد يزداني، مطالب كلام إقبال فارسي، شيخ غلام علي ايند سنز، لاهور، ١٩٩٩م.
١٢. صبغة الله بختياري، شرح جاويد نامہ، لاهور، ل.ت.
١٣. صديق جاويد، فكر إقبال كا عمراي مطالعہ، إقبال أكاديمي، لاهور، ١٩٩٦م.
١٤. د. طه حسين، ذكرى أبي العلاء، مكتبة الهلال، مصر، ١٩٢٢م.
١٥. ظهير أحمد صديقي، عكس جاويد منظوم ترجمه مع مقدمة وحواشي، لاهور، ١٩٩٣م.
١٦. د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، أبو العلاء المعري، المؤسسة المصرية العامة، مصر ل.ت.
١٧. عبد السلام الندوي، إقبال كامل، كامران ببلي كيشنز، ١٩٨٨م.
١٨. عبد العزيز الميمني الراجكوتي، أبو العلاء وما إليه، قاهرة، ١٣٢٨هـ.
١٩. عبيد الله قدسي، مناجات جاويد نامہ، إقبال أكاديمي، باكستان، ١٩٨٥م.
٢٠. د. عمر فروخ، حكيم المعرة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٤٨م.
٢١. لجنة من الأساتذة تحت إشراف الدكتور طه حسين: تعريف القدماء بأبي العلاء، القاهرة، ١٣٨٤/١٩٦٥م.
٢٢. محمد رياض جاويد نامہ تحقيق وتوضيح، لاهور، ١٩٨٨م.
٢٣. محمد سليم الجندي، الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره، (جزءان) دمشق، ١٣٧٢هـ/١٩٦٢م.
٢٤. محمد فرمان، إقبال اور تصوف، بزم إقبال، لاهور، ١٩٨٥م.

العروج المساوي بين إقبال والمعري

٢٥. نجيب الكيلاني، إقبال الشاعر الثائر، الدار العلمية، ١٣٩١ هـ
١٩٧١ م.

٢٦. يوسف سليم جشتي، شرح جاويد نامه، عشرت بيلشك هاؤس،
لاهور ١٩٥٦ م.

إقبال والقائد الأعظم وباكستان

للدكتور حازم محمد أحمد محفوظ

جمعت بين العلامة محمد إقبال والقائد الأعظم محمد علي جناح -رحمة الله عليهما- علاقات وثقى بنيت على أساس من الدين الحنيف ووحدة الهدف، فكل منهما قاد مسيرة نضال أهل لا إله إلا الله في شبه قارة جنوب آسيا ضد أعداء الدين من الهندوس والإنجليز.^١

لقد رأى العلامة محمد إقبال في القائد الأعظم محمد علي جناح رمز طموح كل المسلمين في شبه قارة جنوب آسيا والقائد الأوحى الذى يستطيع أن يقودهم لتحقيق هدفهم المنشود وهو تشييد وطن خاص للمسلمين كى يتمكنوا من إقامة شعائر دينهم الحنيف فى حرية تامة.^٢

يقول العلامة محمد إقبال فى رسالة باسم القائد الأعظم محمد علي جناح مؤرخة فى الحادى والعشرين من شهر يونيو من عام ١٩٣٧ للميلاد^٣: "إننى على يقين تام من أن محمد علي جناح سيقود الأمة المسلمة فى شبه قارة جنوب آسيا لتحقيق هدفها المنشود وهو قيام باكستان". وأوصى وجوه القوم وأصحاب الفكر من المسلمين بأن يلتفتوا حوله ويسيروا فى خطاه مؤازرين مؤيدين.

ففى رسائل إقبال باسم القائد الأعظم محمد على جناح — وتبلغ خمس عشرة رسالة بدأها فى الثالث والعشرين من شهر مايو من عام ١٩٣٦ للميلاد وحتى العاشر من شهر نوفمبر من عام ١٩٣٧ للميلاد^٤ — عبر العلامة محمد إقبال فيها عن عظيم تقديره للقائد الأعظم محمد على جناح وحفزه لمواصلة النضال من أجل باكستان ودحر مزاعم قادة الهندوس والإنجليز يقول العلامة محمد إقبال فى رسالة كتبها فى الثامن والعشرين من شهر مايو عام ١٩٣٧ للميلاد: " إن مظالم الهندوس تزداد ضد كل المسلمين، وإن جواهر لال نهرو من الملحدن الشيوعيين، ولو لم تحل مشكلة كل المسلمين فى شبه قارة جنوب آسيا لصار حالنا كحال شعبنا المناضل فى فلسطين"^٥.

وفى رسالة أخرى مؤرخة فى الحادى والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٣٧ للميلاد يقول^٦: "قال غاندى — رئيس حزب المؤتمر الهندى — لا يمكن أن يكون للمسلمين وجود على الساحة السياسية فى شبه قارة جنوب آسيا... لذا أرى أنه لا يمكن أن يكون فى شبه قارة جنوب آسيا اتحاد بين المسلمين والهندوس فى دولة واحدة. ومن ثم فإن تقسيم شبه قارة جنوب آسيا هو الحل الأوحده".

ورغب العلامة إقبال فى نشر رسائله التى كتبها باسم القائد الأعظم محمد على جناح فى جميع الصحف غير أنه تريس، وعن سبب هذا يقول العلامة محمد إقبال فى رسالة إلى القائد الأعظم محمد على جناح مؤرخة فى الثامن والعشرين من شهر مايو عام ١٩٣٧ للميلاد: "إننى أرغب فى نشر رسائلى التى أكتبها إليكم فى كل الصحف كى يطلع العالم أجمع على ما يوقعه الهندوس من مظالم شداد بالمسلمين، غير أننى أرى أن الوقت غير مناسب لأننى أخشى أن يؤثر هذا العمل على مسيرة قيام باكستان".

ومن المعلوم أن إقبالاً فى طليعة من قرروا قيام دولة باكستان فحدد معالمها ووضع اسمها. ولقد أعلن العلامة إقبال عن رأيه بعدما ظهر للمسلمين أن الهندوس يريدون بأكثريةهم أن يسحقوا المسلمين وأن يححو كل أثر لشخصيتهم وكيانهم.^٨

فكان العلامة محمد إقبال على علم بما يدور بأذهان الهندوس وبما يجول فى نفوسهم، ورأى أن المسلمين والهندوس لا يمكن أن يسيروا فى قافلة واحدة، وأن

المشكلة لن تحل إلا بتقسيم شبه قارة جنوب آسيا، نظراً للاختلافات البينة بين المسلمين والهندوس... فقام في المؤتمر السنوى للرابطة الإسلامية^٩ في ديسمبر من عام ١٩٣٠ للميلاد بمدينة إله آباد - وهو المؤتمر الذى ترأسه العلامة محمد إقبال - وخطب خطبة عصماء^{١٠} أعلن فيها عن وجوب قيام وطن خاص للمسلمين فى شبه قارة جنوب آسيا وذلك فى الولايات التى يسكنها أغلبية من المسلمين وهى السند والبنجاب وبلوچستان وأقليم الحدود وكشمير والبنغال.^{١١}

وظل العلامة محمد إقبال يواصل الجهاد من أجل إقامة باكستان، إلى أن رحل عن عالمنا فى الحادى والعشرين من شهر إبريل عام ١٩٣٨ للميلاد، فعناه القائد الأعظم محمد على جناح بقوله:^{١٢} "كان محمد إقبال صديقاً ومرشداً وفيلسوفاً لى، وفى أصعب المراحل التى مرت بالرابطة الإسلامية لم يتزلزل بل كان قوى الإيمان ثابتاً كالجبل. وإن ما بذله من أجل أمته المسلمة ووطنه، يجعله فى طليعة أكابر عظماء شبه قارة جنوب آسيا. وكان شاعراً لا يدانيه أحد، ولو حيت حتى رأيت للمسلمين دولة فى شبه قارة جنوب آسيا فخبرت بين الرئاسة فى الدولة المسلمة وبين مؤلفات العلامة محمد إقبال لم أتردد قط فى اختيار الثانية. وإن وفاته لخسارة عظيمة لشبه قارة جنوب آسيا عامة وللمسلمين خاصة".

وبعد مرور عشر سنوات على إعلان العلامة محمد إقبال لرأيه الخاص بإقامة وطن مستقل للمسلمين، وفى الثلاثين من شهر مارس عام ١٩٤٠ للميلاد، تبنت الرابطة الإسلامية رأى العلامة محمد إقبال وذلك فى المؤتمر التاريخى الذى عقده فى مدينة لاهور، فصدر قرار لاهور التاريخى الذى نادى بوجوب قيام وطن خاص للمسلمين فى شبه قارة جنوب آسيا^{١٣}.

وأخذ القائد الأعظم محمد على جناح على عاتقه الجهاد من أجل قيام باكستان. وبعد سبع سنوات من الجهاد المتواصل ضد الهندوس والإنجليز أعلن فى الرابع عشر من شهر أغسطس عام ١٩٤٧ للميلاد مولد جمهورية باكستان الإسلامية، تلك الدولة الوحيدة التى شُيدت على أساس من الدين الحنيف، فتحقق حلم العلامة محمد إقبال، وإن لم يقدر له أن يرى باكستان دولة ذات سيادة.

ويروى التاريخ أن أكثر من خمسة ملايين من المسلمين سقطوا شهداء فى

مسيرة النضال من أجل قيام باكستان، وعلى الأخص في تلك المذابح التي أرتكبتها جحافل الهندوس عقب إعلان مولد جمهورية باكستان الإسلامية. وكان هدفهم من تلك المذابح التي لم يشهد التاريخ الإنساني مثيلاً لها، أن يقضوا على الدولة الوليدة، إلا أن عزيمة حاكمها العام الأول القائد الأعظم محمد علي جناح حالت دون تحقيق هدفهم، وقاد الدولة الوليدة — التي تعد أكبر دولة إسلامية في تلك الفترة — في أصعب مرحلة إلى أن عبر بها بر الأمان، وصارت مرهوبة الجانب.^{١٤}

ولجى القائد الأعظم محمد علي جناح نداء ربه في الحادى عشر من شهر سبتمبر من عام ١٩٤٨ للميلاد^{١٥} بعد أن كرس حياته لخدمة وطنه فى ظروف قاسية.^{١٦}

إن ما حققته باكستان اليوم من قوة نووية إسلامية — هى الأولى فى عالمنا الإسلامى الكبير — يعود دون أدنى ريب إلى فضل العلامة محمد إقبال والقائد الأعظم محمد علي جناح، وكل من ناصرهما فى مسيرة نضال شعبنا المسلم فى شبه قارة جنوب آسيا. والمأمول أن تحذو الدول الإسلامية حذو جمهورية باكستان الإسلامية من أجل مستقبل أفضل لأمتنا.

لقد خلدت باكستان ذكرى العلامة محمد إقبال بأن جعلت منه الشاعر القومى لها. كما شيدت أكاديمية عظيمة تحمل اسمه تختص بدراسات إقبال باللغات العالمية الحية.^{١٧} وإلى جانب هذا شيدت كثير من الأقسام العلمية لدراسات إقبال فى أكبر جامعات باكستان.^{١٨} وتحتفل باكستان حكومة وشعباً بإحياء ذكره فى التاسع من نوفمبر من كل عام ويسمى يوم إقبال. فيعد يوم ميلاده من الأعياد القومية فى جمهورية باكستان الإسلامية.

وأجد من المناسب للمقام أن ألقى على سيادتكم النشيد الإسلامى الذى نظمته العلامة محمد إقبال وصاغه شعراً باللغة العربية الشيخ العلامة الصاوى على شعلان.^{١٩}

الصين	لنا	والعرب	لنا
والهند	لنا	والكل	لنا
أضحى	الإسلام	لنا	ديناً

وطنيّ	لنا	الكون	وجميع
نور	لنا	الله	توحيد
سكننا	له	الروح	أعددنا
تمحى	ولا	يزول	الكون
سؤددنا	صحائف	الدّهر	فى
معايها	الأرض	فى	بنيت
كعبتنا	الأول		والبيت
نحفظه	بيت	أول	هو
ويحفظنا	الروح		بجياة
تربيتنا	السيف	ظلّ	فى
لدولتنا	العزّ		وبنينا
الأيّام	على	الإسلام	علم
لدولتنا	المجد	شعار	م
لنا	يضيء	النصر	بملال
سطوتنا	خنجر		ويمثّل
له	كان	المسلم	وأذان
همّتنا	من	الغرب	فى
لقد	الكون	لسماء	قولوا
برفعتنا	النجم		طاولنا
على	جرّبت	دهر	يا
عزمتنا	الشدة		نيران
يغرق	لم	الباطل	طوفان
قوتنا	سفينة	الخوف	فى
أندلس	حدائق	ظل	يا
عشرتنا	مغاني		أنسيت
أوكار	أغصانك		وعلى
نشأتنا	بطلائع		عمرت
على	سجلت	هل	يا
عزتنا	مآثر		شطّيتك

أمواجك	تروی	للدنيا
وتعيد	جواهر	سيرتنا
يا أرض	النور	الحرمة
ويا	ميلاد	شريعتنا
روض	الإسلام	ودوحته
فى أرضك	رؤاها	دمنا
و محمد	كان	الرك
ب يقود	الفوز	لنصرتنا
ان اسم	محمد	الهادي
روح	الآمال	لنهضتنا
دوّت	أنشودة	"إقبال"
جرساً	يحدو	الزّما
ليعيد	قوافلنا	الأولى
فى	المجد	ويبعث
		أمتنا

تحية للعلامة محمد إقبال، وتحية للقائد الأعظم محمد على جناح، وتحية لجمهورية باكستان الإسلامية.

١ للتفصيل انظر: أحمد سعيد (بروفيسر)، إقبال اور قائد أعظم، ط ٢، إقبال اكادemy باكستان، لاهور، ١٩٨٩ م، ص ٥٣ : ٦١.

٢ للتفصيل انظر: راجا رشيد محمود، إقبال - قائد اعظم اور باكستان، ط ١، نذير ستر بيلشرز، لاهور، ١٩٨٧ م، ص ١١٣ : ١٢٢.

٣ إقبال كے خطوط جناح كے نام، ترجمہ وترتيب: محمد جهانكير عالم، يونيورسل بوكس، اردو بازار، لاهور، ١٩٩٤ م، ص ٥٢.

٤ قام الأديب غلام رسول خان نيابة عن العلامة محمد إقبال بكتابة ثلاث رسائل أخرى بأسم القائد الأعظم محمد على جناح، مؤرخه في ٨ من نوفمبر من عام ١٩٣٧ م و ١٧ من فبراير من عام ١٩٣٨ م و ٧ من مارس للعام ١٩٣٨ م. للتفصيل انظر:

- ۵ إقبال کے خطوط جناح کے نام، ترجمہ و ترتیب: محمد جہانگیر عالم، یونیورسل بوکس، اردو بازار، لاہور، ۱۹۹۴م، ص ۶۷: ۷۷.
- ۶ إقبال کے خطوط جناح کے نام، ترجمہ و ترتیب: محمد جہانگیر عالم، یونیورسل بوکس، اردو بازار، لاہور، ۱۹۹۴م، ص ۴۸: ۵۱.
- ۷ إقبال کے خطوط جناح کے نام، ترجمہ و ترتیب: محمد جہانگیر عالم، یونیورسل بوکس، اردو بازار، لاہور، ۱۹۹۴م، ص ۵۲، ۵۳.
- ۸ محمد حسن الأعظمی، حقائق عن باكستان، ط ۱، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص ۳۳.
- ۹ تكون حزب الرابطة الإسلامية في عام ۱۹۰۶ للميلاد.
- ۱۰ محمد حسن الأعظمی، حقائق عن باكستان، ص ۳۷، ۳۸.
- ۱۱ للتفصيل انظر: عبد الحميد (دكتور)، إقبال بحیثیت مفکر باكستان، ط ۲، إقبال اکادمی باكستان، لاہور، ۱۹۸۸م، ص ۱۳۵: ۱۵۴. آغا اشرف، إقبال اور باكستان، ط ۱، نذیر سنز پبلشرز، لاہور، ۱۹۸۸م، ص ۷۷، ۷۸.
- ۱۲ حازم محفوظ (دكتور)، العلامة محمد إقبال في مصر الأزهر، ط ۱، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ۱۴۱۸ هـ — ۱۹۹۸م، ص ۱۱.
- وللتفصيل انظر: أحمد سعيد (بروفيسر)، إقبال اور قائد أعظم، ط ۲، إقبال اکادمی باكستان، لاہور، ۱۹۸۹م، ص ۶۱، ۶۲.
- ۱۳ إحسان حقی (دكتور)، باكستان ماضيها وحاضرها، ط ۱، دار النفائس، بيروت، ۱۳۹۳ هـ — ۱۹۷۳م، ص ۱۴۵، ۱۴۶.
- راجا رشید محمود، إقبال — قائد اعظم اور باكستان، ط ۱، نذیر سنز پبلشرز، لاہور، ۱۹۸۷م، ص ۱۰۷.
- ۱۴ راجا رشید محمود، إقبال — قائد اعظم اور باكستان، ط ۱، نذیر سنز پبلشرز، لاہور،

- ۱۹۸۷م، ص ۱۰۱: ۱۰۶.
- جیلانی کامران (پروفیسر)، قائد اعظم اور آزادی کی تحریک، ط ۲، مجلس ترقی ادب، لاہور، ۱۹۹۰م، ص ۹۰: ۱۳۹.
- ۱۵ ستانلی ولبرٹ، محمد علی جناح مؤسس پاکستان، ترجمہ: سہیل ذکار (دکتور)، ط ۱، دار قتیبة للطباعة والنشر والتوزیع، دمشق، ۱۴۰۸ هـ — ۱۹۸۸ م، ص ۴۵۸.
- ۱۶ حسن محمد جوھر و محمد مرسى أبو اللیل، پاکستان، ط ۱، دار المعارف بمصر، القاہرہ، ۱۹۶۵ م، ص ۶۴.
- ۱۷ زار کاتب هذه السطور أكاديمية إقبال بمدينة لاهور عدة مرات، وشاهد بها المكتبة الضخمة التي تضم آلاف من الكتب المؤلفة عن العلامة محمد إقبال باللغات العالمية الحية.
- ۱۸ نذكر منها قسم الإقباليات في الكلية الشرقية من جامعة بنجاب بمدينة لاهور، الذي زاره كاتب هذه السطور، والتقى فيه بعدد من الأساتذة.
- ۱۹ محمد حسن الأعظمى والصاوى على شعلان، الأعلام الخمسة للشعر الإسلامى (القطار ورومى والسعدى وحالى وإقبال)، حققه: مصطفى غالب (دكتور)، ط ۱، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ۱۴۰۲ هـ — ۱۹۸۲ م، ص ۵۵، ۵۶.

مشاريع سنة إقبال

الإعداد: الأستاذ محمد سهيل عمر
تعريبه: محمد سمير مفتاحي

التقرير التطبيقي

٢٠٠٢ — ٢٠٠٣

إن سنة ٢٠٠٢—٣ اعتبرت سنة إقبال وذلك على مضي ١٢٥ سنة من ولادة الشاعر الفيلسوف الباكستاني، العلامة محمد إقبال. وأعلنت حكومة باكستان عنها بشكل رسمي بأنها "سنة إقبال".

على أمر من عند الأمانة الرئيسية التنفيذية خطت أكاديمية إقبال باكستان سلسلة المشاريع باستخدام جميع الوسائل المتوفرة لديها ومع التركيز على إستخدام تقنية المعلومات.

فاعلن عن البرنامج المقترح في الصحافة الوطنية، وعلى الموقع الأليكتروني وكذلك من خلال البريد الأليكتروني. فدعي الناس بشكل عام بأن يقدموا مقترحاتهم في احتفال السنة. فساهم عدد كبير من الأشخاص والمؤسسات بمقترحاتهم. فأكاديمية إقبال باكستان أعلنت عن مقترحات لم يشر إليها أحد،

وتم اختيارها وجهاز لها ثم جعلت جزءا للبرنامج الكلي.

خطة العمل المقترحة قدمت إلى مجلس الوزراء الفدرالي للموافقة خلال وزارة التراث. والمظهر المالي للخطة المقترحة كان حوالي ٣٠ مليون روبية. وعلى أية حال، وافق القسم المالي على ميزانية ٨ مليون روبية، فتسلمت أكاديمية إقبال ميزانية ٤ مليون روبية في تموز/يوليو ٢٠٠٢.

وأثناء فترة إثني عشر شهرا وذلك من تموز/ يوليو ٢٠٠٢ إلى حزيران/ يونيو ٢٠٠٣، أقيمت الأنشطة التالية للاحتفال بسنة إقبال.

المؤتمرات والبحوث

خلال هذه الفترة نظمت أكاديمية إقبال عدة حفلات ومؤتمرات، واستضافت الآخرين لها، وكذلك عاونت غيرها في نفس المجال داخل البلد وخارجها، وتوجت في إقامة مؤتمر إقبال الدولي لـ ٢٠٠٣ باسم "وجهات النظر على إقبال — أحد مسح عالمي في دراسات إقبال". (راجع الملحق رقم ٢١ للتفاصيل).

مؤتمر إقبال الدولي

وجهات النظر على إقبال — مسح عالمي في دراسات إقبال

سابقا كان المقترح أن يعقد المؤتمر الدولي في ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢. فبسبب الانتخابات العامة في تشرين الأول/ أكتوبر وتشكيل الحكومة الجديدة فيما بعد، أجل المؤتمر إلى نيسان/ أبريل ٢٠٠٣. وتمت مناقشة أربعة أيام بـ لاهور في نيسان/ أبريل من ٢١ إلى ٢٤ سنة ٢٠٠٣. وقد جعل التدشين من قبل رئيس باكستان بهذه المناسبة الكبيرة زامت يوم إقبال الحادي والعشرون من نيسان/ أبريل. (راجع الملحق رقم ١ للتفاصيل).

ركز المؤتمر على الطرق التي استقبل إقبال في عدة الساحات اللغوية والثقافية في العالم مستخدما المعيار الواسعة التالية:

حالة دراسات إقبال في ساحات متعددة؛ ساحات ثقافية لغوية بباكستان وبلدان أخرى. وذلك يعني مجالات التراجم والدراسات الأكاديمية والفلسفية لأفكار إقبال، وتفسيرها، وكذلك الدراسات المقارنة بالشخصيات الأدبية

والفلسفية الماضية والمعاصرة وغيرهم. ويرافق ببيلوغرافيا الأعمال على دراسات تمت في إقبال في الساحات الخاصة للدراسة.

أهم علماء المنطقة أخصائيين في أفكار إقبال مع معلومات مختصرة عن حياتهم وأعمالهم.

عرض الميول في دراسات إقبال في ساحة تركيزك، والفجوات الموجودة في طريقة دراسات إقبال وكذلك الإقتراحات للدراسات والمساحات الأخرى من البحث.

وإن كان التركيز في المؤتمر على "مسح عالمي في دراسات إقبال" وكان هدفه الأوسع أن يساهم في فهم أفكار إقبال ونظرياته بالتعمق وتفهمها وكذلك في طرق معرفة القضايا العالمية والمعاصرة. وهذا سوف يجلب مجموعة منتقاة من علماء أفكار إقبال في العالم على سوى (انظر الملحق رقم ٢) مع الأخصائيين الباكستانيين في أفكار إقبال ومع كل من هو مهتم بإقبال ودارسات إقبال في جهد كامل لتعريف أفكار إقبال وعرضها في خارج البلاد. وكذلك العمل على إعداد كتابات مع الشروح والتعديل والتنقيح للطباعة.

بعثات باكستان ونزولها في إقبال

بعثات باكستان قامت بوظائف خاصة في البلدان التي أرسلت إليها بأسلوب ملائم وبالتضامن مع الجماعة المحلية للأخصائيين في أفكار إقبال والأخصائيين المغتربين. بعثة باكستان في ماليزيا قامت بمؤتمر خاص على علامة إقبال بالتعاون مع الجامعة الإسلامية الدولية بماليزيا وذلك بمساعدة أكاديمية إقبال باكستان. والإجراءات في التحضير.

مؤتمرات علمي إقبال؛ سمائه وفكره

خلال هذه الفترة أقيمت عدد من المؤتمرات والندوات من قبل وكالات عديدة في المقر العام الإقليمي من كل ولايات باكستان. وكذلك أقامت الجامعات والكليات والمدارس والمؤتمرات أيضا على مستوياتهم الخاصة.

مؤتمرات إقليمية - حكومات الأقاليم

قامت حكومات الولايات كلها بمؤتمرات وندوات في المقرات العامة الإقليمية، وكذلك حكومة آزاد كشمير.

مؤتمرات تعليمية - حكومات الأقاليم

أقامت حكومات الولايات كلها وحكومة آزاد كشمير أيضا، ومن خلال الإدارات التعليمية والتربوية مؤتمرات وندوات على إقبال في مدارس وكليات الولايات. إدارة التعليم والتربية رتبت أيضا إمتحانات قصيرة على إقبال، ومنافسات في تعني شعر إقبال، والمساجلة في شعر إقبال، والمناقشات على مواضيع إقبال، ومسابقات الخطاب ومسابقات في كتابة المقال على إقبال في مدارس وكليات الإقليم.

طوابع تذكارية

وأصدرت إدارة البريد بحكومة باكستان طوابع بريدية تذكارية لسنة إقبال. واختارت أكاديمية إقبال صوراً لعلامة إقبال واعدت موجز ترجمته.

جوائز إقبال الوطنية (الرئيسية) / العالمية

إن جوائز إقبال من قبل الرئيس وسيلة هامة في إقبال الناس على دراسة إقبال على مستوى أكبر وأعم، وذلك بمساندة الحكومة ورعايتها. وجائزة إقبال ليست جائزة مألوفة تقليدية فحسب وإنما هي محاولة لتسجيل الرسالة في مجتمع علماء إقبال الوطنيين والدوليين في المجتمع الذي هم يعيشون فيه ولم تصبح فيه رسالة إقبال الشاعرية حتى الآن إحدى الثروات الثمينة الغالية. فأكاديمية إقبال باكستان قد اعتنت بالقرار في إعطاء جوائز الرئيس هذه منذ ١٩٨١.

خلال فترة من ستة أشهر قيمت أكاديمية إقبال باكستان وأكملت طور أفضل الكتب لجائزة سنة إقبال ٢٠٠٠. واختارت لجنة الإختيار ذات مقدرة عالية الانتخاب النهائي لأفضل الكتب التي صنفت على علامة إقبال. ووزعت الجوائز في مناسبة المؤتمر الدولي بشأن علامة إقبال العظيمة والتي أقيمت في نيسان/أبريل هذه السنة. (والتفاصيل مطبوعة منفصلاً)

سلسلة علمي إقبال

لقد أسقط القسم المالي اقتراح مسلسل على إقبال. لم يختص أي مال لهذا الغرض. وكبديل تم تحويل الاقتراح إلى لجنة إدارة أيوان إقبال لتخصيص الأموال لهذا الغرض. ولا يزال ينظر الرد.

وقد تم إكمال مواد المراجعة للبحث والوثائق. كل المصادر المهمة والأصيلة على حياة إقبال قد مسحت، واختيرت المواد المتعلقة ورتبت طبقا لفترات حياة إقبال. والمواد كلها فحصت بشكل حذر ورتبت ثانية. فتضمنت الوثيقة الشاملة النهائية على مئات من الصفحات، واختيرت وأعدت هذه المواد بشكل منظم من المصادر الأساسية الموثوقة لسيرة إقبال. الحبكة والمسودة في التحضير. وستكون خطوة ذات شأن إذا تمت بداية هذا المشروع على أثر سنة إقبال.

المعارض

معرض (الصور، إقبال في السنوات، كتب/ جرائد/ أشرطة سمعية وبصرية / أقراص مدججة / لوحات / آثار)

قد أقيمت تسعة عشر معرضا خلال هذه الفترة. (راجع الملحق رقم " ٣ " للتفصيلات).

المعارض التصويرية التربوية والمحاضرات التمهيدية التعريفية الجواله على إقبال بحسب مستوى المدرسة والكلية.

أقيم هذا المعرض خصيصا بخلفية أن يعطى الوعي عن إقبال وحياته وفكره سويا بين طلاب المدرسة والكلية. وكان يشمل صورا وإقبال في سنوات ومعرض الكتب / والجرائد / وأشرطة السمعية والبصرية / وأقراص مدججة / ولوحات / وآثار. وكذلك سلسلة المحاضرات التمهيدية والدورات على أفكار إقبال. وصمم المعرض الجوال، كخطوة رئيسية لنيل هذا الغرض. ودشن من قبل رئيس الوزراء في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣.

النبرحات

نخبة تمثيلية من الكتب / والجرائد / والبروشورات / والأشرطة السمعية والبصرية / والأقراص المضغوطة قد قدمت إلى إدارات ومكتبات عامة وإدارات

شقيقة وبعثات خارجية.

وسائل الإعلام

خلال هذه الفترة وبالتعاون مع أكاديمية إقبال باكستان، ما نشر الراديو والتلفزيون الباكستاني هو كالتالي:

كرر الراديو والتلفزيون الباكستاني كلتاها إذاعتهما من كل القنوات أفضل برامج ما أنتجا عن إقبال في السنوات الخمسين الماضية.

أنتجت أكاديمية إقبال باكستان وبالتعاون مع التلفزيون الباكستاني، مسلسل برنامج ذي اثني عشرة حلقة على علامة إقبال باسم "آئينهء إقبال" (مرآة إقبال) والذي أعطى تعريفا شاملا لأعمال إقبال. وقد أذيع خلال إذاعات تلفزيونية عدة مرات.

على وصية من الأكاديمية قام التلفزيون الباكستاني بالمسابقة على إقبال على المستوى الوطني بعنوان "ذوق آكاهي" (ذوق التعلم).

إن وكالة الإذاعة الباكستانية — وبالتعاون مع الأكاديمية — أقامت مسابقة على علامة إقبال وذلك إمتحان قصير راديوي للكأس التحدي الوطني من لاهور ومن المحطات الإقليمية الباكستانية الراديوية. (راجع الملحق رقم " ٤ " للتفصيلات).

تكنولوجيا المعلومات

موقع علامة إقبال (ويبست)

يجري العمل في المرحلة الثانية في تطوير موقع علامة إقبال وتحسينه وتوسيعه بإضافة محتويات أخرى؛ كإضافة ملفات الصوت وكذلك المسح الضوئي (scan)، وفي إعداد نصوص كلام إقبال الأردني والفارسي وتحميلها في الموقع وكذلك في ترتيب المواد السمعية والبصرية بحيث أن يكون الموقع تفاعليا تماما حسب المقياس العالمي الدولي. فتزامن التدشين الرسمي للموقع بزيارة الرئيس ومناسبة المؤتمر الدولي العظيم بشأن علامة إقبال والذي عقد في نيسان / أبريل ٢٠٠٣. وجدير بالذكر هنا أنه وضع عداد على الموقع www.allamaiqbal.com ففي ١٠ من كانون

الثاني/يناير، ٢٠٠٢ وفي ١٠ من نيسان/أبريل، ٢٠٠٣ كان عدد الضربات يصل إلى ٤٨٨١٥ ضربة في سنة، والذي يعني بأنه زار الموقع يوميا حوالي ١٠٧ أشخاص. (راجع الملحق رقم ٥ للتفصيلات).

المسابقة الدولية للنساء (الموقع ويبائيس)

قد أعددت ترتيبات للقيام بمسابقة دولية لتطوير أفضل موقع للانترنت على علامة إقبال، وعرضت جوائز وسيمة لعشرة من الفائزين الممتازين. فتزامن التدشين الرسمي للبرنامج وتوزيع الجوائز بزيارة الرئيس ومناسبة المؤتمر الدولي العظيم بشأن علامة إقبال والذي عقد في نيسان/أبريل ٢٠٠٣. وأعلنت عن المسابقة من خلال جميع وسائل الإعلام الجماهيرية ومواقع الإنترنت في الأسبوع الأول للمارس ٢٠٠٣. والموعد النهائي لقبول المواد كان ٧ نيسان/أبريل، ٢٠٠٣. وخلال هذه الفترة، وصلت استمارات التسجيل من قبل ٥١٥ مجموعة تشتمل على ١٠٠١ مشارك. وأرسلت منها ١٢٤ مجموعة مواقعها المجهزة (websites) قبل الموعد النهائي. وتم اختيار ٨٠ من المواقع للمعرض في مرحلة التقييم الأولى. (راجع الملحق رقم ٦ للتفصيلات)

قائمة البيانات الأولية لكتاب (المعروف للغات لتنظيم المكتبات)

أكملت الأكاديمية مشروع الجائزة هذه قاعدة البيانات التي لا يساعد في البحث حسب المستوى عالي وكذلك يعطي المساعدة في مكتبة لصالح العلماء والباحثين في العالم. وكذلك يعرض بعض الميزات الخاصة والتي لا توجد في البرامج الموجودة في السوق في نفس المجال. وتزامن التدشين الرسمي للبرنامج وتوزيع الجوائز بزيارة الرئيس ومناسبة المؤتمر الدولي العظيم بشأن علامة إقبال والذي عقد في نيسان/أبريل ٢٠٠٣. (راجع الملحق رقم ٧ للتفصيلات)

إقبال مكتبة كوفية

تفتخر أكاديمية إقبال باكستان بأنها قدمت مكتبة إقبال الكونية الأولى ضمن المكتبات الكونية الأردنية كجزء من مشاريع سنة إقبال. وتم ذلك من خلال البحث الشامل، والتأليف والعمل الصعب، فأصبحت الأكاديمية قادرة على أن تعرض هذه المكتبة الفريدة إلى عامة المستخدمين وللمهتمين في دراسة إقبال.

(راجع الملحق رقم ٨ للتفصيلات)

مناربع سمعية وبصرية

تم إعداد ١٢ قرصا مدججة بصرية خلال هذه الفترة. وهذه الاقراص تتضمن أفلام وثائقية، وقراءة شعر إقبال مع الموسيقى والغناء. (أنظر الملحق رقم ٩ للتفصيلات)

ألبوم إقبال

وقد بدأ وتم أثناء هذه الفترة — وبعد عمل طويل على ألبوم إقبال — عمل تسجيل كل المادة الأساسية ومعالجة الصور. والمشروع الآن في خطوة النهائية وسيكمل في السنة القادمة.

منثورات — كتب / برشورات

طباعة الكتب طبعة جديدة وإخراجها

خلال فترة من إثنا عشر شهرا، نشرت أكاديمية إقبال عددا من الكتب الجديدة، وأعددت كذلك عدد من كتب لطباعات جديدة لبضعة من العناوين. (راجع للتفصيلات الملحق رقم ١٠)

إقبال في اللغات الباكستانية

وقد تم مسح شامل لتوفير أعمال إقبال في جميع اللغات الباكستانية. وأكمل في هذا الصدد جهدان؛ أحدهما إصدار الطبعات الحديثة للكتابات المترجمة وإعداد التراجم للكتب التي تتطلب ذلك أو كان في ترجمتها نقص. وبدئ العمل على الترجمة والتأليف في اللغات السندية، والوتشية، والبروهية والبوشتو. وترجمة بوشتو وصلت إلى مرحلة الإعداد النهائي.

إقبال للأطفال

العمل على إعداد مواد إقبال للأطفال تحت التنفيذ. ونرجو بأن تصدر خمسة كتب خلال فترة قصيرة. ولقد تم إعداد كتاب دراسي على علامة إقبال للصفوف المدرسية من ٤ إلى ٨ في خمسة أجزاء، وذلك بجهود مركز البحث

التربوي. و دشن من قبل رئيس الوزراء في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣. بمرافقة الأقراص المدججة. وسوف يتم إعداد أجزاء أخرى للفصول من ٨ إلى المرحلة بيكالوريس.

المجلد

خلال الفترة الماضية أصدرت أكاديمية إقبال مجلاتها "إقباليات" / "إقبال ريفيو" ثلاث بالأردنية وخمس بالإنكليزية. وقد نشرت أيضا واحدة باللغة الفارسية باسم إقباليات. ومجلتان باسم إقباليات بالعربية جاهزتان وستصدران قريبا إن شاء الله.

مشاريع البحث

إقبال في وثائق الفائز الأعظم

سوف يتم التنفيذ على هذا المشروع بشكل عاجل إن شاء الله. ولقد ظهرت بعض البحوث الهامة وسوف تقدم بعد قليل.

الطبعة الحديثة المرمومة لبيوجرافيا إقبال "زنده رود" (الأردني)

سوف يتم التنفيذ على هذا المشروع بشكل عاجل، وسوف يقدم قريبا إن شاء الله.

تراجم سيرة إقبال "زنده رود" إلى العربية والإنجليزية،

لقد تم بالأكاديمية الترجمة العربية لسيرته "زنده رود" ، والتي راجعها بعض العلماء العرب. على أية حال، ما كان من الممكن أن يظهر بسبب قلة الأموال.

وكذلك، العمل على الترجمة الإنكليزية لسيرته "زنده رود" ، على الرغم من جهودنا والتوفر لدينا مترجم مؤهل جدا، ما تمكنا من أن نكمل بشكل عاجل، وذلك لعدم وجود الأموال اللازمة لهذا الغرض في ميزانية إحتفالات سنة إقبال. وهذه الوثيقة المهمة ليست متوفرة إلى الآن في أي لغة دولية ماعدا الفارسية. والآن بمساعدة إدارة إيوان إقبال وتبرعات من أصدقاء الأكاديمية بدأ العمل على الترجمة الإنكليزية.

إحارة بناء الفكر الديني في الإسلام

كمهمة خاصة لدولي خلال سنة إقبال، ترجم كتاب إقبال "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام" — القطعة النادرة الفلسفية — في سبع لغات علمية رئيسية: العربية، والإسبانية، وكاتالونيان، والألمانية، والروسية، والبنغالية، وتشيتش. والتراجم الأسبانية وكاتالونيانة، والعربية، والتشيتشة والروسية قد خرجت مسبقا، حيث أن الترجمة الألمانية في عملية الطباعة في الأكاديمية.

جمع أعمال إقبال المترجمة

وصلت تأليف تسعة أجزاء من الرسائل، والمقالات، سيديس، والتصريحات ومتفرقات المرحلة النهائية للتحضير. العمل يتابع بشكل عاجل.

جمع أعمال إقبال الناعرية (الإنجليزية من الترجمة)

وصل جزءان من النص المؤلف إلى المرحلة النهائية للتحضير. والعمل يتابع بشكل عاجل.

جمع أعمال إقبال الناعرية الأوروبية تمت على أساس الترجمة الفارسية

كلف عالمان ذووا السمعة الدولية هذا المشروع. وعمل الترجمة ماض في خطوة ثابتة.

مشروع بيلوغرافيا وراسا إقبال (كتابات إقبال) ٢٠٠١ — ١٩٤٧

العمل على المشروع قد وصل المرحلة النهائية في القراءة لتصحيح الأخطاء، ومن المحتمل أن يقدم في نيسان / أبريل.

قاموس إقبال للمراوفا

إن أكاديمية إقبال باكستان، تقوم بالعمل على هذا المشروع وذلك بالتعاون مع قسم علم المكتبات، بجامعة بنجاب. فتم تصنيف الكلمات الدليلية وترتيبها. وسيتم العمل على إكمال هذا المشروع بشكل عاجل، إن شاء الله.

كليات باقيات إقبال (الأدوية)

إن المشروع قد تم ووصل إلى مرحلة الطباعة. وسوف يقدم قريبا إن شاء الله.

أرشفة إقبال / أوراق إقبال

أرشفة إقبال والتي كانت في المرحلة الناشئة في مكتبة أكاديمية إقبال تطورت وأصبحت أرشيفا كاملا يحيط بجميع المواد المتعلقة بحياة إقبال وأفكاره.

برنامج التساب

كجزء لمشاريع سنة إقبال نظمت أكاديمية إقبال باكستان مسابقة التصوير على مستوى باكستان كلها بالأصناف التالية.

١. رسم لوحة صورة
 ٢. رسم صور إقبال الموضوعية
 ٣. الرسم الموضوعي — العام
 ٤. الرسم الموضوعي لطلاب الكلية والجامعة
 ٥. الرسم الموضوعي لطلاب المدارس الثانوية.
- أقيم برنامج توزيع الجوائز ومعرض في حفلة عظيمة الشأن. والذي دشن من قبل رئيس الوزراء في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣. (راجع الملحق رقم ١١ للتفصيلات)

فصول فارسية

بالتوافق مع برامج سنة إقبال قد صممت أكاديمية إقبال باكستان أن تقدم برامج تعليمية لتدريس اللغة الفارسية حيث يمكن لأحد أن يكسب الاستعداد الأساسي في فهم اللغة الفارسية، والذي يمكن للإنسان معه تطوير بصيرته من كلام إقبال وأفكاره العالية. خلال هذا البرنامج يمكن للواحد أن يتعلم القواعد أو الحاجات اللغوية الأساسية للغة الفارسية من خلال اللغة الأردية وكذلك يفهم من خلاله التقاليد الأدبية والثقافية المبدعة في الشعر واللغة، وينور بصيرته من كلام إقبال وأفكاره و ثم يصل إلى كنوز حكمته. فالبرنامج ينقسم في ٤ وحدات قياسية يتدرج المشاركون خلال السلسلة كلها في سنة واحدة درجة درجة. تبدأ هذه الفصول في أول الشباط /فبراير ٢٠٠٣. (راجع الملحق رقم ١٢ للتفصيلات)

